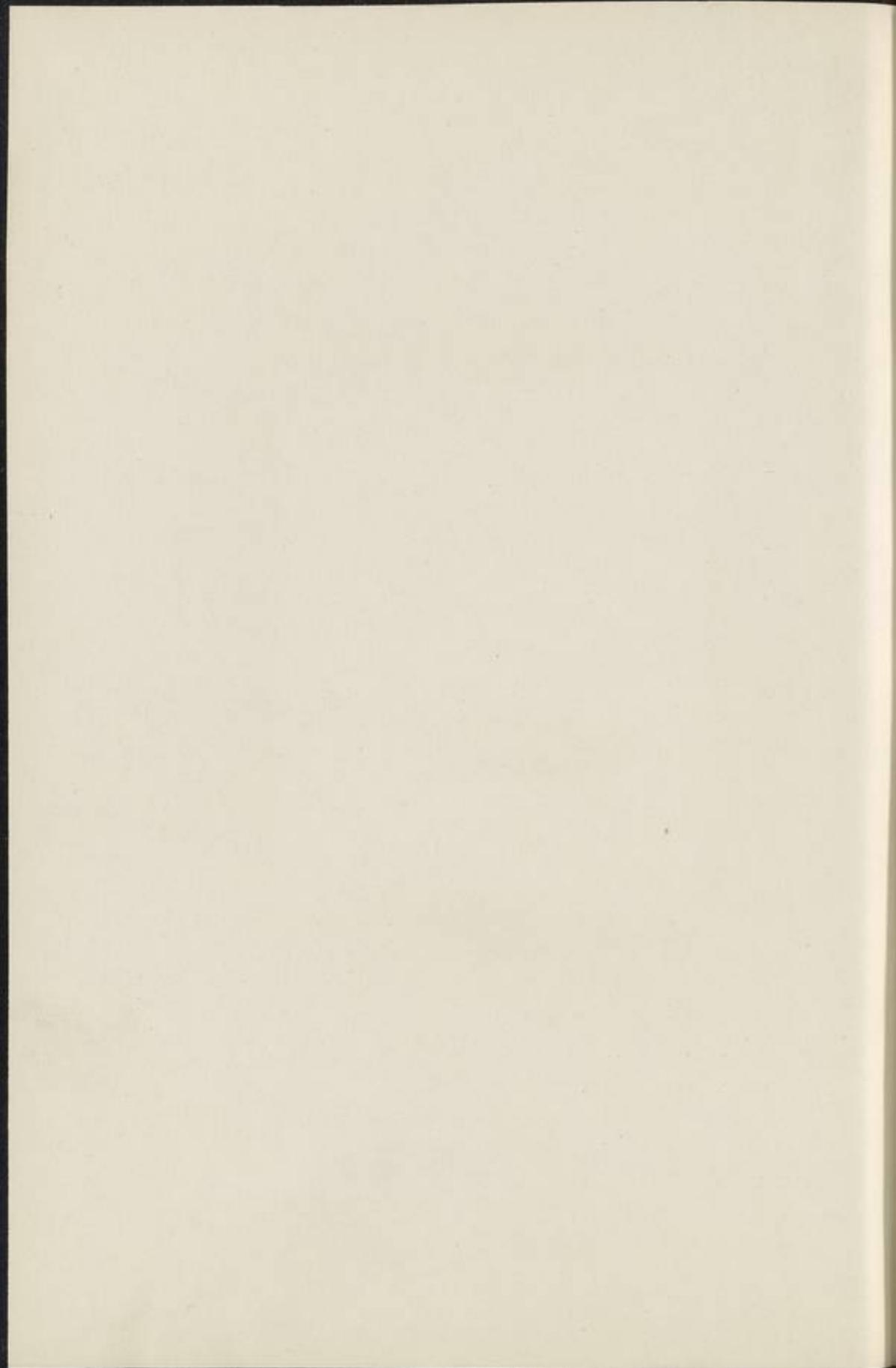
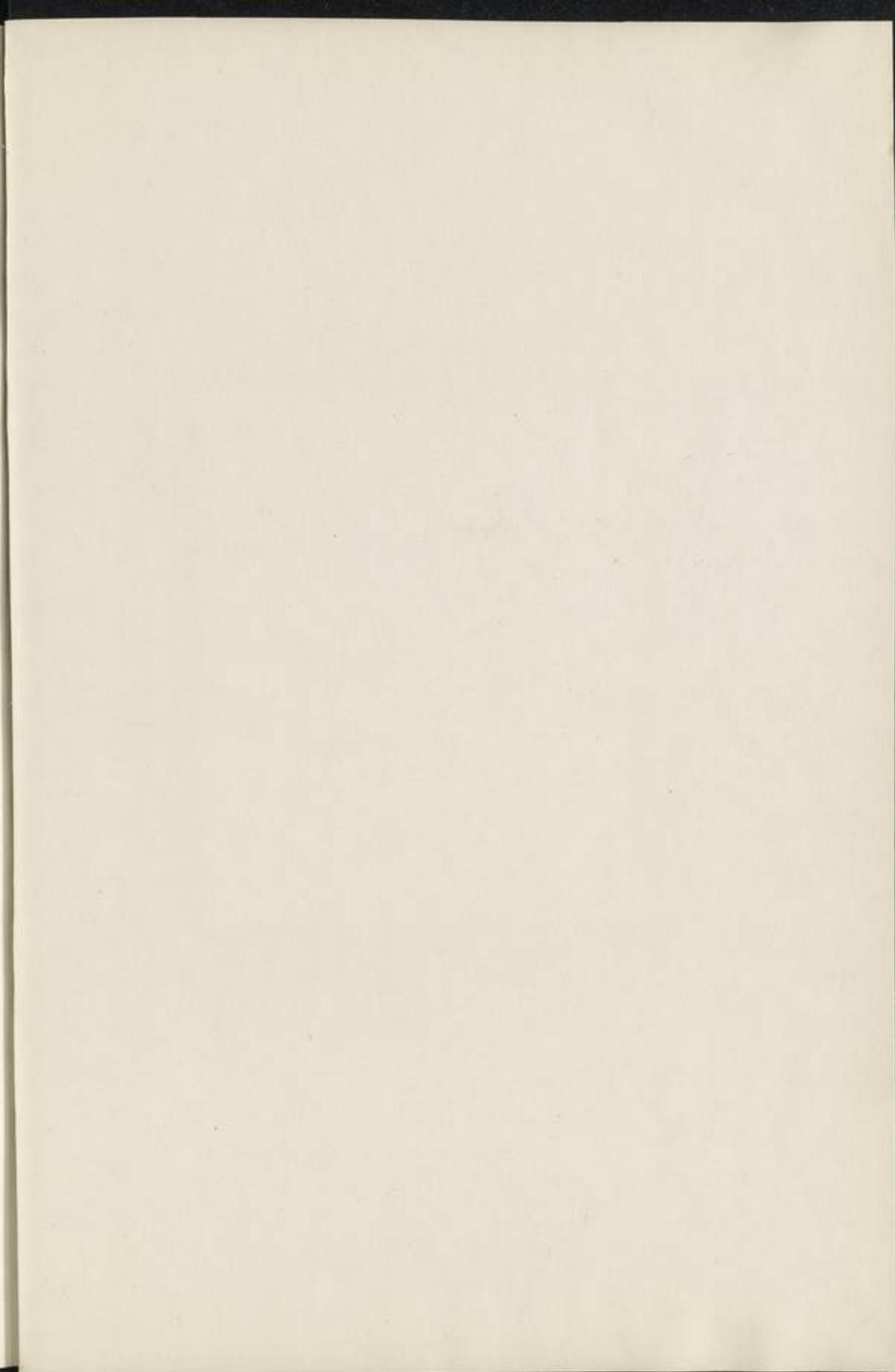


Columbia University  
in the City of New York

THE LIBRARIES







الدكتور  
علي الهاشمي

# المرأة في الشعر العربي

ساعدت وزارة المعارف على نشره

سنة ١٩٦٠

مطبعة المعارف - بغداد

893.782  
H27

433646

## المقدمة

غرضنا من هذا الكتاب هو أن نرسم صورة للمرأة الجاهلية على النحو الذي يعرضها الشعر الجاهلي . فاتخذنا هذا الشعر مرجعا أساسيا لهذا البحث ، فأثبتنا صفاتها ، وخصائصها ، وعرضنا صورها في أدوار حياتها المختلفة ، تؤدي وظائفها في المجتمع على نحو ما كان سائر أفراد ذلك المجتمع يؤديونه ، فكان عنوان الكتاب « المرأة في الشعر الجاهلي » .

والذي حملنا على بحث هذا الموضوع أمور نذكر منها اثنين :-

أولهما - الكشف عما كان للمرأة الجاهلية من الأثر البالغ في حياة الشعب العربي ، بحيث صارت عاملا فعّالا من عوامل النهضة الإسلامية الكبرى فيما بعد .

وثانيهما - التطور الشامل الذي تستقبله نساؤنا اليوم ، والذي يظهر أنه سيؤثر في نواحي حياتهن وأحوالهن المختلفة . وقد رأينا أن من الخير لهذا التطور أن يجد له في ماضي المرأة دليلا وأساسا يكسبه الدوام ، ذلك لاننا نعتقد أن أضمن ما تكون التطورات اذا ما اتخذت من التاريخ أساسا وعبرة ، وجانبت الارتجال والتقليد المحض .

لم يسجل تاريخ الحضارة الإنسانية الدور الذي قامت به المرأة كما ينبغي ، على الرغم من عظيم أثرها في حياة الأمم كافة ، فللمرأة عاشت الى جانب الرجل منذ عهد الإنسانية الاولى ، وشاركته في ميادين الحياة . بيد أن من النادر أن نجد بين الاسفار التاريخية المطولة ، ما جعل هدفه تصوير المرأة بشكل وافي ، وأوضح آثارها في حياة الافراد والجماعات ، حتى ليخيل للباحث أن التاريخ لا يكاد يُعنى بشأن المرأة الا عندما كانت تظهر في ميدان

( ب )

السياسة أو الحرب أو الادارة ، حيث تقوم بدور هو من صميم أعمال الرجل في العادة . فالقسم الذى يمكن التوصل اليه من تاريخ المرأة انما يدرس في العادة ، من خلال الفصول التى كتبت عن غيرها .

والتاريخ الذى يبدو أنه لم يعط المرأة حقها من العناية لم يعتمد فى الواقع الانقاص من شأنها لمجرد كونها امرأة ، انما كانت طريقة المؤرخين القدماء أن يقتصروا فى تدوين تاريخ الامم والشعوب على تاريخ الشخصيات والذوات البارزة فى ميادين الحرب والادارة فحسب ، أما الجهود التى بذلها الجنس البشرى فى حقول الحياة المختلفة ومن ضمنها جهود المرأة فقلما استرعت عناية كافية من المؤرخين . وبهذا انطمست معالم هامة من حضارة الانسان ومنها ما كانت اليد الصناع للمرأة هى التى أوجدتها ككوكب الاسرة وتنشئة الاجيال الصاعدة وادارة الاعمال المنزلية وكل المراحل الاولى من أكثر الصناعات والفنون البشرية حيث أنها نبتت بين يديها .

كانت الامية التى غمرت حياة المرأة طيلة قرون ، والجهل الذى خيم على تفكيرها من أهم الاسباب التى دعت الى عدم ظهور شخصيتها التاريخية مدة طويلة من حياتها ، فقد أخرتها المشاغل التى تزخر بها حياتها عادة ، فبقيت تعيش فى كنف الرجل ، ولم تتبلور شخصيتها . وليس أدل على ذلك من تضارب الآراء فى فهم طبيعتها وتقويم مجهوداتها وكان اختلاف الرأى فى أمرها وتباين وجهات النظر فيها واسعا . وكانت تلقى لهذا الاختلاف فى التقدير فى تاريخها الطويل صنوفا شتى والوانا من المعاملة .

هذا بالنسبة الى تاريخ المرأة من حيث العموم ، أما المرأة العربية فى الجاهلية ، وهو موضوع هذا الكتاب ، فان المصادر المتوافرة تدل بصراحة على أنها قد استطاعت ان تنجب جيلا قويا فى خلقه وتكوينه ، هو جيل الفتح ، الذى حمل بصبر وحزم منقطع النظير ، رسالة الاسلام وجمع شمل العرب ، وأخذ على عاتقه أعباء هذا الفتح وتأسيس انبراطورية عظيمة فى الشرق

( ج )

الأدنى قامت على اسس جديدة دفعت بالانسانية فى سبيل التقدم الحضارى خطوات واسعة . قام هذا الجيل بالمهمة التى تعهد بها خير قيام ، لم يضعف ولم يهن ، لما أشاعته المرأة فى نفسه . منذ الصغر ، من روح الرجولة ، والاخلاص وحب التضحية ، والثبات . وقد استطاعت أن تفلح فى تربيتها هذه لانها بذاتها كانت تتحلّى بالموهب العالية التى أعزّت بها الجيل .

ما استطاعت الامة العربية أن تقود الحضارة الانسانية فى العصر الوسيط الا بمشاركة المرأة الفعلية للرجل فى المجهود الحضارى مشاركة شملت الميادين كافة . ومن الثابت أن هذه الامة قد ظهرت على مسرح القيادة الانسانية فى أكثر من مناسبة واحدة ، وآخر ما كان لها من الزعامة هى تلك النهضة الكبرى التى أعقبت الفتح الاسلامى فأدار العرب دولاب السياسة العالمية ، ونشروا الدين والعلم والآداب العالية ادارة صالحة مدة طويلة ، ورسمو للناس مثلهم الاخلاقية السامية . وكانت المرأة بالطبع ، تقوم ، الى جانب الرجل ، بقسطها فى ميدان التمدن فى حالة الحرب ووقت السلم .

وإذا قارنا المرأة العربية فى الجاهلية وفى صدر الاسلام بالمرأة عند الامم والشعوب المعاصرة لها وجدنا العربية قد سبقت سواها فى الاخذ بأسباب التمدن وبلغت ما لم تبلغه النساء فى الامم الاخرى ، لكنها لم تحافظ على هذا التفوق بحيث أننا نجدها متخلفة عن غيرها فى ابتداء عصر النهضة حيث تبلورت شخصية المرأة لدى الشعوب المتمدنة . ولم تبدأ نهضة المرأة العربية الا فى السنوات الاخيرة ولا شك أن هذه النهضة سوف تثمر أحسن ما تثمر اذا قامت على أساسين : أولهما تجنب الشوائب التى رافقت النهضات النسائية فى العالم . وثانيهما هو أن تبنى على عناصر مستمدة من تاريخها المجيد ومن القيم الروحية لدى العرب بحيث لا تكون تقليدا طارئا ومحاكاة . وبناء على ما سلف فما هى المصادر لدراسة حياة المرأة الجاهلية ؟ انها

القرآن الكريم والاحاديث الشريفة والامثال والافاصيص وأخبار العرب وأيامهم ، والتقاليد والاعراف والآثار على اختلافها • كل هذه مصادر قيمة وهي تلقي أضواء غير متساوية على الادوار التي كانت تقوم بها المرأة الجاهلية •

اننا قد اتخذنا الشعر الجاهلي مادة للبحث لاعتقادنا بأهميته ووزارة مادته لهذا الموضوع اذا ما قيس بالمصادر الاخرى التي أشرنا اليها وذلك لان الشعر عنى بالمرأة كثيرا لصلتها بالشاعر وبالشعر فهي ذات تأثير بعيد في نفس الشاعر بحيث هي مصدر الهامه ومناطق نجواه ثم ان العاطفة والحس المرهف هما من أهم مقومات الشعر ومقومات طبيعة المرأة •

ان اتخاذ الشعر مصدرا لتصوير المرأة لا يقل في الواقع قيمة ودلالة وصدقا عن اتخاذ أى مصدر تاريخي لتصوير حادثة تاريخية في أبحاث المؤرخين وغيرهم من المشتغلين بالثقافات النظرية • ويؤيد ما ذهبنا اليه أن التراث الذى خلفه لنا العصر الجاهلي في صورته المختلفة ، قصص وأخبار ووقائع ، ومظاهر اخرى من الحياة ، كلُّ هذا ، يعزز واقعية الصورة التي رسمها الشعر للمرأة الجاهلية •

ولا نريد فى هذا المقام ان نغفل الاشارة الى طبيعة الادب عامة ، ومنه الشعر ، كيف أن الاديب يرى الحوادث من خلال نفسه فيتأثر فى تصورهما بشعوره ، ثم اذا عبر عنها خلع عليها من عنده صورا وخيالات وعرضها فى قوالب فيها الاستعارات والكنايات والمبالغات • ولكنه مع هذا يظل رائده الصدق فى التعبير والوصول الى الحق كما يظل يترجم عن روح عميق فى الجماعة ، واذا ما تأثر باحساسه الخاص فشأنه فى ذلك شأن الكاتب والمؤرخ ولا يقدح فى تصويرهما للحياة امتزاجه باحاسيسهما وآرائهما بل يعتبر ذلك التصوير أمرا حقيقيا وواقعا • وبالإضافة الى ما سبق فان الشاعر فى الجاهلية كان لا يميل الى استخدام المغالاة فى صورته البلاغية بل كان يعتمد

على البساطة والصراحة والابتعاد عن الصناعة والتعمل وكان شعوره صادقا على العموم بدليل انه لا يتغير عند تخرج المواقف •

لقد كان اعتمادنا على الشعر اعتمادا كليا ، لكننا كنا مضطرين الى الرجوع الى مصادر اخرى لاستكمال الصورة لان هذا الشعر ، مثل شعر أبة امة في أى عصر ، ليس من مقاصده الاستقصاء ، فقد كان شعورا صادقا أطلقته المثيرات من عقاله ، فخرج في أنوابه الجميلة عذبا ، صافيا • ولم يكن من طبيعة هذا الشعور أن يكون جامعا لكل ما يتصل بالمرأة وهى فى مجتمعها • وكانت عنايته بالناحية المادية أكثر من غيرها •

سيوضح للقارىء من فصول هذا الكتاب أنه كان للمرأة دور مهم فى ذلك العصر ، فكانت تلهم الشعب بدوافع المجد لانها كانت بدأتها مثلا للفضائل التى أحلتها من نفوسهم موضع العناية • فكان الفرسان يندفون وسط القتام بسيوفهم الهندية وأسلحتهم اليمانية ورماحهم الردينية من أجل النار أو الدفاع عنها أو من أجل استردادها • وهم فى كل حين يخطبون ودعاهم • وهى فى الحياة العامة تعين الرجل وتمده بصائب آرائها وتنظم سلوكه ، ولها شأن كبير فى حياة الاسرة والقبيلة الامر الذى يفسر لنا بالغ العناية بها فى معظم مطالع قصائدهم فهى تستهوى قلوب الرجال ، شعراء وسامعين • وينشدون فيها القصيد فيحفظونه ويتناقلونه • فظاهرة افتتاح القصيد بالغزل والنسيب ، وكثرة الشعر الذى تغنى به الشعراء بالمرأة وتعشقوا بصفاتهما لم يكن كل ذلك أمرا عارضا ولا نتيجة مصادفة انما كان من التراث الروحى ، والثقافى المتوارث ، والتربية التى درجوا عليها • بحيث ندر فى شعرائهم من لم يقل شيئا فى الغزل كما ندر منهم من لم يحفظ قدرا منه •

كانت الجاهلية تقوم بالدور الذى القى على عاتقها ، بالنسبة لظروفهم ، على الوجه الاتم • فالحيية تحصنت بأنواب الكرامة ، فألهت عاطفة المحب وبعثت فى نفسه الفروسية • كما قامت الزوجة بتربية أولادها ، وتدير شؤون

بينها وشاطرت زوجها الرأى ، وكانت عنصرا فعّالا فى الاسرة ، ولم تكن دون زوجها فى ثقافتها وتفكيرها • وهكذا يقال عن الام والفتاة والنساء بعامة •

تلك هى صورة المرأة فى مختلف مراتب حياتها الاجتماعية كما تراءت لنا من دراسة ما وصل الينا من الشعر الجاهلى • وهى عندنا تمثل المرأة الجاهلية تمثيلا نظمئن اليه الى حد بعيد ، لانها صورة منتزعة لا من شعر شاعر واحد أو قبيلة واحدة ، وانما هى الصورة التى رسمها هذا السفر الضخم من نتاج القرائح المتعددة فى زمن مديد • واذا كان من المتصور أن تأتي مغايرة لصورة المرأة الواقعية فى ذلك العهد فان هذا لا يحتمل الا فى أجزاء طفيفة لا يعتمد بها أما الصورة عامة فهى صورة المرأة الجاهلية • وكل ما نرجو أن نؤدى بهذا المجهود خدمة علمية •

على الهجستنى



## مقدمة

### (١) قصور الدراسات التاريخية للعصر الجاهلي :-

لا يزال تاريخ الجاهلية العربية غامضا على الرغم مما بذله المؤرخون القدامى والمحدثون ، المشاركة منهم والمستشرقون ، في هذا السبيل . ومرد ذلك راجع الى قلة الكشوف الاثرية<sup>(١)</sup> والروايات الوثيقة التي تتجلى بها الحياة الاجتماعية والعقلية قبل الاسلام . وليس من الممكن العملي أن نجد اليوم مجموعة من القبائل العربية قد حافظت على نمط المعيشة التي كان الجاهليون يعيشون عليها ، بحيث أنها منذ التأريخ القديم حتى هذا العصر لم يطرأ عليها تغير يذكر في حياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، فنعرف من دراسة أحوالها اليوم أحوال العرب قديما<sup>(٢)</sup> . نعم لا يوجد مثل هذه القبائل وان افترض بعض الباحثين امكان وجود هذا فافترض ما لا يستند الا الى الظن والترجيح . وهما لا يُغنيان عن العلم واليقين شيئا . بقيت أمنية الدارسين قائمة : وهي أن يظفروا بصورة دقيقة لحياة

---

(١) منذ اكثر من قرنين من الزمن بدأت اتصالات الغربيين الحديثة القائمة على الدرس للاغراض السياسية والاقتصادية والثقافية بجزيرة العرب فجاءها السواح والعلماء من الانجليز والفرنسيين والالمان والايطاليين والدنيمارك والنمساويين وغيرهم وتركوا دراسات قيمة تتعلق اهمها بالخطوط العربية واكتشفوا كثيرا من اللوح القديمة والنقوش وكتبوا في وصف بلاد العرب وبخاصة المراكز الحضارية منها كما كتبوا عن احوالها الجيولوجية والجغرافية وعن نواح كثيرة من احوالها الفكرية والمعاشية .

(٢) يسمى الاجتماعيون هذه بنظرية البقايا

العرب في تلك الفترة تغنيهم عن الرجم بالغيب والاعتماد على الفروض ،  
التي لا تؤدي الى اليقين ، والتحكم في اختيار النماذج من غير الاستناد الى  
العلم الذي يثبت انطباقها على الاصل .

ان المؤرخين المسلمين القدامى قد ملأوا بطون كتبهم بما كان يعيه  
الناس عامة وبما يجري على سنتهم في نواديبهم ومجتمعاتهم فكثيرا ما كانت  
الروايات تتضارب وتصبح الاخبار عرضة للطعن والتجريح بالاضافة الى  
أنهم مزجوا الحقائق بالافاصيص والاساطير بحيث عز على الباحثين الوصول  
الى الواقع الحقيقي . ثم جاء علماء الغرب فاعتمدوا - فيما اعتمدوا - على  
ما كتبه المسلمون فجاءت دراساتهم بهذا الخصوص أقل ضبطا وتحريرا ،  
ذلك لان هؤلاء المستشرقين بالاضافة الى الفجوة الزمنية التي تفصلهم عن  
الجاهليين ، تفصلهم عنهم فجوة أوسع منها وهي الناتجة عن اختلاف البيئة  
والذوق . كل هذا أثر في تصورهم للحياة العربية الجاهلية على الرغم من  
المناهج العلمية التي يصطنعونها في دراساتهم وبحوثهم .

ولاجل أن نعرف تاريخ العرب القديم لابد لنا من الوقوف على امور :  
منها لهجاتهم وكشف آثارهم (١) ، ولكن الباحثين في السابق قد أهملوا  
أمر العناية بهذه الآثار والبحث في الكشف عنها ، اعتقادا منهم أن العرب  
الاقدمين كانوا امة معزولة عن العالم المتمدن ، غارقة في بحر من الجهالة  
والفوضى (٢) ، وأنها ليس لها تاريخ قديم . ولهذا رأوا أن لا فائدة من  
البحث في استقصاء أحوالهم وأخبارهم .

ان أخبار الجاهلية العربية التي وصلتنا تميزها صفات أساسية : فهي  
بالاضافة الى قلتها ليست قديمة ، فلا تتغلغل في التاريخ الى أكثر من ثلاثة

---

(١) روى الخالدي : علم الادب عند الافرنج والعرب ص ٣٩-٤٠

(٢) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١ .

أو أربعة قرون ، ثم هي من حيث طبيعة سندها قائمة على المشافهة والرواية . ويندر ان تستند الى أثر موروث أو نقش معروف أو كتاب مسطور . ولهذا كان اسلوبها موجزا يبلغ أحيانا درجة التلميح والاشارة كأخبار عاد وثمود وغيرهما من البائد من القبائل فأخبار هذا الفريق على غاية من الاختصار . وان اخبار وسط الجزيرة ، أى أخبار نجد والحجاز وتهامة وغيرها من الجهات وهي التي اعتمدت على المشافهة والرواية تختلف عن أخبار البلاد الاخرى المجاورة لها كاليمن والعراق والشام ومصر التي تعتمد على الآثار والعدايات والنقوش والكتابة والتماثيل والنصب وغير ذلك من الآثار المادية ، كما تعتمد على المشافهة أيضا فأخبار وسط الجزيرة لذلك أقل قيمة تاريخية من أخبار هذه البلاد الاخرى ذات المدينة . أما من حيث طبيعة أخبار في الجاهلية ، وكثيرا ما نسمعهم يترجمون في أشعارهم عما كانوا يعانون من ما جعلها مزوجة بالاساطير والقصص والشعر .

ويرجع عدم وصول أخبار الجاهليين الينا بصورة واضحة الى امور ، بعضها طبيعي وبعضها غير طبيعي :-

#### أ - الاسباب الطبيعية :-

بدل الشعر الجاهلي دلالة واضحة على عدم مساعدة طبيعة الجزيرة وأحوالها المناخية على بقاء الوثائق التي يمكن أن تكون تاريخية خلافا لما هو معروف عن البلاد المجاورة ، أى بلاد الحضارات القديمة : كالعراق ومصر والشام وغيرها . فكم كانت الرياح والأمطار مصدرا لشكوى الشعراء في الجاهلية ، وكثيرا ما نسمعهم يترجمون في أشعارهم عما كانوا يعانون من صعوبة ومشقة في معرفة دار الحبيب وتمييزهم لساحات المنازل ، والنوى وغير ذلك ، ويعزون ضياعها الى فعل الرياح المتناوحة والترربة المتصاعدة ، والأمطار المتساقطة . والبسيط من الآثار لا يقوى على شيء من هذا .

قال امرؤ القيس يخاطب دارا دارسة لحية له :

يادار مارية بالحائل فالشهب فالجبتين من عاقل  
صمَّ صداها وعفا رسمها واستعجت عن منطق السائل (١)

فهو يحاول تحديد موقعها لانها دارسة الرسوم ، مطموسة المعالم .  
وهذا هو نهج شعراء الجاهلية في ذكرهم للديار ، كما قال لييد في مطلع  
معلقته :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

واذا ما تبينوا شيئا من آثار الديار شبهوه بالوشم بالمعاصم والاكف كما  
جاء في معلقتي طرفة وزهير أو بالكتابة كما في معلقة لييد .

كان الشاعر منهم يحرص أشد الحرص على معرفة الدار التي كانت  
حبيته تقيم فيها حيناً من الدهر ثم وضعت عنها . فهو ينعم النظر ليتبين  
رسومها العافية وأناقيتها ونوئها (٢) وهذا كله - كما يظهر - من آثار  
البداءة في الصحراء . أما آثار غير البدو فلم تُكشف عنها رمال العصور  
الطويلة ، بحيث تكاد تكون هذه البلاد - على طولها وعرضها - بكرأ لم  
لم تمتد اليها الابحاث الاستكشافية التي تسيطر اللثام عن واقع الحياة في  
ماضيها القديم . وكان اضطراب جبل الامن وعدم استتباب روح النظام  
والاستقرار وشيوع الامية والحروب من أسباب عدم توفر الظروف الملائمة  
لهم ليخلفوا لنا ما يعين الباحثين المحدثين على معرفة تاريخهم . هذا من  
جهة ، ومن الجهة الاخرى ان المسلمين في صدر الاسلام قد تشاغلوا

---

(١) ديوانه ص ١١٤ شرح عاصم بن ايوب . مطبعة التقدم في مصر  
سنة ١٣٢٣ هـ .

(٢) تلاحظ مطالع معلقات : امرؤ القيس ، طرفة ، زهير ، عنتره ،  
لييد وقصائد غيرها ، كثيرة .

بالتفوح ونشر الدين فلم يجدوا متسعا للعناية بالحضارة السابقة في جزيرة العرب فلما فرغوا الى ذلك وجدوا عامة أهل العلم والرواية لتاريخهم القديم وحضارتهم قد استشهدوا أو ماتوا • ويدل على هذا ما روى عن عمر بن الخطاب انه قال عن الشعر : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ف جاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته • فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤلوا الى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك ، بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره » (١) وما قيل عن الشعر يقال عن سائر أخبار العرب وقصصهم وتاريخهم القديم •

#### ب - الاسباب غير الطبيعية :-

١ - الثورة على الجاهلية :- كان حب الاسلام والغيرة عليه قد دفعا بكثير من المخلصين الى أن يصوروا الحياة الجاهلية بشكل لا ينسجم مع ما ينبغي أن يكون عليه المهدي الطبيعي الذي ظهر فيه الاسلام ، والذي منه شبع شرقا وغربا ، ولا يتفق مع تلك النهضة الفكرية التي تألقت في الشرق تحت راية الاسلام • لذلك نراهم ينعنون الجاهلية العربية بكل سوء ويلصقون بها كل شر ابتدعه لهم حماسهم لهذا الدين الخفيف • ويجردون تلك الفترة من الزمن من كل خير ومكرمة ، ارواء لحماسهم • وهذا هو الذي نعيه بالثورة على الجاهلية • فمن ذلك مثلا ما روى عن بعضهم عن الرسول الكريم أنه خطب امرأة فقالت له :- « اني عاهدت زوجي ألا أتزوج بعده »

(١) ابن سلام : طبقات الشعراء ص ١٦ ، السيوطي : المزهر

وأنه صلى الله عليه وسلم أجابها قائلاً :- «ان كان ذلك في اسلام ففى له» (١)  
واذا صح هذا الزعم فانهم أرادوا بذلك أن يصوروا كيف كانت حقوق  
الجاهلية وعهودها مهدورة فى نظر الاسلام . ومن هذا ما روى عن قتادة  
السدوسى أنه فسر قوله تعالى :- « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم  
منها » بما يصور الجاهلية تصويراً يرمز للوحشية والتأخر . ومن هذا  
أيضاً ما روى من حديث جعفر بن أبى طالب مع ملك الحبشة :- « كنا أهل  
جاهلية : نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ،  
ونسئ الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف » (٢) .

هذه الطائفة من المسلمين المتحمسة للدين والتي كرسَتْ جهودها  
لخدمته واعلاء كلمته على ما سواه ، بلغ الحماس ببعض أفرادها درجة  
التعصب ، وكان مما أدى اليه التعصب الاساءة الى كل ما خالف هذا الدين .  
وكان من الطبيعى أن ينصبَّ التعصب أو هذه الثورة على الجاهلية وعلى ما كان  
يتدين به أهلها ، فحارب هؤلاء الافراد المتعصبون ديانات الجاهلية ، وعملوا  
على محو آثارها ، وتعاليمها ، وطقوسها ، والاشعار التي قيلت فيها ، وكل  
شيء يمت اليها بسبب ، فإذا أردنا أن نعرف شيئاً من ذلك عز علينا ، ولم  
نظفر منه بباطل . وانه لمن المسلم به ان التعصب اينما حل أساء وأفسد .  
والتعصب أمر خطر ، وهو أشد ما يكون خطورة اذا ما وجد لدى  
المجتهدين والمؤلفين ، واذا ما وجد لدى الزعماء والقادة للجماعات أو  
الشعوب . لقد حرمانا هذا الفريق من المؤلفين والباحثين المتعصبين من أن  
نعرف مثلاً ، شيئاً ينبغى أن يعرف ، عن ديانات الجاهلين .  
كانت الوثنية منتشرة بين العرب فلا يعقل الا تكون لهم اشعار

(١) ابن قيم الجوزية : اخبار النساء ص ٦٧ .

(٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٢١٨ .

وأدعية وصلوات في آلهتهم ، غير ان المؤلفات الاسلامية التي بين أيدينا تكاد تكون خلوا من ذلك<sup>(١)</sup> ، في حين ان القرآن لم يغفل ذكر أسماء طائفة منها ، فذكر : اللات ، والعزى ، ومناة ، وسواع ، ويغوث ونسرا ، ذكرها منددا بها . كما عرفت عند الجاهليين المجوسية ، عند تميم خاصة ، وعرفت الزندقة ايضا ولا بد أن يكون لهذه الديانات أدعية واشعار وصلوات وطقوس دينية ولكننا لا نعلم نحن الآن عنها شيئا . وهناك دين الحيرة ، الذى لا يدري اصحابه اين يولون وجوههم ، ولا يعجبهم ما كان عند قومهم من ديانات ، كما ان اليمن ظهر فيها دين الثورة على الالهة القديمة والدعوة الى التوحيد . واخيرا ، وليس آخرا ، دين الحنيفة وهو مبدأ افراد كثيرين منتشرين هنا وهناك يدعون الى نبذ الشرك والميل الى التوحيد والاعراض عن العادات الذميمة والامتناع عن اكل الذبائح التى اهلت لغير الله كما هو واضح مما جاء عنهم فى القرآن الكريم (٢) . هذا بالاضافة

---

(١) بالرغم من تشبيط همم العلماء عن متابعة الدراسات المتصلة بالجاهلية واهمال كل ما يتصل بدياناتها بسبب نجد فى الشعر الذى بين ايدينا اشارات الى بعض عقائدهم وهى قليلة جدا كما نجد اكثر من ذلك فى اخبارهم . كما الف بعضهم كتباً فى عقائد الجاهليين ودياناتهم لم يصلنا جلها ، منها :-

١ - « الاصنام » لابن الكلبي الذى نشر بتحقيق المرحوم زكى باشا وطبع بدار كتب القاهرة سنة ١٩٢٥ م .

٢ - « الاصنام » وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله لعل بن الحسين بن فضيل بن مروان .

٣ - « آراء العرب واديانها » للحسين بن محمد بن جعفر الخالغ الذى وقف عليه ابن ابى الحديد .

٤ - « أديان العرب » للجاحظ .

(٢) البقرة ١٣٥ ، آل عمران ٦٧ ، النساء ١٢٥ ، الانعام ٧٩ ،

١٦١ ، يونس ١٠٥ ، النحل ١٢٠ ، ١٢٣ ، الروم ٣٠ ، الحج ٣١ ، البينة ٥٥ .

الى انتشار اليهودية والمسيحية وديانات اخرى \*

وكان من الاحناف الذين يدينون بالحنيفية زيد بن عمرو بن نفيل  
العدوى ، (١) وسويد بن عامر المصطلقى الذى وصلنا عنه بعض  
أقواله فى القدر ، والمنايا ، والخير ، والشر . (٢) وقس بن ساعدة  
الابادى (٣) الذى تنسب اليه خطابه فى الطبيعة والحياة الانسانية  
والتبشير بالنبوة . وزهير بن أبى سلمى المزنى (٤) الذى ذكر فى شعره  
ايمانه بالله وببقاء هذا العالم وبالخسر والحساب ووعظ الناس بذكر احوال  
الامم السالفة \* ومن ذلك قوله :-

فلا تكتمن الله ما فى صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم  
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم (٥)

ويهمنا فى هذا المقام من الحفاء أمية بن ابى الصلت الثقفى فالشعر  
الذى بين ايدينا والمنسوب اليه (٦) يصور انسانا مؤمنا بالله واحد ، اله  
خالق للسموات والارض وانه يحيى ويميت ، انسانا مؤمنا بالموت والبعث

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٩ ، طبقات ابن سعد ج ٣  
ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، أسد الغابة ج ٢ ص ٢٣٦ ، الاغانى ج ١٤ ص ٤٠ ،  
المؤتلف والمختلف للمرزبانى ص ٣٣٨ .

(٢) ابن حبيب . المحبر ص ١٣٦ . الالوسى : بلوغ الارب ج ٢  
ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٣) الاصابة ج ٥ ص ٢٨٥ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠ ، شعراء  
النصرانية ص ٢١١ - ٢١٨ .

(٤) ديوانه شرح ثعلب طبع دار الكتب ١٩٤٤ م ، شعراء النصرانية  
ص ٥١٠ - ٥٩٥ .

(٥) شعراء النصرانية ص ٥١٨ .

(٦) شعراء النصرانية ص ٢١٩ - ٢٣٧ .

والحشر والحساب مؤمنا بالجنة والنار وبامور اخرى كثيرة توافق العقائد الاسلامية موافقة تامة . اننا نجد في هذا الشعر مثلا تصويرا للجنة والنار كالصوير الاسلامي لهما . ونجد في احيان كثيرة موافقة تامة في الاسلوب والسبك والتصوير والمعنى بين هذا الشعر وبين ما في الاسلام ، كما نجد في هذا الشعر قصص الرسل والنبين مثل القصص الاسلامي . وهذا التوافق قد يدفع بالباحث الى القول بأن هذا الشاعر قد تأثر بالاسلام كل التأثير ، لان وفاته كانت سنة تسع للهجرة أو كما عبر عن ذلك ابن قتيبة اذ قال عنه : « وأتى بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب - وكان يأخذها من الكتب » (١) أو يدفع التوافق هذا بالباحث الى القول بان الاسلاميين نحلوه هذا الشعر وأرادوا خدمة الاسلام ، كان يدللوا على أن الجاهليين كانوا يتربون ظهور هذا الدين ليخلصهم مما كانوا فيه فصاروا يشرون به ويتمنون أن يكون اشراقه في أيامهم .

والذي نريد أن نقوله هو أن الثورة على الجاهلية كانت امرا واقعا خاصة على ما يتعلق بالديانات والعقائد بحيث لم يصل اليها منها شيء . والذي وصل اليها انما هو منحول وضع موافقا للاسلام في اسلوبه ومعناه وخياله ، أو غير منحول لكنه نقل اليها محورا عما كان عليه ونقل باسلوب يعين على التجريح والنقد . فشعر امية وما نقل اليها من شعر غيره لا يصح أن يكون صورة للاغانى الدينية التي كان ينبغي أن تكون عند العرب كما هي عند غيرهم كالعبرانيين مثلا .

وكما كان الاسلام ثورة على الديانات الشائعة عند الجاهليين كان ثورة على جل ما هو جاهلي : على الانظمة ، والتقاليد ، والاخلاق وغير ذلك .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٧٦ .

وما وجدناه نافعا فيها أقره على حاله أو عدل فيه وفاقا لمثله واهدافه • وما لم  
يجده موافقا نهى عنه ، فنبط همم الباحثين عن العناية به ، وصرف الناس  
عنه • فالعرب عرفوا مثلا بزجر الطير (١) وبالسحر والنفث في العقد (٢)  
وبالطيرة Augury وتطيروا من أمور كثيرة أهمها :- المرأة ، والدار ،  
والفرس (٣) ، والعطاس (٤) ، والغراب (٥) ، لكن الرسول نهاهم عن  
كل ذلك • فلم يجد الباحثون الاسلاميون دراسة هذه الامور امرا مرغوبا  
فيه ، وانصرفوا عن التأليف فيها وفي أمثالها • وصرنا لا نعرف من أمرها  
وامر أمثالها الا ما جاء عرضا •

٢ - **الشعبوية - وهي نزعات ثلاث :** اولها نزعة اهل المساواة  
الذين استندوا الى آيات وأحاديث كثيرة نحو « انما المؤمنون اخوة »  
والمساواة كما نعلم ركن من اركان الشريعة الغراء نلمسها في المعاملات •  
وانيتهما نزعة المتعصبين على العرب الذين جردوهم من جميع الفضائل  
واعتبروا الاسلام اذ ظهر بينهم لم يكسبهم فضيلة بظهوره (٦) ولم يكن لهم  
فيه فضل (٧) والاخيرة وهي نزعة المتعصبين للعرب •  
وكم لعبت هذه الاهواء المتباينة في معالم التاريخ العربي اذ كانت

---

(١) الجاحظ : الحيوان ج ٣ ص ٤٣٨ •

(٢) القرآن : سورة الفلق •

Thompson: Semitic Magic P. 33

(٣) عمدة القارىء ج ٢١ ص ٢٧٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ •

(٤) تاج العروس ج ١ ص ١٦٢ ، جامع الاصول ج ٧ ص ٢٩٨ -

٢٩٩ ، ٣٩٦ - ٣٩٧ •

(٥) الجاحظ : الحيوان ج ٣ ص ٤٣١ ، ٤٤٢ • لسان العرب

ج ١٦ ص ٢١٠ القاموس ج ٤ ص ٢٠٤ •

(٦) أحمد أمين - ضحى الاسلام ج ١ ص ٤٩ •

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ٥٣ •

للعصية قد أعمت الابصار عن ادراك الحقائق • ومن الامانة التاريخية والنزاهة العلمية أن يدون تاريخ العرب على وجهه ، ومن مصلحة العرب أنفسهم أن يعرفوا ماضيهم على ما كان وحاضرهم على ما هو عليه ، ومن حقهم أن يتطلعوا الى المستقبل وفق ما تقودهم اليه الامال المبينة على استعدادهم وكفائتهم • بيد أن ما حصل في التاريخ الجاهلي كان غير هذا ، اذ نجد فيه كثيرا من المتناقضات : (١) يغمز بعض المؤرخين شرف العرب ويقول : « كانت الروحانية الجنسية عند الجاهليين في أشد أوقات جزرها قبيل الإسلام فلم يكن اخلاص الرجل لزوجته شديدا وكان يدعوها الى معاشرته عيره من الرجال » (٢) ويستنتج آخرون ما يدل على عكس ذلك فيقولون « كانوا حريصين أشد الحرص على قواعد شرفهم ومواطن اعراضهم (٣) وينكر « رينان » مكانة العرب السياسية والثقافية والدينية (٤) في حين أن البعض يؤلف كتبيا خاصة بديانات العرب أو اصنامهم (٥) ويقول باحثون : ان العربي ذاتي أناني (٦) ويذكره آخرون بأنه مثال للتضحية والكرم ، ويصفه أناس بالمادية (٧) ويقول فريق انه يطرب للشعر ويقدره أكثر من كل شيء • (٨) |

---

(١) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٩٩ - ١٠٠ •

(٢)

S. Khuda Bukhsh : Contributions to the His. of Inlamic Civilization. V. I. P. 171.

(٣) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٣٧٧ •

(٤) المصدر السابق ص ٩٧ •

(٥) محمد نعمان الجارم - ديانات العرب في الجاهلية

Stobart : Ialam & its Founder. P. 13

ويراجع عامش ص ٧ •

(٦) أحمد أمين - فجر الاسلام ج ١ ص ٣٩ •

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ٣٩ •

William J. H. Sloane : The Poet Labid. P.13 (٨)

وقد هيا عدم تدوين تاريخ العرب في القديم ميدانا خصبا للاهواء والنزعات التي كان أقلها ضررا ما ردهه أهل التسوية ، الذين لم يرض عنهم ابن قتيبة ، كما بين ذلك في كتابه « تفضيل العرب »<sup>(١)</sup> لاعتقاده أن المباينة امر ضروري لا بد أن يوجد بين الناس<sup>(٢)</sup>

وكان المتعصبون على العرب أكثر من شوه الحقائق التاريخية وأضاعها وساعدهم على ذلك وجود بعض العناصر المثقفة فيهم ، اذ جعل هؤلاء همهم محو صفات العرب الحميدة ، فرموا نساءهم بالسوء ورجالهم بالذلة<sup>(٣)</sup> . وقد اتبعوا في تحقيق ذلك طرائق منها : انهم اتخذوا من الاحوال الفردية الشاذة أمثلة عامة بقصد الذم والافتراء . فمثلا نجدهم يصورون نساء العرب بما جاء في قول جرير اذ عيّر بني دارم :

وبرحرحان غداة كبل معبد      نكحت نساؤكم بغير مهور (٤)

لا فرق بين الشريقات المصونات المخدرات وبين الوضعيات . حتى أنهم جعلوا الاباحية شريعة الزواج في الجاهلية واتزعوا ذلك من قول عنترة وأمثاله اذ قال :

ان الرجال لهم اليك وسيلة      ان يأخذوك تكحلي وتخضي (٥)

وقد الف هؤلاء في مطالب العرب كتبنا كالكتاب الذي الفه ابو عبيدة الخارجي المذهب ، الاعجمي الدم والنزعة وكتاب غيلان ، اليهودي الاصل الزنديق العقيدة والمسلك<sup>(٦)</sup> كما الف المتعصبون للعرب كتب كثيرة ككتاب

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٥) ديوان عنترة العبيسي ص ٣٤ ( يوسف توما ) .

(٦) الالوسي - بلوغ الارب ج ١ ص ١٦٠ .

( العرب والموالي ) وكتاب ( العرب والعجم ) (١) .

ومن يتبع أمر الشعوبية يجد أن الامويين كان لهم يد طويلة في تحريكها واثارتها ، فقد حكموا بالعصية وساسوا الناس باثارة الضغائن وفرقوا في المعاملات بين الرعية فثار الاعاجم محافظة على مصالحهم في بادىء الامر يقابلون العصية بمثلها ، ثم تطورت الحالة واتسع الحرق اذ صاروا يتطاولون على العرب . ولا بد أن نشير الى أن الامويين الذين كانوا من أوائل موقدى نار العصية كانوا هم من أوائل من اکتوى بلهيبها . وكان الشعر أداة مطواعة لنشر أغراض أهل الشعوبية ودعم مبادئهم ومن ذلك أنهم لم يتورعوا عن وضع الاشعار ونسبتها الى غير قائليها الامر الذى يدعونا الى مضاعفة الجهود للوصول الى مواطن الحقائق .

### ٣ - العصية القبلية :-

المجتمع الجاهلى مجتمع قبلى والافراد ينضوون تحت لواء القبيلة بل يذوبون فى كيانها ، فان أحسن الفرد فالقبيلة المحسنة ، وان أساء فهى المسيئة . والقبائل وحدات اجتماعية مستقلة كالديولات الصغيرة المستقلة . ونظرة الافراد محدودة بهذه الحدود . ومن الطبيعى أن يتحرك التنافس والتسابق والتناحر بين القبائل فى ميادين الحياة الاجتماعية المختلفة وعلى أبواب الرزق وميادين الشرف . ومن صور التنافس والتناحر تباهي القبائل ، وتكاتها وفخرها على ما سواها . وجل ما فى الشعر الجاهلى هو من هذه المعانى ومما يتصل بها بحيث لا تكاد قصيدة من قصائده تخلو منها . والاسلام حارب التعصب القبلى والعننة الجاهلية والعدوان القائل على الافراد والجماعات وقتل النفس بغير الحق خدمة للمصلحة العامة ، وسعى الى أن يغرس مكان ذلك حب الاسلام ، الحب الواعى المدرك للخير .

(١) الجاحظ - كتابان له ذكرهما فى الحيوان ج ١ ص ٣ .

ولكن الخلق الجاهلي شأنه شأن كل الامور الروحية لم يكن من اليسير أن يتبدل أو يتحول ، عن مسلكه القديم وأهدافه ، بين عشية وضحاها . فقد حملت القبائل التي خرجت الى الجهاد في سبيل الله روح العصية معها الى الارض التي وطئتها أقدام الفاتحين : الى العراق والشام وفارس وما وراء النهر شرقا ، والى مصر وشمال أفريقيا والاندلس غربا . وامتد التعصب القبلي أجيالا كثيرة .

والذي يعنينا أمره الآن : هو القرن الثاني والقرن الثالث الهجريين ، القرنين الذين ابتدأ فيها التدوين ونشط التأليف . وكان الذين أدركوا الجاهلية وعرفوا أخبارها فرووها لمن بعدهم قد ماتوا ، ومات من كان يرويها عنهم في الغالب وجاء رواية الطبقة الثالثة أو الرابعة الذين ضعفت صلتهم بالجاهلية ، وضاعت دائرة معارفهم بأحوالها وضعف حماسهم لها . وصار هذا الفريق من الرواة مصدرا هاما من مصادر التاريخ ، ورواية أخبار الجاهليين ، وذلك لقلّة ما بين أيدي المؤلفين والدارسين من الاخبار فالتجأوا الى اولئك الرواة ليسدوا النقص ويتلافوا أمر ما ضاع من الاخبار بموت رواتها الاصلين . وكان هؤلاء الرواة - رواية الطبقة الثالثة أو الرابعة - الذين نسميهم بالرواة المحدثين لا زالوا يحملون روح العصية القبلية التي ورثوها عن آبائهم ، كان هؤلاء يضيفون المفاخر الى قبائلهم والقبائل المحالفة لهم ، وبعكس ذلك ينتقصون من مفاخر خصومهم ومناوئتهم . فكثير من الاخبار ، التي دونت في هذه الفترة - والتي وصلنا قسم منها ولم يصلنا كلها - قد دونت تحت تأثير تلك العواطف القبلية وفي ذلك الجو الذي كان فيه صراع قبلي وقومي وديني ، فلم يسلم ما وصل الينا من التلفيق والوضع والتحوير الا ما رحم الله . قال ابن سلام : - « وقد نظرت قریش فاذا حظها من الشعر قليل في الجاهلية فاستكثرت منه في الاسلام . » (١)

(١) طبقات الشعراء ص ٦٢ .

ذلك لان الشعر حتى تاريخ التدوين كان مفخرة من مفاخرهم ، اذ كان المدافع عن الاحساب والحامى الذائد عن القبيلة • وكانت القبائل فى الجاهلية ترسل وفودها تهنىء القبيلة بنبوغ الشاعر فيها (١) • وكان الشاعر يدافع عن قبيلته بعد الاسلام وبعد القرن الاول والثانى للهجرة •

وكان من نتائج تقديمهم بالعواطف القبيلة آثار فى التدوين والبحث عامة • فتحدد تفكير الرواة بحدود تلك العواطف بخلاف ما يتطلبه العلم والبحث الصحيح اللذان يتساميان على مثل هذه الحدود ، فضاقت آفاق الاخبار فمن هذه النتائج مثلا اننا نجد أن المدون من أخبار الجاهليين محدودا بجملته بحدود الحياة البدوية خاصة (٢) ، فهو بجملته مفاخر أو حماسة أو حروب أو بطولات أو مديح وهجاء • وهو يتصل بحياة أفراد معينين من ذوى المكانة فى القبائل • فحياة سائر الافراد ، وحياة الجماعات ودراسة العقائد العامة والعادات والامور الروحية وغيرها ، كلها لم تكن لتلق العناية الضرورية • وهذه ظاهرة طبيعية لان الرواة ونقله الاخبار انما كانوا يفهمون التاريخ على الصورة التى كانت تفهمها قبائلهم ، وقبائلهم تناقشه وتفهمه بمنطق العصر : أيام ، مناقب وبطولات •

ومن نتائج العصبية القبيلة : أن نجد ان القبائل الكبرى تحظى بعناية الرواة والاحباريين والمؤلفين ، أما القبائل الصغرى فلم تصبها العناية الضرورية • ثم ان قبائل الحجاز ونجد هى التى درست أخبارها وتناقلها خلف عن سلف ثم قبائل العراق والشام بعد ذلك فهى التى لقيت عناية المؤلفين والرواة • أما قبائل اليمن وخضرموت وعمان والعروض وسائر الجهات والاصقاع النائية • فما أصابها من العناية الا القليل • لان القبائل

(١) السيوطى : المزهرة ج ٢ ص ٤٧٣ •

(٢) يلاحظ على سبيل المثال العقد الفريد لابن عبدبره ج ١ ، ج ٣ ،

ج ٦ تحقيق سعيد العريان •

الاولى كانت ذات منزلة في الجاهلية ثم في الاسلام . ولان غالبية الرواة والاخباريين كانوا فيها .

ومن نتائج العصبية القبلية أيضا أن عني بأخبار أهل الوبر أكثر من أخبار أهل المدر (١) حاشا مكة مهبط الوحي وسوق العرب والمدينة مهجر المسلمين ، والحيرة ملتقى حضارة فارس والعرب في الجاهلية . كما كان من نتائج العصبية القبلية تدوين شعر ولهجات بعض القبائل وقلة العناية بقبائل اخرى فهذا ديوان أشعار الهذليين وهذه ما الحجازية وذو الطائفة وتلك لغة بنى الحارث بن كعب والى آخر ما هناك مما في متون كتب اللغة وكتب النحو والصرف والبلاغة والادب عامة . ثم لا بد لنا أن نقول ان للعصبية القبلية آثارا بعيدة في أن تعتبر لهجة بعض القبائل أفصح من غيرها في حين انها كلها ( لغات ) لهجات عربية قديمة فعليا هوازن وسليم وهذيل وعطفان وسفلى تميم مثلا هي أفصح من غيرها ولغة قریش لغة القرآن أفصح لغات العرب .

وهكذا فتأثير العصبية القبلية في تاريخ العرب أكثر من تأثيرها في تاريخ أية امة من الامم .

## (٢) حاجة العصر الجاهلي الى الدراسة العلمية :

يتضح مما سبق كيف تضافرت عوامل كثيرة على تشويه التاريخ والادب الجاهلي بحيث صرنا في أشد الحاجة الى القيام بالابحاث الضرورية لندون هذا التاريخ والادب على وجه منطقي معقول تطمئن اليه النفوس ولا يكون ميدانا لهذه القضايا المتناقضة التي نجدها تملأ بطون الكتب ، ويحار

---

(١) يلاحظ على سبيل المثال العقد الفريد لابن عبدربه ج ١ ، ج ٣ ،

ج ٦ تحقيق سعيد العريان .

الباحث حقيقة كيف يتخذ له طريقا للوصول الى حقائق الماضي بين قول « مولانا محمد علي » ( ان العصر الجاهلي عصر ظلام دامس ) (١) وقول آخرين ( ان الاسلام لم يأت للعرب بشيء جديد ) (٢) . واما فيما يختص بالشعر الجاهلي الذي هو المادة الاولى لبحثنا هذا فالامر لا يختلف فيه عن ذلك بشيء . فمن الباحثين من ادعى بأن اكثره مصنوع في العهد الاسلامي ومنحول (٣) منسوب الى الجاهليين ، ومنهم من قال بصحة صدوره عنهم واطمأن اليه فأراح نفسه من عناء البحث والتمحيص . والحق ان هؤلاء واولئك لم يكن بأيديهم موازين دقيقة متفق عليها يزنون بها ما لديهم من الشعر فيميزون بين المتحل منه والاصيل وكل ما احتكموا اليه في تمييز الشعر ونقده انما كان يستند الى أذواقهم وفروض لهم يرجحونها . في حين ان واجب الباحث المدقق ينبغي الا يقف عند هذا الحد بل عليه أن يبحث ويسعى لاظهار الحقائق النابتة التي يمكن أن يصوغ منها ذلك الميزان العلمي الصحيح ، الذي يهديه اليه بحثه المبني على الدراسات العلمية الصحيحة النتائج . وهذا في الواقع هو الذي أفدناه من بحوث المشككين في صحة الشعر الجاهلي . اذ أنهم بأبحاثهم هذه دفعونا الى السعي لايجاد أساليب حديثة تطمئن اليها النفوس لما تستند عليه من قواعد علمية تدعمها ودلائل واضحة تقومها .

ولكن على أى الاصول تقوم هذه الدراسة التي تقدم لنا الصورة الصحيحة للشعر الجاهلي أو تقربها اليها تقريبا مجددا ؟ انه يبدو لنا أن

---

Mawlana Mohammad Ali: Mohammad the (١)  
Prophet. P. 6

Rev. Canon Sell : The life of Mohammed. P. 2 (٢)

(٣) طه حسن - في الادب الجاهلي ص ١١٧ - ١٨٦ .

دراسة البيئة الجغرافية التي استوطنتها هذه الامة قديما هي أول ما يجب على الباحث أن يعنى به ليتفهم ما عسى أن يكون لها من آثار في حياة العرب ونفوسهم فيستكشف مقدار مطابقة الشعر للبيئة وصدق تصويره لها ويستبعد كل ما لا يصح أن ينمو في تلك البيئة من الأفكار والصور ثم دراسة الحياة الاجتماعية والعقلية والادبية .

### ١ - البيئة الجغرافية وصلاتها بنظم الحياة وطبائع السكان :

شبه الجزيرة العربية أكبر شبه جزيرة في العالم (١) ، والماء الذي يحيط بها من جوانب ثلاثة لا يخفف كثيرا من حدة الحرارة فيها . أما سطحها فمرتفع من الغرب وسيطر على سواحل تهامة الضيقة ، وسلاسل المرتفعات تمتد من الشام الى اليمن وتسمى بجبال سراة (٢) وهي توازي البحر الاحمر عموما وتقترب منه في مواضع كثيرة . أما متوسط ارتفاع هذه السلاسل فخمسة آلاف قدم ، وأقصى ارتفاع لها هو اثنا عشر ألف قدم ويقع في اليمن (٣) . أما انحدار السلاسل نحو البحر الاحمر فشديد والسواحل صخرية يصعب رسو السفن فيها (٤) . وانحدار أرض الجزيرة الى الشرق والبحر العربي تدريجي ، والأرض الوسطى منها تتألف من هضبة تدعى نجدًا ومتوسط ارتفاعها نحو الفين وخمسمائة قدما . وفي الاقسام الجنوبية تمتد سلاسل جبلية متقاربة الارتفاع تتصل بجبال اليمن ، وتكون بينها وديان مختلفة الاتجاهات تجري فيها السيول (٥) . وأعلى

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١

(٢) توجد في الجزيرة مواضع يقال لكل منها سراة وتضاف الى

اسماء القبائل .

3. Ency. Brit. Vol. 2 P. 169

(٤) حتى : تاريخ العرب ص ١٤ .

5. Ency. Brit. Vol. 2 P. 169

ارتفاع لهذه السلاسل هو الجبل الاخضر فى عمان الذى يبلغ زهاء عشرة آلاف قدم .

وتكوّن أغلب اراضى الجزيرة من صحارى وسهول قريبة من الصحارى . والصحارى تشمل : الحارر وهى صحور بركانية عديمة الزراعة عادة الا بعضها كحارر المدينة ، ثم الدهناء وهى بقعة واسعة رملية تمتد من حضرموت الى اليمن فى الغرب وعمان فى الشرق ويسمى قسمها الجنوبي بالربع الخالى *The Empty Quarter* حلّوه من البشر<sup>(١)</sup> وقد اجتازها السائح الانكليزى برترام توماس *Bertram Thomas* فى ٥٨ يوما<sup>(٢)</sup> كما تشمل الصحارى صحراء النفوذ وهى رمال عميقة الغور تمتد من واحة تيماء الى واحة الجوف وجبل شمّر<sup>(٣)</sup> التى تكسوها البسط الخضّر ذات الازهير لمدة اسابيع قليلة فى الربيع اذا حصل قبله شتاء مطير وهى حارة جدا فى الصيف .

وقديما قسم الباحثون اليونان ، واتبعهم الرومان - بلاد العرب الى ثلاثة أقسام :-

(١) العربية السعيدة : *Arabia Felix* (٤) وأهم اجزائها اليمن بلاد معين وسبأ<sup>(٥)</sup> التى بلغت شأوا بعيداً فى الحضارة قبل الميلاد بالفى سنة ، حتى اذا تأخرت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية اهملوا تنظيم شؤونهم

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٤١٩

(٢) *Ency. Brit. Vol. I P. 183*

(٣) *Ency. Brit. Vol. 2 P. 173*

(٤) وتسمى كذلك *Arabia Eudaimon* أو

*Arabia Beata*

(٥) كما يشمل هذا القسم جنوب غربى بادية الشام

وانتهى امرهم بانهدام سد مأرب (١) . ويدخل في هذا الجزء من بلاد العرب الحجاز ونجد والعروض والبحرين واليمامة ومن سكان هذا الجزء الذين ذكرهم اليونان : المعينيون ، والسبثيون ، والحميريون ، والحضرميون والتموديون . وهذا القسم من البلاد المستقلة سياسيا في الغالب .

(٢) العربية الحجرية : Arabia Petraea وتشمل البلاد التي حكمها الانباط وشبه جزيرة سيناء وعاصمتها بطرا وقد خضعت للرومان اذ احتلها ( تراجان ) عام ١٠٦ للميلاد بعد أن تدهورت سياسة الانباط ، وسموها المقاطعة العربية Provincia Arabia

(٣) العربية الصحراوية : Arabia Deserta (٢) وتشمل بادية الشام وقد تدخل فيها بادية السماوة حتى حدود بحيرة النجف والحيرة ففي الاراضي الصحراوية التي لم تستطع جيوش الرومان بسط سيطرتها عليها وسكانها من البدو الذين كانوا مصدر رعب لسكان البلاد الحصبية المجاورة لهم وخاصة سكان الهلال الحصب لان هذه القبائل كثيرا ما كان يضطرها المحل وقلة الماء والكأ الى غزو اراضي الهلال الحصب والاستيطان فيه .

وهذه الاقسام الثلاثة حدودها غير ثابتة فقد اتسع حدود قسم منها على حساب القسمين الاخرين .

وتقسيم الجاهليين لجزيرتهم في القديم لم يصلنا بصورة يعتمد عليها ولكن تقسيمهم لها قبيل الاسلام يرجح أن يكون مثل تقسيم المسلمين لها في صدر الاسلام ، فكانوا يقسمونها الى خمسة اقسام :

---

Historian's History of the World, Vol. 8 P. 5 (١)

(٢) وتسمى في اليونانية Arabia Eremos

١ - **الحجاز** . ويمتد من تخوم الشام ويسمى قسمه الشمالى بارض مدين وكانت تسكنها جذام<sup>(١)</sup> ، وأرض حسمي وهي مناطق جبلية خصبة كثيرة المياه وبها آثار وعاديات ومن جبالها ارم يظن انه المذكور فى القرآن<sup>(٢)</sup> وفى الحجاز وديان كثيرة تمر بها طرق وهي اراضٍ خصبة من أشهرها وادى القرى بين العلاء والمدينة وله أهمية تجارية كبيرة فى الجاهلية وكانت به قرى كثيرة من أهمها « قرح » وهي من أسواق الجاهلية الشهيرة .

٢- **تهامة** : وهي القسم الساحلى الضيق المتد على ساحل البحر ولانحداره يسمى بالغور أو السافلة<sup>(٣)</sup> وتقع مكة فى تهامة وهي بلد قديم مصيفها الطائف على جبل غزوان<sup>(٤)</sup> المرتفعة خمسة آلاف قدم عن سطح البحر<sup>(٥)</sup> وميناء مكة جدة .

٣ - **اليمن** : وكانت فى الجاهلية تطلق على بقعة اضيق مما تطلق عليها اليوم ولكنها فى العهد الاسلامى كانت تطلق على ارضٍ اوسع مما تطلق عليها اليوم . وتتخللها اودية كثيرة تنساب فيها مياه الامطار ومن بلاد اليمن حضرموت ومهرة وظفار وعمان .

٤ - **العروض** : وهي صحار وسهول ساحلية وتشمل اليمامة والبحرين وما جاورهما ومنها « قطر » وكان فيها سوق قديم وتشمل العروض منطقة الاحساء والقطيف حيث تكثر العيون<sup>(٦)</sup> وفى الجنوب

---

1. Ency. Brit. Vol. I P. 368

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٧٧

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣٧ ، ج ٦ ص ٣١١ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٢٨٩

(٥) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٣٥

(٦) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٦٨

الغربي من القطيف تقع « العفير » وهي ميناء صغير (١) وعلى مقربة منها « الجرعاء » Gerrhaei وهي مدينة تجارية شهيرة عرفها اليونان والرومان .

٥ - نجد : وتشمل اليمامة وتسمى بـ « جو » أيضا (٢) ومركزها «حجر» وهي موطن طسم وجديس ومن مدنها :- « منفوحة » وبها قبر الاعش ، وسدوس وهي مدينة قديمة . اما نجد نفسها فهي وسط الجزيرة وتشمل منطقة وادي الرمة والمنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية . ونجد العالية هي التي تحاذي الحجاز وتهامة والسافلة وهي التي تلي العراق .

عاش العرب في جزيرتهم الواسعة هذه التي تمتد سهول رملية في جنوبها وجنادل حجرية في شمالها ، وتوجد في الجهات الجبلية منها عادة ينابيع يسكن حولها أقوام يشتغلون بالزراعة ، ويقطنون قرى متباعدة . والى جانب هذا جبال جرداء وصحار رملية مترامية الاطراف . وطبيعة التربة في شبه الجزيرة لا تحبس المياه في الغالب ، والامطار قليلة وقد تتأخر ففضيق الارض بمن فيها ، لهذا كثرت أسفارهم وهجراتهم من مكان الى مكان .

قال ( هل ) « ان شبه الجزيرة لا يشمل صحارى وسهوبا فقط ، ولكن فيه اراض غاية في الخصب كانت تزرع منذ آلاف السنين ، وفيها المدن الآهلة بالسكان تمتد على ساحل شبه الجزيرة بوجه عام ، وكانت في الأزمان الغابرة أحسن حالا مما هي عليه اليوم . وفي القرنين السادس والسابع كانت اليمامة ونجد تسدان حاجة العرب من القمح لأن اراضيها المزروعة لا تقل عن اراضي اوروبا المزروعة اليوم وتبذها خصبا في كثير من

---

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٧٢-٧٣

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ٥١٦ .

البقاع» (١) وقال ( سيدو ) « والحجاز يشتمل على أكثر مدائن العرب فهو لهذا كان يجذب النفوس اليه واشتهر بقلاعه الحصينة التي تقى سكانه شر الهجمات الخارجية . وفيه بساين الطائف المشهورة بفواكهها والمدينة الشهيرة بتمرها» (٢) .

وكان من مميزات حياة العرب أمور ثلاثة : هي أنهم كانوا يتكلمون العربية وان اختلفت لهجاتها ، وأنهم أهل وثنية بصورة عامة ، وينقسمون الى بدو وحضر . وقد وصف ( سمنه (٣) ) المؤرخ المصرى فى عهد الأسرة التاسعة عشرة البدو منهم فقال : « انهم رعاة يحبون السلب والنهب» ويتضح من هذا الوصف ، الذى استعرضنا فيه الجزيرة العربية بأقسامها المختلفة ، ان البيئة الجاهلية كانت فقيرة ، بالنسبة للبلاد المجاورة لها وبالنسبة للبلاد الاخرى ذات الحضارات ، فى كثير من عناصر الحياة الراقية وخاصة فيما يتعلق بوسائل اللهو ، والفنون الجميلة ، والمناظر ذات الالوان المختلفة . كل هذا دفعهم الى أن يوجهوا عنايتهم بصورة خاصة الى فن القول والى المرأة التى كانت تتمتع بقسط وافر من الحرية عندهم ، وتبادل الرجل أفكاره وعواطفه الصادقة ، ونظرا لقله خيرات بيئتهم فانه كان من المتوقع أن تكثر أسفارهم وتنقلاتهم طلبا لوسائل الحياة . وعلى هذا كان لا بد من احتكاك القبائل بعضها ببعض وحدوث المنازعات التى تجرهم الى حروب امتدت امتداد اختلافاتهم الطويلة على وسائل الرزق والعيش .

---

1. Hell : Culture der Araber, trans. by Kh. Bukhsh, P. 2 - 3

2. Sedillot: Histoire Generale des Arabs V. I P. P. 41 - 42

3. Simneh

(٤) حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسى ص ٣٦ .

وفى تلك البيئة المكشوفة غير المحصنة لم يكن للمرأة ما يمنعها من التعرض  
لاخطار خلافات القبائل وحروبها • ولهذا كان من الطبيعي أن تشترك  
الى حد ما - فى تلك المنازعات وهى بهذا لم تستطع أن تمنع نفسها من  
الوقوع فى الأسر أو النهب عنوة • وهى لوجودها الى جانب الرجل لا بد  
أن تدفعه الى اظهار مروءته التى من أهم مميزاتها الشجاعة والكرم واغائسة  
الصريخ وغيرها من الاخلاق النبيلة • ولوجود المرأة الى جانب الرجل كان  
لا بد له أن يتوجه اليها بكريم خصاله وجليل فعاله ، وخالص حبه وولائه  
وعطفه واحترامه ، وذلك حسب منزلتها فى نفسه وصلتها به • وكانت هى  
ترقب أعماله ، وتظهر حرصها على ادرارة بيته وسلامة بدنه ، فتضمد جراحه  
اذا أصيب وتشد من عزيمته اذا وهن ، لانه سندها الذى تعتمد عليه ،  
وحاميتها فى ساعة المحنة والشدة •

وقد نتج عن قلة خيرات بلادهم عدم قيام حكومات منظمة تدافع عن  
حقوق الافراد فانقسموا الى قبائل تجمعها رابطة الدم حقيقة كان ذلك أو  
كما كانوا يفترضون ، وكانت أولى واجبات القبيلة حماية حياتها من عدوان  
الطبيعة وعدوان الجماعات الاخرى • وكثيرا ما نشأ اختلال فى التوازن بين  
ما تنتجه الارحام وما تنبته الارض مما أدى الى ازهاق الارواح فى الحروب  
تارة ، وبألوان اخرى • وقد يضطر هذا الاختلال القبيلة كلها الى الهجرة  
الى البلاد الغنية المجاورة • وكانت كل قبيلة تحرص على أولادها ولا تسمح  
فى العادة ، بزواج بناتها فى القبائل الاخرى محافظة على قوة القبيلة لتصبح  
مرهوبة الجانب •

#### ب - عناصر الحياة الاجتماعية :-

اولا - دراسة الحياة الاقتصادية - لقد فرغ العلم من اثبات الصلة بين  
الحياة الاقتصادية والاجتماعية بحيث اعتبرت الثانية نتيجة للاولى فى أكثر

عناصرها اذ تتوقف عليها أساليب المعاملات وطبيعة الحضارة • ومن هذا ظهر  
كثيرون ممن نادوا بضرورة إعادة كتابة التاريخ الانساني على ضوء هذه  
الاعتبارات المادية • وقد ارتبطت آداب الاقوام بحياتهم الاقتصادية وتأثرت  
بها ومن هذا نجد المؤرخين الاقتصاديين أنفسهم (١) لم يكتفوا بالرجوع  
الى الاحصائيات فى أبحاثهم الاقتصادية بل رجعوا الى القصص والادب فى  
القرن الثامن عشر وفى أوائل القرن التاسع عشر فى اوربا باعتبارها شواهد  
معاصرة على الاحوال الاجتماعية • ولهذا التعاون بين الادب والاقتصاد كان  
تفهنا للادب يكون أكثر حيوية اذا ما أحطنا علما بالحياة الاقتصادية التى  
نشأ فيها • قال ( السير جون ا • هامرتن ) : كم يزداد انشراحنا اذا قرأنا  
(ديغو) و(فيلدينج) و(الآنسة أوستن) و(ديكنز) وكنا على بصيرة بالتاريخ  
الاجتماعى والاقتصادى والسياسى للعصور التى كتبت فيها هذه المؤلفات •  
ومن الذى فى مقدوره أن يشرح قطعاً كبيرة من شعر (شيللى) و(بيرون) (٢)  
دون أن يكون محيطاً بسياسة الحلف المقدس ومجلس الوصاية ؟ وهكذا  
نرى أن أكثر ما كتب ( جورج برو ) وجل ما ألف (بيكن) مستغلقاً على  
كل من يجهل أحوال انكلترا ايام ( جورج الرابع ) و( وليم الرابع ) ، (٣)  
أما فيما يتعلق ببلاد العرب فان أثر الحياة الاقتصادية فى تكيف حياتهم  
العقلية والثقافية والاجتماعية كبير وواضح جدا • فلقد كانت الاحوال  
الاقتصادية تختلف باختلاف الاقوام التى كان يتمتع بعضها بخيرات كثيرة  
ساعدته على النهوض العقلى ، فى حين كان البعض الآخر منهم يعانى أهوال

---

(١) مثل الدكتور Clapham والسيد Hammond وزوجته

(٢)

Degoe, Fielding, Austen, Dickens, Shelly, Byron

(٣) السير جون ا • هامرتن - تاريخ العالم • ترجمة وزارة المعارف

المصرية •

الفاقة وقساوة البداوة • وقد دلت الوثائق الثابتة على رقى البابليين ،  
والمصريين ، وسكان اليمن ، وقبائل عاد وثمود الذين تحدث عنهم اليونان  
والرومان (١) • والكتب المقدسة هي أهم المصادر لدراسة الاحوال  
الاقتصادية لبلاد العرب ، بيد أن الصعوبة فيها هي كيفية فصل ما هو ديني  
عما هو تاريخي ، حتى أن الامر ليستحيل أحيانا (٢) • فهي قد صورت  
مثلا كيف أن بعضهم كان يقدم المبالغ الكثيرة مهرا لزوجته كما صورت  
البعض الآخر يؤجر نفسه السنين الطوال لعدم توافر المال لديه ليمهرها به ،  
كما ورد ذلك في قصة ابنة يعقوب وابنة شعيب (٣) عليهما السلام ، وفي  
هذا دلالة واضحة على التباين في المنزلة الاجتماعية بين الأفراد عندهم •

وللاستاذ ( ستوبارت ) بحث قيم اعتمد في كتابه على مصادر موثوق  
بها وفصل فيه طرائق معيشة العرب ومصادر رزقهم وعُني عناية خاصة  
بالطرق التجارية التي خلقت أهم مدن الجزيرة ، وأوضح كيف ان أخلاقهم  
وأحوالهم كانت نتيجة لحياتهم الاقتصادية فذكر كيف ان حرية التنقل قد  
خلقت فيهم حرية الرأي وبساطة العيش وحضور البديهة والكرم الواسع •  
كما أرجع عنايتهم بالشعر واهتمامهم بالفصاحة والبيان الى طراز  
معيشتهم (٤) ، وهكذا فعل ( روبرتسون سميث ) ولو أنه لم يميز بين النظم  
المختلفة باختلاف القبائل والازمنة والجهات اذ جعلهم كأنهم قبيلة واحدة  
أحيانا يتصفون بصفات الحرب فقال : ان الحروب كانت مستمرة بينهم

(١) محمد فريد وجدى - دائرة المعارف ج ٦ مادة عربي

(٢) ابن قتيبة - عيون الاخبار ج ٤ باب المهور

The Cambridge Mediaval His. V. II P. 302.

(٣) القرآن الكريم ٢٨/٢٣-٢٧ •

(٤)

J. W. H. Stobart: Islam & its Founder, P. 11 - 13.

وفكرة الملكية غير معروفة لديهم والاموال والنساء مشاعة للجميع . وقال ان العطاء لم يكن فضيلة عندهم انما كان واجبا معترفا به ، والمرأة التي تؤسر عندهم لا يختص بها زوج واحد فكأنهم جماعة شيعوية بدائية . (١) والظاهر أنه تأثر في هذا بكتابات المؤرخ اليوناني القديم ( سترابو ) .

ومن المعروف أنه حدث في القرن الخامس للميلاد تطور في فن الملاحة عند الرومان ، فاستطاعت سفنهم الكبيرة أن تمخر عباب البحار وكان لهذا تأثير كبير في حياة العرب الاقتصادية اذ قلت به أهمية الطرق التجارية البرية ، التي كانوا يعولون عليها في موارد رزقهم . فكشرت لهم الفاقة عن أنيابها في ابتداء القرن السادس على ما رواه المؤرخون (٢) . ولم يكن أثر هذا التحول عن الطرق البرية مقصورا على العرب ، بل تأثرت به سائر الامم ، وان كان العرب أشدهم تعرضا له . ويقدم القرآن الكريم صورة مريعة لحالة العرب في ذلك الوقت . اذ أصابهم الهلع والخوف من الهلاك فعمدوا الى أولادهم يقتلونهم خشية اطلاق يائسين من رحمة الله وساءت حالهم حتى أكلوا الميتة والدم ، وعدوا على الموازين يخسرونها ، واخذوا الربا أضعافا مضاعفة ، وأغار بعضهم على بعض يتزوجون النساء عن طريق الاسر والنهب ، حين قل عددهن وارتفعت مهورهن (٣) . ولكن هذا الخوف قد وحدهم أخيرا تجاه الخطر المشترك ووجه أنظارهم نحو البلاد التي تكثر فيها الخيرات من حولهم (٤) . وقد أدى هذا التحول الخطير في

(١)

Robertson Smith: Kinship & Marriage, P. 150

(٢) المسعودي - مروج الذهب ج ١ ص ٢١٩

S. A. Huzzin: Arabia & The Far East P.5

(٣) الاغانى ج ١ ص ١٣

Bevan James: Women in Islam P. 12 - 14.

Stobert: Islam etc P. 13.

(٤)

طرق التجارة الى زوال حضارات قديمة فخيّل للناس عند ذاك أنهم خلقوا سدى وأن المدنية الانسانية أصبحت على شفا حفرة من الانهيار . ويظهر ذلك من استعراض المؤرخين لاحوال هذه الفترة اذ توهموا فقالوا : ان الحضارات القديمة قد تحطمت فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين فلم يعد هناك شىء يقوم مقامها . ونجدهم يأسفون على ضياع أتعاب الجنس البشرى آلاف السنين (١) ، فتغير طرق التجارة وما يرافق ذلك من اضطراب فى الاقتصاد والمعاش والانحطاط الفكرى والخلقى بسبب انهيار المصادر التقليدية للنظام الاجتماعى والعجز عن احلال شىء محلها ، وقد سبب تمركز الثروات بشكل يثير حربا بين الطبقات وثورات وانهيارا ماليا . وهذا وغيره قد يؤدى الى موت الحضارة احيانا ، اذ الحضارة ليست أمرا طبيعيا دائما ، انما يجب ان يغذيها كل جيل (٢) .

لقد اصاب العرب انهيار اقتصادى أدى الى انهيار شامل فى النظام الاجتماعى وتمركزت الثروات بيد افراد معدودين وصار الشعب كله يعانى الفاقة وكان تحول طرق التجارة التى هى أهم الموارد لاقتصادهم ، قد حول انظارهم الى موارد اخرى . فتوجهت نحو البلاد المجاورة الغنية فوجدوها فى غمرة انحلال سياسى ، وما كانوا يعانونه من الضيق قد وحد قضيتهم وعين هدفهم . وشاءت الحكمة ان يشرق الاسلام ، ويحملهم رسالة الدعوة له ، فساروا بحماس منقطع النظر تحت لوائه يبشرون الناس به كافة فاصابهم ما اصابهم مصداقا لقوله تعالى « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

وهكذا نجد فى دراسة الحياة الاقتصادية معينا على تفهم أحوال العرب السياسية والعقلية والثقافية . فلنلتمس ذلك فى أسواقهم التجارية ومعاملاتهم

---

1. Mawlana M. Ali: Mohammad The Prophet, P. 10

(٢) جورج حداد : المدخل الى تاريخ الحضارة ص ١٩ .

المالية • ومن الذين تحدثوا عن نظام الحياة الاقتصادية للجاهليين (سترابو) اذ قال كل الاعراب رحل ويشغلون بالتجارة ، ولم يكن الناس بمكة نفسها يقدرون شيئاً مثل ما يقدرون الاشتغال بالتجارة ، ومن لم يكن تاجراً فيهم ما كان عندهم شيئاً • وحتى النساء انفسهن كن يحترفن التجارة ويزاولن أعمالها ، وكانت الصفقات التي يعقدنها بأنفسهن بسيطة نسبياً • وكان من بين المشتغلين والمشتغلات بالتجارة في الجاهلية من لو كان في عصرنا هذا لعد من أصحاب الملايين (١) •

#### ثانياً - دراسة حياة اجتماعية مماثلة :-

قلنا في مطلع هذا التمهيدي انه ليس من الممكن العملي أن نجد اليوم مجموعة من القبائل العربية تكون قد حافظت على نمط المعيشة التي كان الجاهليون يعيشون عليها بحيث انها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم لم يطرأ عليها تغير يذكر في حياتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية • ونفينا نظرية البقايا Theory of Urivival ولكن قد يكون من الممكن العملي ان توجد اليوم قبائل عربية او غير عربية تعيش في ظروف مماثلة الى حد كبير ، للظروف التي كان الجاهليون يعيشون فيها واذا كانوا كذلك كانت أحوالهم مشابهة لآحوال العرب الجاهليين ، فلو درسنا نظم هؤلاء وحياتهم وأساليب تفكيرهم نكون كأننا درسنا أحوال الجاهليين ، أو شيئاً قريباً من أحوالهم (٢) • لكن هناك صعوبة في تطبيق هذه النظرية وهي صعوبة معرفة ظروف الجاهليين تماماً ، وبالتالي في اختيار النموذج •

---

1. H. Lamman: L'Islam Groyances et Institutions  
P. 20 - 21 .

(٢) محمد جميل بيهم : المرأة في التاريخ والشرائع ص ٢ - ٩ •  
جورج حداد : المدخل الى تاريخ الحضارة ص ٧٤ - ٧٥ •

فالمشكلة قائمة في كلا النظريتين • وما دام الامر كذلك فقد اضطر بعض الباحثين الى قبول نظرية مشابهة الظروف مع ما فيها من عقبة اساسية • فاعتمد ( جوستاف لوبون ) على دراسة الحياة البدوية اليوم لمعرفة احوال قدماء العرب • ووجهة نظره في قبول هذا الفرض هي أن يعتقد ان تحول حياة الطبقات العاملة ، في كل امة بطيء ، بخلاف الطبقات الراقية (١) ويؤيد رأيه ، الى حد ما ، المذهب الاجتماعي القائل : بأن الانسان انما هو نتاج البيئة والظروف المحيط به • وقد وافق العلامة ( كوست ) العلامة ( لوبون ) في اتخاذ البدو اليوم نموذجا (٢) ، فلاحظ ان البدويات يقمن بشؤون البيت وتربية الماشية (٣) وأرجع الروح الفردية فيهم وعدم خضوعهم للسيادة الى قلة مطالب حياتهم • أما المزارعون القدماء فاتخذ لهم من حياة سكان حوران نموذجا وقال : ان نساءهم يعاملن بلطف ويراقبن مراقبة دقيقة ، وقلَّ أن يرتكبن خطيئة لان عقابها القتل عندهم (٤) • ونجد ( دوامس ) الذي درس حياة عرب شمال افريقيا يصل الى نفس النتائج (٥) وكلاهما وصف العرب بالادب الجرم وذكر طمأنينتهم النفسية (٦) التي جعلها ( جوستاف لوبون ) خيرا مما عند الاوروبيين من الاضطراب النفسى ، الصادر عن انغماسهم في كفاحهم العنيف (٧) • وقال ( سميث ) كان بعض

---

(١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٣٧١ - ٣٧٤ •

(٢) المصدر السابق •

(٣) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٣٧٥ - ٣٧٧ •

(٤) المصدر السابق •

(٥)

E. Daumas: La Vie Arabe et la Société Musulmane  
P. 290

(٦) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٣٨٦ - ٣٨٧ •

(٧) المصدر السابق •

العرب يشتغل بالزراعة ويسكن القرى أو المدن • والتجارة في بعض هذه المدن أهم حرف السكان وهذا ما يستدعى بطبيعة الحال ، أن يكون بعض البيئات الاجتماعية أرقى من بعض • وقال : ويكاد النمط الاجتماعي يكون في شبه الجزيرة كلها واحدا فالوحدة الاجتماعية والسياسية هي القبيلة (١)

### ثالثا - دراسة القانون :-

ولما كان القانون مظهرا اجتماعيا في كل أمة ففي دراسته دراسة لحياتها الفكرية (٢) لانه وليد العادات الناشئة عن المعاملات ومثل القاعدة القانونية مثل اللفظة في اللغة اذ هما لا يوضعان الا بدافع الحاجة • لهذا ينبغي ألا تصور المشرعين كموس وسولون فرضوا شرائعهم على قومهم من عندهم لان ذلك لا يتأتى لاعنف الفاتحين (٣) • لهذا لم يكن الاسلام الا امتدادا لاصول عريقة ، ولم يكن بعيدا عن الفضائل الجاهلية فقد أقر كثيرا من قواعدهم وعاداتهم (٤) • وكان المشرع العربي يستمد نظمه وقواعده من القوانين القديمة (٥) فالاسلام مصدق لما سبقه من التوراة والانجيل وكان الرسول يترك القبائل على ما تعارفت عليه ان لم يكن مخالفا للنظم الاسلامية • ثم ان التمازج العقلي والمادى بين العرب والشعوب التي أخضعوها

(١)

Robertson Smith: Kinship & Marriage in Old Arabia,  
P. I-2.

(٢) على بدوى - أبحاث التاريخ العام للقانون ج ١ ص ٩ - ١٠ •

(٣) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٤٠٧ - ٤٠٨ •

(٤)

Chiragh Ali: Reformes under Muslim Rule P. XXI

(٥)

M. de S.: Résumé de l' Histoire des Traditions Moral  
et Religieuses. P. 335.

ليدل على شيء كبير من التقارب بين نظم العرب ونظمهم والا فكيف نعلل سرعة امتزاج الحضارة والقوانين العربية بحضارات البلدان الراقية التي دخلها العرب فاتحين . فكان هناك تقارب في مستوى الثقافة بدليل ما حصل من المصاهرة والامتزاج الذي جعل الكل أمة اسلامية (١) واحدة . وما كان نمو الآداب الإقليمية في الدولة الاسلامية فيما بعد ليخالف القواعد التي رسمها الاسلام للسلوك والاخلاق . وهذه القواعد كانت مما يجيش في صدور العرب في الجاهلية بدليل ما أظهره المتحمسون للدين ، وبدليل كراهية العادات التي ابطلها الاسلام عند الجاهليين أنفسهم مثل كراهيتهم للوآد . كل هذا يدل على اتصالهم فيما بينهم وصلتهم بالعالم الخارجي . فهم لم يكونوا أمة منعزلة (٢) ، اذ يروى أنه كانت للرومان بيوت تجارية في مكة ، وكانت تجلس على العرب (٣) . الامر الذي يدل على خطرهم في السياسة الدولية اذ ذاك . ومما يدل على رقيهم قوافلهم التجارية العظيمة (٤) التي أكسبتهم ثروة مادية وعقلية (٥) . وكانت الحيرة من أهم المراكز التي تلتقى فيها الثقافات ، فيحصل فيها التمازج . فالدلائل اذن تتضافر كلها على وجود رقي حضارى لدى العرب ، وبرغم هذا فقد نظر بعض رجال القانون الى الجاهليين على أنهم شعب فطرى وشبههم بالانجليز قبل الفتح النورماندى ، وبالرومان قبل تدوين الألواح ، وبال يونان قبل شريعة سولون (٦) ، فاعتبروا القرآن التدوين الاول لشريعة العرب في حين أن شريعة حمورابى التي

- 
- (١) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٤٠٨ - ٤١٠ .
  - (٢) أحمد أمين - فجر الاسلام ص ١٣ - ١٥ .
  - (٣) المصدر نفسه .
  - (٤) الطبرى : حوادث عام ( ٢ ) ص ١٢٩١ .
  - (٥) أحمد أمين - فجر الاسلام ص ١٧ .
  - (٦) على بدوى - تاريخ الشرائع ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

وضعت حوالى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد انما هى من شرائع هذا الشعب •  
والذى رآه (سمث) هو أن العرب كانوا فى الجاهلية يؤلفون طبقات اجتماعية  
مختلفة فى التهذيب ، فكان هناك فرق كبير بين البدوى المتغلغل فى البداوة ،  
وبين التاجر الفنى من مكة ، وهذا الفرق كان كبيرا بمقدار ما هو اليوم •  
وكان يستتبع هذا التباين بطبيعة الحال تباين فى القوانين والعادات الاجتماعية  
وقال : اننا لا نجد فى ثنايا الاحاديث وكتب التفسير ما يشير الى اختلاف  
العادات التى كانت عند الجاهليين ، وان هذا الاختلاف كان مادة للمنافسة  
التى حصلت بين المهاجرين وبين المكين أنفسهم ، الذين ورثوا عادات قدماء  
أهل مكة (١) ، واذا استعرضنا منزلة المرأة التى يرسمها الشعر الجاهلى  
وجدناها أسمى من الصورة التى تصورها القوانين اليونانية والرومانية  
والانجليزية فى العصور التى أشاروا اليها (٢) ، فنجد الشاعر العربى  
يناجيها فى السر والعلانية ، ويستشيرها ويحكم اليها فى فنه ، فى حين أن  
احتها الاوروبية ما كانت الامتاعا دهرًا طويلًا ، حتى عصر جستينيان  
ويثبت الشعر أن العرب خاضوا أهم حروبهم لاجلها وكانت للنساء  
مؤهلات عالية تمكنهن من اشغال هذه المنزلة الرفيعة ، فقد عرفن عامة بالعبقة  
والأدب الجم وقد بنين أكثر تصرفاتهن على قواعد الشهامة (٣) .

رابعا - دراسة الحالة الدينية - والدين نظام اجتماعى وهو أوسع  
مدى من القانون (٤) ومصادره عند العرب الكتب المقدسة والاثار القليلة

(١)

Robertsom Smith: Kinship & Marriage in Old Arabia  
P. I-2.

(٢) سعيد الافغانى - الاسلام والمرأة ص ١٢ •

(٣) عبدالله عفيقى - المرأة العربية ج ١ ص ٧ •

Blunt: The Seven golden Odes, P. 12.

(٤) عبدالرزاق السنهورى - اصول القانون ص ١٦ - ١٧

وفى الشعر ذكر لتماثلهم . (١) والمرجح أن الديانات المجاورة قد دخلت بلاد العرب (٢) فجاءتهم اليهودية من الشمال ، (٣) وكانت أشهر مواطنها فى بلاد العرب فدك وخيبر (٤) التى حالف أهلها العرب ، فسُئوا الاحلاف (٥) . أما المسيحية فجاءتهم من الحبشة (٦) كما جاءتهم من الشمال بعد أن حطم ( تيس ) Titus القدس عام ٧٠ بعد الميلاد (٧) ونالت اليهودية من نفوس العرب أكثر من احتها المسيحية (٨) وان انتشرت الاديرة (٩) ، واعتنقها خلق من اليمن والحيرة (١٠) وعرفت بها ربيعة وغسان وقضاة (١١) وتنسك فيها كثيرن (١٢) .

- 
- (١) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٥٣  
جستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٩٠ .
- (٢) Albert A. Traver : His. of Ancient Civi.,  
Stobart: Isla. atc, P. 22.
- (٣) Von Kremer: Contribution of The History of  
Islam.
- (٤) أحمد أمين - فجر الاسلام ص ٢٧ .  
(٥)
- Rev. Canon Sell : The Life of Mohammad P. 2.  
(٦، ٨)
- Von Kremer: Contribution of the His. of Islam.  
Stobart: Islam & its Founder P. 23. (٧)
- Stobart: Islam etc. P. 24. (٩)
- (١٠) ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج ٨ ص ٢٦٢ .  
(١١)
- Daumas: La Vie Arabe et La Société Musulman, P. 4  
(١٢) أحمد أمين - فجر الاسلام ص ٣١ - ٣٢ .

ويتضح من هذا أن العرب لم يكونوا بغير دين<sup>(١)</sup> ، ولا يصح الاستشهاد بوجود الملاحدة فيهم ، إذ لا تخلص أمة في كل زمن إلى شريعة واحدة بل على العكس من هذا ، فانهم كانوا على جانب من التدين بعيد فقد نقل ( هيوار ) عن هيرودوتس ( Herodote ) في تاريخه أنه لا يوجد شعب أكثر من العرب تدينا<sup>(٢)</sup> ، ولا أدل على تأثير الدين من جعلهم الأشهر الحرم ، واتخاذهم مكة مثابة للناس وأمنا ، وهذه سببها بنت الاحب توصى ابنها بقولها :

ابنى لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير

واحذر محارمها ولا يغررك بالله الغرور<sup>(٣)</sup>

وليست زندقة قریش الا دليلا على تعمقهم في التفكير في شؤون العقائد وشعورا منهم بنقص دينهم وحاجتهم الى القويم من الدين . وهذا الشعور بالنقص أول مراتب الكمال ، وقد أيد ظهور الرسول فيهم خاصة رغبتهم في ذاك الدين . ويختلف أهل البادية عن المدنيين في عقائدهم وأفكارهم وان كانت قواعد النخوة والشهامة متغلغلة في نفوس الفريقين . ومن انتشار هذه الديانات يستطيع الباحث أن يعرف شيئا عن اختلاف منزلة المرأة عند القبائل اذ نظر إليها كل دين نظرتة الخاصة ، فمنزلتها اذن تختلف باختلاف القبائل والجهات ، وباختلاف الأزمنة .

**خامسا - الدلائل على رقى العرب -** من وصف القرآن الكريم لحياتهم وأساليب نقاشهم يستنتج القارىء ما يدل على رقى عقليتهم وتؤيد

---

(١) جعفر بن أبى طالب - السيرة ج ١ ص ٢١٨ تراجع الصفحات

٦ - ٩ من هذا الكتاب ، وهذا يناقض « رينان » في انكاره ديانة العرب .  
(٢) Huart: Histor des Arabes V. I. P. 10.

(٣) الجارم - أديان العرب ص ١٩ ، السيرة ج ١ ص ١٦ .

ذلك الحفريات القليلة<sup>(١)</sup> وكتابات الامم عنهم • واذا ثبت أن البابليين والاشوريين كانوا عربا فاننا نستطيع أن نعتبرهم من أرقى الامم القديمة • أما الحفريات التي جرت في بلاد العرب فثبت أنهم كانوا قريين من البابليين<sup>(٢)</sup> ثم أن نُضجَ آدابهم قبل الاسلام ليدل على رقيهم وعريق تاريخهم<sup>(٣)</sup> وقد ذكرت العرب المصادر الاشورية منذ عهد بعيد • ولما ثار « آشور بانيال » كان العرب قد أعانوه<sup>(٤)</sup> • وتدل الحفريات ايضا على أن الاشوريين قد تدخلوا في شؤون العرب وكان الفريقان يتساجلان الوقائع ويتدافعان في ميدان السياسة طوآل القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد<sup>(٥)</sup> • وقد كان لسكان شرق بلاد العرب حول الخليج الفارسي وعمان حياتهم البحرية وسفنهم وكانوا على اتصال بالعالم الخارجي وحضاراته<sup>(٦)</sup> •

أما المصادر اليونانية فقد تحدثت عن العرب فيما سجله «هيرودوتس» و«أرشميدور» عن اليمن السعيدة وما كان فيها من قصور طليت جدرانها بالذهب<sup>(٧)</sup> وهذه الاخبار تطابق ما روى عن بعض العرب أنهم كانوا يأكلون في أطباق من ذهب • وهذه الاخبار وان كانت تبدو عليها

---

(١) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٤٩

(٢) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٩٧ - ١٠٠

(٣) نفس المصدر

(٤) نفس المصدر

(٥) ادى شير - تاريخ كلدو وآشور ص ٨٥ - ١٣٠ فى هذا الفصل

استعراض لحوادث كثيرة بين العرب والآشوريين •

(٦)

S. A. Huzayyin: Arabia & the Far East, P. 39.

(٧) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ١٠٣ - ١٠٥

مسحة أسطورية الا أنها ربما ترجع الى امور تاريخية ذات قيمة ، ذلك لأن توزيع الثروة العالمية اليوم يختلف كثيرا عما كان عليه في العصور القديمة . وفي القرآن الكريم والكتب السماوية المقدسة أوصاف رائعة لجنات عدن التي تجرى من تحتها الانهار وقد عرض المسعودي لوصفها فقال : ان السائر فيها لا يفارق الظل بسبب العمران وبساتين الاشجار (١) وقد تحدث النبي حزقيل عن غزارة خيرات بلاد العرب (٢) . وعسى أن يعيد كشف منابع البترول ومناجم الذهب حديثا الى هذه البلاد رخاءها الاول .

وبعد استعراض هذه الدراسات للعصر الجاهلي يجمل بنا أن نستعرض شعر هذا العصر استعراضا جامعا .

### (٣) الشعر الجاهلي وقيمة دلالاته التاريخية :

١ - عناية العرب بشعرهم - لا نعلم امة حفلت بالشعر أكثر من العرب (٣) ، كما لا نعلم شعبا جنى الفائدة الاولى من آدابه مثلهم (٤) . ولاهتمامهم بالشعر كانت أشعارهم أكثر من مجموع أشعار الامم كلها (٥) . ومن هذا كان ما قالوه في كل فن من فنون الشعر أكثر مما قالت الامم كافة في ذلك الفن (٦) . وهذه الكثرة من الشعر

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ٢٧٦

(٢) Stobart: Islam & its Founder, P. 12.

(٣) Sloane: the Poet Labid P. 2

Lane: Arabia Society in the Middle

Ages, P. 190.

(٤) Sloane: The Poet Labid P. 3.

(٥) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٤٧٣ .

(٦) جميل سعيد - تطور الحمريات ص ٢٦ - ٢٧ .

ساعدتهم على أن يلمسوا به سائر نواحي حياتهم<sup>(١)</sup> ولهذا قال القدماء عن الشعر انه « ديوان العرب<sup>(٢)</sup> » يعنون بذلك أنه سجل نفوسهم ، كما جاء في قول عمر بن الخطاب الذي مر ذكره : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم أصح منه »<sup>(٣)</sup> . وكان الشعر في نظر عنترة العبيسي لم يغادر بابا من أبواب الحياة الا تعرض له بالوصف والذكر<sup>(٤)</sup> . وقال الجاحظ : « فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب ..... وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها »<sup>(٥)</sup> . ولحرص العرب على حفظ الشعر كان لكل شاعر منهم راوية أو أكثر وخاصة فحولهم ، وهؤلاء الرواة هم الذين حفظوا الأشعار وأذاعوها في العرب<sup>(٦)</sup> . ولكن الشعر العربي ( ما انتهى اليها منه الاقله ، ولو جاءنا وافرا لجاءنا علم وشعر كثير )<sup>(٧)</sup> . أما أسباب ضياع ذلك فترجع الى : انتشار الامية عندهم ، والى عدم تدوينه ، ومع هذا فان المحفوظ منه حتى عهد التدوين كان كثيرا بالنسبة لما وصل اليها اليوم ، اذ قد تعرض فيما بعد تدوينه وكتابته الى أحداث كثيرة . فقد روى أن أبا تمام كان يحفظ اربعمائة والفت

---

(١) Stanly Lany Poel: Studies in a Mosque

P. 8.

- (٢) احمد امين - فجر الاسلام ص ٦٧ .
- (٣) ابن سلام - طبقات الشعراء ص ١٧ .
- (٤) عنترة - مطلع معلقته .
- (٥) الجاحظ - الحيوان ج ١ ص ٣٦ .
- (٦) الجرجاني - الوساطة ص ٢١ - ٢٢ .
- (٧) ابن سلام - طبقات الشعراء ص ١٧ .
- الجرجاني - الوساطة ص ١٣٥ - ١٣٦ .

أرجوزة<sup>(١)</sup> وأن أبا ضَمَضَمَ كان يروي لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو<sup>(٢)</sup> . ومن هذا وأمثاله نستدل بوضوح على عظم ما وصلهم منه بالنسبة لما بين أيدينا اليوم . وكانت القصائد في الجاهلية تمر من فم إلى فم عن طريق الرواية . ويظهر الجديدة منها تصبح الأولى قديمة في الغالب وبهذا تعرضت للنسيان التدريجي مقادير كبيرة جدا من الشعر . فالشعر الذي بين أيدينا اذن يمثل بجملته اليهود الأخيرة من الجاهلية على الراجح، وأن القديم منه قليل نسي<sup>(٣)</sup> .

ان أدوار حياة العربية وآدابها القديمة مجهولة بالنسبة لنا اذ لم يتصد أحد لدراستها ذلك لأن الناس نظروا الى العرب نظرة ليس فيها الاهتمام الكثير لاعتقادهم أن هذا الشعب عاش قديما عيشة سيطر عليها الجهل وأن لا جدوى علمية في دراسة آدابه ولغته<sup>(٤)</sup> . بيد أن الواضح لدينا من ملاحظة اللغة والشعر أن العرب كانوا على درجة كبيرة من الرقي الادبي ، الأمر الذي يدل على عريق تاريخهم الفني اذ أن لغتهم وشعرهم لم يلبغا تلك الدرجة من الاتقان التي كانا عليها في العصر الجاهلي الا بعد أن مر عليهما أزمان طويلة جدا<sup>(٥)</sup> . والمرجع أن العرب عاشوا في عهد (مينولوجي) كما عاش اليونان ولكن آثاره التي سبقت عهد الشعر الغنائي لم تصل اليها<sup>(٦)</sup> . واذا ثبت أن سفر أيوب كان عربيا اعتبر العرب أعرق الأمم في انشاد الشعر<sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) ابن خلكان - وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢١ .
  - (٢) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ص ٤ .
  - (٣) الجاحظ - الحيوان ج ١ ص ٣٧ .
  - حضارة العرب لجوستاف لوبون ص ١٧١ .
  - (٤) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١ .
  - (٥) المصدر السابق .
  - (٦) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٢١ .
  - (٧) المصدر السابق ص ٢٥ .

ب - قيم الشعر الجاهلي - لأجل أن تصور ما في الشعر الجاهلي من قيم روحية ودلالات تصويرية يجدر بنا أن ننظر إليه من نواح ثلاث - من ناحية صلته بالجماعات العربية وناحية صلته بالأزمان التي قيل فيها ، واخيرا من ناحية صلته بالبيئة العربية .

(١) أما من ناحية صلة الشعر الجاهلي بحياة العرب النفسية : فالشعر الجاهلي ، شأنه شأن كل فن ينشأ عند جماعة من الجماعات البشرية ، لم يكن الا تعبيرا عن شعور تلك الجماعة وكان أهمّ الفنون التي عُنِيَ العرب بها عناية كبرى . فكانت المعاني التي تختلج في نفوس القبائل والأفراد تفجر على لسان الشاعر وتطفح أناشيداً وأغانٍ يحملها الركبان فيعيش منها ما كتب له الحياة . فلم يعرف الشعر عندهم غير معين تلك الأفكار البسيطة الواضحة وغير تلك الروابط الاجتماعية القبلية . فلم يكن أسلوب تفكيرهم ليميل الى الصناعة والتعمق .

والشعر الجاهلي كما كان يصدر عن شعور تلك الجماعات وأحاسيسها كان له بدوره أثر في شعور الجماعة ذاتها وفي عقلية أبنائها . فكان الشعر اذن يصدر عن شعور الجماعة ويؤثر في شعورها فهو بهذا يمثل القيم الروحية للشعب العربي . وقد لاحظ أفلاطون على الشعر اليوناني مثل ذلك الأثر في نفوس اليونان فدعا الى اتخاذ الشعر وسيلة تهذيبية أخلاقية ، واقترح لذلك أن يطلب الحكام من الشعراء معاني معينة ، ويسألوهم أن يُضَمَّنوها في أشعارهم ، فيها الخير والدعوة للفضيلة ، واقترح أن يكون عقاب من لا يتبع نصائح الحكام هو أن يُحرَّم عليه قول الشعر في المدينة الفاضلة ، وقال « ان الانسان يتهدت ذوقه الموسيقي بسماعه الانغام الراقية ، فيعاف بعد ذلك قبول النغمات الشاردة ، وهو كذلك اذا ما سمع الأشعار الممتازة بمعانيها السامية ، تهذبت نفسه ، وسما ذوقه ، فيصبح لا يصدر عنه الا كلٌ جميل . والجمال ما هو الا تصوير للجانب الروحي من فكرة

الألوهية ، ولما كان الجمال هو الخير فان جهود الانسان ستتجه لتحقيق الخير للجماعة « (١) . وما اقترحه افلاطون من سيطرة الحكام على الشعراء كان منه شيء لدى الجاهليين اذ نجد شعراءهم يتقيدون بالاخلاق العامة والحشمة الموروثة الا النادر الشاذ منهم وكان للشعراء حكام " يحتكمون اليهم وكثير " من أحكامهم مبثوق في كتب الادب .

(٢) أما عن صلة الشعر الجاهلي بالزمن فاننا نجد الشعر بجملته يصور العرب كيف كانوا يعتقدون اعتقادا جازما باتصالهم بماضيهم وارتباطهم به ارتباطا وثيقا ، وأنهم ورثوا عن أجدادهم العظام صفاتهم الكريمة ، التي عليهم أن ينقلوها الى ابنائهم سليمة ، فحرصوا على أن يودعوا تراثهم الشعري خير ما عندهم من الفضائل . وموقفهم بالنسبة الى أجدادهم يشبه موقف الأمم الممتازة في عهدهم ، فكانوا يمجدون الأجداد ويفخرون بتراثهم وماضيهم (٢) . والشعر الجاهلي يصور حرصهم على أن يخلفوا للأجيال اللاحقة أكرم فضائلهم ليكسبوا احترام تلك الأجيال لهم . واحترام الانسان للأجداد من أسمى صفات الانسانية . وان رغبة الجماعات في أن تحترمها الأجيال اللاحقة تماثل حبها وتعلقها بالماضي . وكانت هذه النزعة الى المحافظة على هذه الصلات وتمسك العرب بأسباب الخلود لها قيمتها الايحائية في ميدان الفن الشعري . اذ في جو هذه النزعة كانوا يحيون حياتهم الكاملة ، فربطوا حاضرهم بماضيهم وبمستقبلهم وفي جوها نشأت البيئة الصالحة لتصوير تلك القيم الروحية المتوارثة، التي فيها معنى الخلود .

(٣) أما عن علاقة الشعر الجاهلي بالبيئة التي درج فيها ، والمظاهر الطبيعية والاجتماعية التي تأثر بها ، فقد ظهرت واضحة في الأفكار التي

(١) افلاطون - الجمهورية ص ٢٧٥ وتراجع ص ٨٧ .

(٢) Sloane: The Poet Labid, P. I-3 .

عرضها الشعراء والصور التي رسموها والأخيلة التي تخيلوها ، والألفاظ الفنية التي اختاروها ، وظهرت حتى في الفن الشعري الغنائي الذي شمل شعرهم عامة .

فتح الشاعر الجاهلي عينه ، وأجال الطرف حوله ، فلم يجد مثل المرأة موضوعا يستحق أن يُؤليه عنايته واهتمامه ذلك لأن بيئته كانت قليلة الصور والمناظر . وجد المرأة أمامه ، المرأة التي تَسَحَّر الرجل أينما وجدت ، فأولاهها عنايته الفائقة في شعره وجعلها مستودعا لأفكاره السامية ومناظرا لنجواه . فكان الشعر الجاهلي غنايا والمرأة أهم موضوعاته ، والشعر لغة الحب والعشق فصارت صورة الحبيبة من أوضح ما فيه ومع هذا فقد تساءل البعض عن الحب هل وجد بين أبناء الصحراء تحت شمسهم المتوهجة وفي أرضهم المحللة ، بين قسوة الحياة وضرب أكباد الابل ، بين العصية الشديدة والحروب المتصلة ؟ نعم لقد وجد عند نبع الماء وفي منعطف الكئيب وتحت ظلال النخيل وفي مراعي الربيع المعشوشبة وعلى أصوات الرعاة وبين مضارب الخيام اذ تقع العين على العين والقلب على القلب (١) . وكانت ذكريات اللقاء في السهول التي كساها العُشْب أيام الربيع القصار تعلق في النفوس (٢) . وقد فرضت تقاليد بيئتهم عليهم قواعد الحب الشريف ، فكان حبُّهم متساميا لم نجد مثله عند الأمم الأخرى . والبدويُّ يُقدِّس حبَّه ، ويرتفع به عن الحُشونة والاحتقار وغير ذلك مما في الشعر الأوروبي في القرون الوسطى . وقد بعث حبهم في نفوسهم روح الشجاعة، وعدم الرهبة حتى من الموت (٣) وقد طبعت البادية المكشوفة نفوسهم على

(١) مارسيل تينر - تاريخ الحب ص ٦٤ .

(٢) Wilfrid Scown Blunt: The Seven Golden

Odes, P. 14.

John Middleton Murry: Adam & Eve, P. (٣)

الصراحة • ولم يكب اعلان الحب ليَجْلِبَ عارا ولا ليَحِطَ من سمعة المحب شيئا ، ما دام حبا شريفا •

انا من دراسة أشعار الغزل والنسيب التي تغلب في الشعر الجاهلي نستطيع أن نخرج بنتيجة هامة هي أن المجتمع العربي كان في ذلك العهد قد بلغ درجة بعيدة من الحضارة على خلاف ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، ذلك لان فنَّ الغزل والنسيب لا ينشأان الا في مجتمع متحضر ، فالحب الذي نفهمه لم يولد مع الانسان كالجوع والخوف والظمأ ، لأن المرأة الأولى عاشت تحت حماية الرجل مثقلة بمتاعب الجنين لا تبرم بخضوعها لأن الرجل القديم كان شبيها بالحيوان لا يضطهد المرأة ولا يعذبها الا متى فكر في اختطافها وحيازتها لنفسه (١) • ولما ارتفعت الحياة الاجتماعية ونشأ شيء من العرف والعادة في قواعد حياة الانسان صار الرجل لا يختطف المرأة ، بل لا بد له أن يستهويها ويجذبها نحوه ، فوجد نفسه أحوج ما يكون الى فن يكسب به قلبها ، وصار تواقا لان ينال منها ابتسامة أو أية اشارة تدل على عطفها ، وكان يعدُّ ذلك انتصارا كبيرا • وهكذا انبعثت عاطفة الحب ، فتولدت من صلْب البهيمية الاولى (٢) • فعاطفة الحب اذن يحتاج وجودها الى نظام اجتماعي فيه حماية للفرد كافية • وهناك بعض اللغات ليس فيها لفظة تدل على الحب (٣) ، بخلاف العربية التي كثرت فيها الالفاظ الدالة على هذا المعنى • وقد سبق أن قدّمنا أن المجتمع الجاهلي قبل ظهور الاسلام كان على درجة من الرقي حتى ان بعض الباحثين اعتقد أن الحياة الجاهلية انما كانت فترة مظلمة سبقتها حضارات راقية كما ينشأ عند كل امة •

(١) مارسيل تاينر - تاريخ الحب ص ٣ •

(٢) نفس المصدر ص ٤ •

(٣) Ellis: Studies in the Bsycology of Sex. P. 277

وكانت علاقة المرأة الجاهلية بالرجل ليست علاقة مادية فحسب ، كما يتوهم البعض ، بل كانت مصدرا لالهامة ، وشريكا نفسيا وعقليا له . فلا يجوز أن يشك أحد في العواطف القوية التي نجدها في شعر العرب الذين أحبوا حبا صادقا مثمرا ، من أهم صفاته الدوام والثبوت (١) . وإذا استعرضنا الشعر الجاهلي نجد فيه تصويرا للطبائع البشرية والمظاهر النفسية وفيه تعليقات أفلحوا في قسم كبير منها .

**ج - دعوى الانتحال -** حامت بعض الشكوك حول صحة نسبة الشعر الجاهلي الى أصحابه مستندة الى ما أوجزناه من الاسباب ، ولما كان هذا الشعر مادة بحثنا لزمنا أن نوضح موقفنا منه بالنظر الى هذه الشكوك . أما النقاد فلم يقفوا موقفا واحدا بالنسبة الى قبوله أو رفضه ، فقد اشترط المرحوم أحمد أمين صحة المتن والسند (٢) في حين ان مدونى الادب لم يسلكوا هذا السبيل الذى سلكه مدونو الحديث ، ولعل قدم عهد الشعر وضياح أسماء كثيرة من رواته لعدم اهتمام الناس بهم كان السبب فى عدم تدوينهم السند الذى سلكته رواية الشعر ، فهناك قصائد جاهلية كثيرة لا نعرف قائلها ، ولا نعرف : متى وأين قيلت ؟ ومن هم رواتها . لهذا كانت قاعدة أحمد امين على وجاهتها غير جامعة اذ تفوت علينا شعرا غزيرا وربما لا تنطبق الا فى أحوال قليلة . أما الدكتور طه حسين فقد ذهب فى الشك مذهبا بعيدا ولم يقدم لنا قاعدة واضحة لنميز المنحول من غيره ، وان كنا نجده يتشكك على الدوام فى الشعر الذى فيه اسراف فى الليونة أو

---

Edward William Lane: Arabia Society (١)  
in the Middle Ages P. 207.

(٢) احمد امين - فجر الاسلام ص ٥٩ .

فى الغرابة (١) الامر الذى نعتقد انه يختلف باختلاف الافراد والاذواق ،  
قائلين وسامعين ، فيعدم الضابط فيه لهذا السبب واننا نلتعرف للدكتور طه  
بأثر أبحاثه العميقة فى نفوس الناشئة اذ أنها حفزت الدارسين الى التعمق  
والتمحيص فى دراسة الشعر . أما موقفنا من دعوى الانتحال فهى أننا  
نتقبل الشعر المروى الا اذا قامت دلائل ثابتة على انتحاله جريا على القاعدة  
الفقهية ( الاصل البراءة ) فاذا وجدنا فيه ما يمنع نسبته الى العهد الجاهلى  
حكما بانتحاله ومن الجدير أن تصور أن الحياة الواقعية تحتل امورا كثيرة  
قد لا تدخل فى الحسبان . فكثيرا ما تحدث رجال العلم عن الذرة بأنها  
لا تتجزأ وقد استخدم العلم الحديث الذرات المجرأة فى الحرب . وهو اليوم  
يستخدمها للاغراض السلمية وسيعم استخدامها على نطاق واسع فى ميادين  
الحضارة والمدنية الحديثة .

نحن لا نرى وجها يدعو لهذه المبالغة فى دعوى الانتحال فى الشعر  
ما دامت لم تتوافر لدينا المقاييس التى نظمئن اليها . أما قيمة دلالة الشعر  
العربى فقد عبر عنها ابن عباس اذ قال « اذا قرأتم شيئا فى الكتاب فلم تعرفوه  
فاطلبوه فى أشعار العرب (٢) » فأشعار العرب عامة تصور أديبهم كما تصور  
حياتهم وتقاليدهم . وقد لاحظ ذلك الجاحظ نفسه كما مر . ثم اننا نجد فى  
الشعر دواوين خاصة كل ديوان لشاعر معين وهذه الدواوين تتميز فيها  
شخصياتهم التى لها صفاتها الخاصة وأفكارها وأساليبها وميولها وطبيعتها  
ولقتها فمن المستبعد اذن أن يبلغ الانتحال الى درجة أن توضع هذه الدواوين  
الضخمة فتنسب الى شعراء موهومين أو حقيقين ولكنهم لم يقولوها ، أو

(١) طه حسين - الادب الجاهلى ص ١١٧ - ١٨١ .

(٢) ابن رشيق القيروانى - العمدة ج ١ ص ١١ .

أبو زيد القرشى - جمهرة اشعار العرب - المقدمة ص ٥ .

أشخاصا ليسوا من الشعراء ، وهكذا فليس من السهل علينا أن نساير الدكتور طه حسين فنقرر مثلا انتحال قصيدة المنخل « ان كنت عاذلتى فسيرى » لانهاينة رخوة كما لا نستطيع أن ننكر صحة شعر الاعشى لسهولته ، ولا شعر اليمن لاختلاف لهجتهم كما فعل الدكتور طه ، اذ يجوز أن يكون شعراؤهم قد نشأوا في بيئات عدنانية بحتة . ولسنا بموقفنا هذا بمبدعين ، فقد اعترف ابن سلاّم بصعوبة تمييز المتحل من غيره اذ قال انها تبلغ درجة الاشكال (١) . ويضاف الى ذلك ان الشعر الجاهلي قد عُرض على أذواق عديدة قبلنا فلم نجد منهم من وسمه بالانتحال بهذا الشكل الواسع مع أنهم كانوا أقرب منا تذوقا وتفهما له ومعرفة لاغراضه واطلاعا على البيئة التي نشأ فيها ، بل نجد العكس ، فانهم عرضوا هذه الاشعار في كتبهم عرض المظمئن اليها المعترف بصحتها جملة . واذا قال قائل ان وسائل البحث والنقد التي بأيدينا اليوم ما كانت متوافرة لهؤلاء النقاد والادباء القدامى ، فاننا نؤكد ما أوضحناه وهو أن دعوى الانتحال لا تقبل الا اذا بُنيت على أصول مقبولة ثابتة وانما نريد أن نجد هذه الاصول . ومما يؤيد هذا أن الاساليب التي اتبعها النقاد فقرروا بموجبها الانتحال في الشعر أدت الى نتائج متناقضة فيما بينها أشد التناقض : فقد رأى الدكتور طه حسين : أن الشعر الجاهلي الذي بين أيدينا يصور امة متأخرة ، ولا يستطيع القارئ أن يظفر منه بشيء ذي غناء عن حياة العرب الاقتصادية بخلاف القرآن الذي يصورهم على درجة من الرقي العقلي والتجاري (٢) وبالإيجاز انه يرى تأخر شعرهم عن واقع حياتهم ، ورأى ( نولدكه ) على عكس ذلك تماما اذ قال : انا يملكنا الاعجاب من غنى لغتهم ، وبساطة

(١) ابن سلام - طبقات الشعراء ص ٢٢ .

(٢) طه حسين - الادب الجاهلي ص ٧٥ - ٧٦ .

حياتهم ، وفقر طبيعتهم<sup>(١)</sup> . والذي يبدو من تلك الحرية الواسعة التي سمح  
النقاد بها لانفسهم أنهم صاروا يصورون ما كان يدور في نفوسهم ولم يتقيدوا  
بالشعر وباليئة بالقدر اللازم ، ويُعنوا بالاصول التي يلتزمها النقد الصحيح .  
والغريب أن الشعر الجاهلي اذا صح انه 'وضع في العهد العباسي ، على رأى  
الدكتور طه حسين ، فجاء مصورا لحياة منحلة ، كان ينبغي أن يمثل على  
العكس من ذلك حياة راقية هي التي افترضها الدكتور أن تكون موجودة  
لدى الجاهليين فاذا كان العباسيون قد اصطنعوا هذا الشعر ، كما قال الدكتور  
طه فلا بد أنهم كانوا قد اودعوه ما يجعله قريبا جدا للحياة الجاهلية ، التي هم  
أعرف منا بها وأقرب عهدا اليها . والواقع ان كل هذه امور تحتاج الى  
درس دقيق ثم تُقرر النتائج بعده . والذي نسلم به هو أن هذا الشعر لا يوجد  
فيه فضل عما تتطلبه الحياة الجاهلية على رأى ( نولدكه ) ولا هو بقاصر عن  
مجانسة حياتهم على رأى الدكتور طه . وغاية ما في الامر أن قصورنا في  
معرفة كل ذلك هو الذي قاد الى الوقوع في هذا التناقض . ومن الغريب  
أن يحسب بعض " أن هذا التناقض كان واقعا بالفعل في الحياة الجاهلية  
نفسها كما قال روى الخالدي « كانت فنون أدبهم أرقى من معيشتهم  
البدوية<sup>(٢)</sup> » . وهذا أمر يصعب تصوره ، والا فإين اجماع النقاد على:  
أن الأدب انما يكون صورة للحياة والذي نؤمن به في هذا المقام هو أن كثيرا  
من هذا الخلط انما يرجع الى طريقة التعميم التي اتبعها بعض النقاد ، والى  
الاحكام الفردية التي تستند الى أمزجتهم الخاصة بدل ان تستند الى الوقائع  
الملموسة .

(١) احمد امين - فجر الاسلام ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) روى الخالدي : تاريخ الادب عند الافرنج والعرب ص ٤٣ .

د - دلالة الشعر ودلالة النثر واذ نتخذ الشعر مادة للبحث يستحسن أن نعرف قيمته في تقديم المواد النافعة لتصوير المرأة ، على أساس من المقارنة بينه وبين النثر . الشعر يشارك النثر في كثير من المجالات وقد يتشابهان حتى لنخال النثر شعرا والشعر نثرا ، وقد قيل عن اختلافهما انه يشبه اختلاف الولد عن والدته ، طبيعتهما واحدة وتأثيرهما مختلف ، فكلاهما وليد الموسيقى ، يحفظ أصله ويشارك الآخر في صفاته . وبانفصالهما حافظ الشعر على القسم الاقوى من الموسيقى تلك هي موسيقى القلب ، واختار النثر موسيقى العقل فلا امت طبيعة المناقشة والتعليم ، في حين أن موسيقى الشعر هي التي تنسجم مع سائر العواطف : من أمل وخوف ، وحب وبغض ، ومع ذلك فلا زال كلا الفنين على درجة من القرابة والاتصال بصاحبه فهما يتصلان بمنافذ وطرق كثيرة ، اذ ما زال الشعر يستهجن مثلا عدم التعقل ، وما زال النثر يعتز بالشعور الصادق والعاطفة الصحيحة (١) . وهذا التقارب والوفاق بين الفنين لا يعدم التباين بينهما فالنثر يسمع مباشرة والشعر يسمع خلسة ، أو عن طريق الصدفة ، بمعنى أن النثر يفترض فيه وجود سامعين أو قارئين ويفترض في الشعر أن يتحدث الشاعر الى نفسه دون أن يشعر بوجود سامعين . فالشعر اذن ان هو الا شعور واعتراف من الشاعر الى الشاعر يعنى فيه عواطفه ، فيصوغ أفكاره ويجعل منها تشبيهات ورموزا هي أنسب الاساليب البلاغية التي تترجم عن شعوره على صورته الحقيقية ، فتمثل ما يدور بخلد تمثيلا صادقا (٢) . ويختلف الشعر عن النثر اختلاف الفرح عن الراحة

---

Gohn Franklin Genung: The Working (١)  
Principle of Rhetoric P. 139

Mill: Dissertations & Discussions, Vol I (٢)  
P. 97.

البدنية ، وكما أن مبعث الفرح شعور داخلي فإن مبعث الراحة أمر خارجي •  
ولعلنا ندرك هذا الفرق بالرجوع الى المصدر الذي اشتق منه اللفظان ، فأصل  
الشعر من الشعور الذي يستوطن في ضمير الانسان • والنثر من مصدر  
النثر ، الذي يتمثل في التفريق وهو من خصائص الامور المادية •

وفي الشعر منبع صاف يتدفق منه روح الانتصار والحير ، ذلك لان  
الروح الحساسة النشيطة تكون قادرة على أن تصدر عنها موجات من الافراح  
تبدد ما في الحياة من كآبة وظلام ، كأن في هذه الروح أقمارا تتشعشع  
منها أنوار قدسية هي من فطرة الله وموسيقى تنتظم على نغماتها الانفاس  
الحائرة فتخفف عن القلوب المكومة الآلام (١) •

ان الحقائق التي توجد في النثر توجد في الشعر أيضا ولكن في أنواب  
جميلة اذ مادام الشعر مرآة للحياة فهو يصور ما فيها • والفكرة والحقائق هي  
من عناصر الشعر الضرورية أيضا ولكنها أيضا تلتزم أساليبها الخاصة •  
والمرأة في كثير من الأحيان كانت الهة الشعر وباعثة العاطفة الاولى في  
قلب الرجل وملهمة المعاني له فجعلته يفيض بالاناشيد الخالدة والشعر  
العربي خاصة كان في معظمه منها واليها فجاءت صورتها فيه ناطقة حية •

هـ - دلالة الشعر الجاهلي - اذا كان الشعر العربي كما يقول  
الأكثرون ديوان العرب ومرآتهم يصور نفوسهم وبيئتهم فما هي تلك  
الصورة التي يرسمها لنا اذن ؟

من يتصفحها يجد فيه صوراً مختلفة الالوان ، يجد الصحراء بما فيها من  
خشونة في الحياة ، وغلظ في التعبير ، وقوة في الاسلوب كما يجد فيه

---

Bushnell: Sermons for the New Life, P. 226. (١)

القول العذب ، والتركيب الفنى الجميل ، ويلمس من أطراف الحضارة والرقى العقلى شيئا غير قليل . وهذا أمر ليس فيه غرابة . فالشعر ان هو الا نتاج أمة كبيرة وثروة عقلية لجماعات عديدة ، فيها السرى<sup>١</sup> والحكيم كما فيها المعدم والراعى الفقير . والشعراء لم يكونوا من طبقة واحدة ، فمنهم طائفة امتازت بالفروسية وطائفة اشتهرت بالخمير والمجون ومنهم نخبة من الحكماء واهل الرى . الا أن بعض النقاد على ما يظهر قد تأثروا بشاعر من الشعراء أو بطائفة منهم فانجرفوا معه وجعلوا منه مثلا للشعر كله ، ويبدو أن كثيرا من نقاد العرب والمستشرقين فى هذا سواء . ولعل طرفه بن العبد الذى تحدث عن نفسه بصراحة تامة فكشف عن أسرارها وآمالها<sup>(١)</sup> كان من أقوى شخصيات العصر الجاهلى وقد رأى الدكتور طه حسين فى معلقته ( لينا فى غير ضعف )<sup>(٢)</sup> واعتبر شعره لهذا شعرا جاهليا غير مصنوع ، ورآه بعض يمثل الجاهلية فى صراحتها وسذاجتها واستنبط جماعة منه صفات عموها على الحياة الجاهلية كلها فقالوا انها كانت صفوا لا يعكره تفكير ، ولهوا ومرحوا<sup>(٣)</sup> وهذا التعميم يتعد عنه الدقة .

واذا نظرنا فى الشعر نظرة أدق مما فعلوا وجدنا فيه الشعراء يؤلفون مجموعات : شعراء فروسية كعترة وعروة<sup>(٤)</sup> وشعراء خمريات كالأعشى

(١) معلقة طرفه بن العبد .

(٢) طه حسين : فى الادب الجاهلى ص ٢٣٩ - ٢٤٠

(٣) Khuda Bukhsh: Contributions to the  
His. of the Islamic civil. P. 105.

(٤) Browk: Literary His. of Persia P. 190.

وأبى محجن (١) وهناك الحكماء (٢) ، والأمراء (٣) ، وهناك الوصافون ، وأهل الحماسة (٤) ، والصعاليك (٥) . وقل أن نجد مع هذا شاعرا يختص بفن واحد . أما الشعراء الذين ذكروا المرأة منهم ، ومن بينهم أهل الغزل ، فهم مجموعة كبيرة بحيث لا يعدهم مصر ، ولا تخلو منهم قبيلة . ومن بين هؤلاء التميمون ، وشهداء الحب ، ولبعضهم قصص غرامية غريبة ، تدل على حب افلاطوني . وبالأجمال فإن موضوع المرأة لما كان موضوع الطبيعة في الرجل ندر أن نرى شاعرا لم يذكره من قريب أو بعيد .

وخلاصة القول : هي أن الشعر الجاهلي لم يكن صورة واحدة ، ولا نجد فيه عددا من القصائد يتشابه تشابها تاما . فلو أخذنا المعلقات المشهورة وجدناها تختلف في صفات وتجتمع في صفات . فحب الذات مثلا هو طابع معلقة امرئ القيس وطرفة وعنترة ، ولكن معلقة امرئ القيس تشيع فيها صورة الامارة والشرف وخصوصا فيما تشتمل عليه من وصف . ومعلقة طرفة مطبوعة بالطابع المادى والصراحة والاعتراف بالواقع عن ايمان ثابت . أما معلقة عنترة فهي صورة للفارس المحارب (٦) وكل من هذه المعلقات تختلف عن المعلقة الأخرى . واختلاف الشعراء في أذواقهم وأساليب التعبير عن نفوسهم لم يمنع اتفاقهم ، الى حد ما ، في افتتاح قصائدهم

- (١) يراجع شعر الأعشى وعنترة وأبى محجن وما كتبه خدا بنخش ص ١٦٥ هامش (٢) اعلاه .  
 (٢) يراجع شعر أمية بن أبى الصلت ، وزيد بن عمرو ، وزهير ، الافوه الاودى وابن سلام في طبقات الشعراء ص ١٠٣ .  
 (٣) يراجع شعر الافوه الاودى ، عامر بن الطفيل ، عبد يغوث ، قيس بن عاصم .

Sloane: The Poit Labid. P. 5-6.

- (٤) قصيدة عمر بن كلثوم .  
 (٥) شعر عروة بن الورد ، السليك ، تابط شرا ، الشنفرى .  
 (٦) المعلقات السبع - ترجمة جونسون ص ١ - ٤ .

بذكر المحبوبة غالباً بطريقة مباشرة ، أو بذكر أطلالها • والاطلال في الشعر تنسب اليهن غالباً فهي « ديار للرباب » (١) و « أطلال لحولة » (٢) و « دمنة من أم أوفى » (٣) ولعل عادتهم في نسبة الديار للمرأة من بقايا عادتهم في نسبة الاولاد والقوم لامهاتهم دون آبائهم وذلك في عهد الامومة القديم ثم صارت طريقة من طرائق أشعار المحبين اذا ذكروا حياتهم ، فهذه العناية بالاطلال في الشعر الجاهلي ترجع الى مقدار التأثير العظيم الذي تؤثـره المرأة في نفس الرجل ، الذي لم يكن ليرى جمالا بدونها ولا يراها دون أن يشعر بالجمال • والجمال والحـب متلازمان • وكان الحب عند العرب مصدرا لفضائل كثيرة توحى بها المرأة ولم يكن هذا شأنه عند اليونان مثلاً ، اذ الحب كعاطفة لم يكن يظهر عندهم ولا تغنى به شعراؤهم فشعر هوميروس خال منه • صحيح ان هيلين Héline كانت السبب المباشر لحروب طروادة Troie ولكن هذه الحروب ما ثارت حبا بهلين نفسها ، فالـيونان لـم يحاربوا من أجل اكرامها بل حاربوا حبا للغلبة ورغبة في الانتصار ولم يظهروا في حروبهم أعمالا باهرة مصبوغة بالـغرام والحب مثل ما أظهره الشعب العربي في مناسبات تفوق الحـصر (٤) • فالحييات ذوات الحـذود الناعمة والقـدود المياسة والعيون الساحرة ، والشعور الحالكة أخبارها العذبة مزوجة بأخبار الطعن والضرب وبالأعمال الجسمـة المجيدة • وكان اليونان يرون الحب لعنة تنزلها الالهة لتعوقهم عن انجاز أعمالهم (٥) ، ولكن الحب

(١) الحارث بن عباد - شعراء النصرانية ص ٢٧١ •

(٢) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٣ ( رواية ابن السكيت ) •

(٣) زهير بن أبي سلمى - ديوانه ص ١ •

(٤) Perron : Femme Arabe, P. 76.

(٥) Ibid : P. 76-77.

الصادق عند قدماء العرب ورغبتهم في حماية المرأة كثيرا ما أثار الخصام بينهم . وكان لكل فارس محبوبته ، توحى اليه بأمثلة الشجاعة . فصارت فروسيتهم فروسية حقا ، نبيلة ، عليها روعتها من الاخلاص والشعور بالجمال ، وكانت تعم ربوع الصحراء، مشاتها ومصايفها ، سهولها ووهادها . والفروسية العربية ، كما نعلم ، نقلت الى الغرب ، الا أنها لم تغفل بكامل صفاتها في أخلاقهم . أما في الشرق فان الفروسية كانت ذات فائدة كبيرة لضرورتها لنظمهم الاجتماعية السائدة ، وهي من مقتضيات النظم الاخلاقية في بلاد العرب . أما في الغرب فكانت تقليدا ، لهذا سرعان ما انهارت تحت تأثيرات المقاومة لها<sup>(١)</sup> . ولما كان اليونان لا يعرفون الحب كعاطفة وكذلك الرومان لم نجد في أشعارهم<sup>(٢)</sup> ما نسميه فن الحب<sup>(٣)</sup> *L' Art d' Aimer* . أما العرب فكانت نساؤهم تتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة ، فغرست روح الفروسية في نفوسهم حب التضحية للمرأة الشريفة<sup>(٤)</sup> ، وهي التي تعشقها الشعراء فشغلت المقام الاول من قصائدهم ، فحيوها تحية الخاشع لها لا الخاضع وصوروا شدة شوقهم اليها تصوير الهائم بكريم صفاتها، فصار ذكر المرأة تقليدا فنيا في قصائدهم<sup>(٥)</sup> تقرن به كل المعاني المختلفة . قال ذو الاصبع العدوانى في ابن عم له كان يعاديه مفتحا قصيدته بالغزل يقول :

يامن لقلب شديد الهم محزون      أمسى تذكر ريبا أم هارون

Perron: *Femme Arabe*, P. 76-77. (١)

Virgile, Catulle, Tibulle, Properce. (٢)

André, Maurois: *Sept Visages de L' Amour*, P. 8. (٣)

W. S. Blunt: *Seven Golden Odes*, P. 10-14 (٤)

(٥) حبيب الدمشقى - المرأة في الجاهلية ص ٢٥ - ٢٦ .

وبعد أن أعقب هذا البيت بأبيات في الغزل انتقل فجأة فقال : « ولي ابن عم على ما كان من خلق ... » فجمع في هذه القصيدة بين العاطفتين الحب والبغض معا . ومن هذا وغيره تظهر الصلة الوثيقة بين المرأة والشعر الجاهلي فكان الشعر من خير المصادر لتصويرها . بيد انه لا يتوقع أن نجد في الشعر كل ما يتصل بالمرأة لان الشعر لم يكن في يوم من الايام يهدف الى الاستقصاء والاحاطة التامة لان الاستقصاء والترتيب والتبويب العلمي يخرج عن جوه الشعري . ومع هذا فقد يقدم الشعر حقائق وصورا عديدة تكون ذات قيمة تاريخية كبيرة قد تفوت المؤرخين .

ان التاريخ لم يكن يعنى بالمرأة العناية التي أولاها اياها الشعر ، هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فان الشعر مقيد بقيود منها الوزن والقافية ، وكان بالاضافة الى ذلك ينقل بالرواية وبالفاظه ، والنقل بالالفاظ في العادة من دون تبديل فيها ، لهذا كان الشعر وثيقة ثابتة قوية الدلالة . وقد قدم لنا الشعر الجاهلي معلومات كثيرة أغفل ذكرها المؤرخون ، أو ذكروها في أساليب تختلف عما عليه في الشعر ، فصور آثار المرأة حيية ، وامسأ وزوجة وفتاة تصويرا أوضح وأدق مما نجده في كتب التاريخ والاحبار ، خاصة فيما يتعلق بعواطف المرأة واعمالها في الحروب وملابسها وزينتها وغير ذلك .

وبناء على ما سبق ذكره فاننا نرجو أن يكون ما تقدمه في هذه الرسالة ذا قيمة أدبية وتاريخية واجتماعية تساعدنا على معرفة أحوال المرأة العربية ومنزلتها في العهد الجاهلي .

## الفصل الأول

### المرأة في الحياة الجاهلية

١ - منزلتها في المجتمع :

كان دور المرأة ظاهرا في الحياة الجاهلية وهاما جدا ولهذا كنا نسمع في كل مناسبة اعترافا شعريا من الرجل لها بفضلها وبمنزلتها السامية اذ كانت هي أهم ما في حياته مما يستحق العناية ويستوجب التضحية . فهي التي حارب من أجلها وشجع ليرضيها ، وتوجه اليها بكريم الصفات وجيل الفعالم .

وللمنزلة الممتازة للمرأة لم يجد الاشراف والملوك بأسا من التكني بها والانتساب اليها فقد نسب المناذرة الى أمهم ماء السماء . وهي مادية بنت عوف ملكة العراق الى قيل عنها ، ان جلال الجمال ، وجمال الخلال قد انتهيا اليها . وان أبناءها المناذرة قد ورثوا عنها سناء الشرف ومضاء الذكاء ، وهكذا نسب عمرو بن هند الى أمه من غير أن يرى في ذلك عيبا أو منقصة . (١)

ومن الدلائل على قدرها في النفوس أنها كانت تجير الهارب وتحميه . فقد روى أن خماعة بنت عوف بن محلم الشيباني أجارت مروان بن زنباع العبسي ، وكذلك فكيهة بنت قتادة بن مشنوء أحد بني قيس بن ثعلبة أجارت السليك ابن السلكة السعدي ، وأم جميل الدوسية أجارت ضرار بن

---

(١) وقد كتب محمد بن حبيب الراوية رسالة فيمن نسب من

الشعراء الى أمهاتهم .

الخطاب الفهرى<sup>(١)</sup> . وروى عن ابن مسعود بن مالك الثقفى أنه جعل خباء زوجته سبعة بنت عبد شمس حرما فى حرب الفجار ، بحيث أمس فيه من دخله من اعدائه من قريش وأصبح سالما . ويعتقد أن هذه القبلة ترجع فى أصلها الى تقليد دينى اذ كانوا يرفعون لصنم القبيلة قبة يسمونها « قبة الاعادة » يضربها الاشراف ويحتفظون لها بالصفة الدينية .

ومن أهم الاثار الدالة على سمو منزلتها فى البيئة الجاهلية أن حروبا كثيرة قد حدثت بسببها على ما سيأتى بيانه ، وأنها كانت تقوي الصلات بين القبائل . فان النعمان بن المنذر لما غضب عليه كسرى أودع اسلحته وأهله عند هانىء بن مسعود الشيبانى ثم رحل الى طى لصهره فيها ، فطمع فى مساعدتهم له .<sup>(٢)</sup>

وليس أدل على عظيم منزلتها من أن تتلى عرش الملك فقد روى عن كثيرات منهن انهن صرن ملكات مطاعات فى الملك والرياسة منهن : « زنوبيا » ملكة تدمر التى لقبها المعاصرون « بجاندارك الصحراء » والتى قال عنها المستشرق « وادنكون » أنها من أصل عربى من بنى السميدع . ولهذا أطاعتها القبائل السورية . وبلغت من العزة درجة ضرب بها المثل فقالت العرب « أعز من الزباء » .

وقد صور القرآن الكريم عظمة الملكة بلقيس وسياستها الديمقراطية وادارتها البلاد بالشورى والتعقل والحزم<sup>(٣)</sup> فقد « أوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم »<sup>(٤)</sup> ولما طلبها سليمان « قالت : ياأيها الملؤا أفتونى فى

(١) محمد بن حبيب - المحبر ص ٤٣٣ .

(٢) الاغانى ج ٢٠ ص ١٣٢ ، ج ٢ ص ٢٩-٣١ .

(٣) القرآن الكريم - سورة النمل ٢٤ - ٤٤ .

(٤) القرآن الكريم - سورة النمل ٢٣ .

أمرى • ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون ، (١) • وقد أيدت الاخبار المتواترة أن منهن من عرفت بأصالة الرأي وحسن النظر في الامور فقد روى عن عمرة ابنة عامر بن الظرب أنها كانت تساعد أباهما في الفتيان عندما تقدم به السن وتستشار في الامور (٢) وقيل انها كانت تفرع العصا اذا رأته سها في حكمه • ومن الاشارة لهذا المعنى قول الشاعر :

لدى الحكم قبل اليوم ماتفرع العصا وما علم الانسان الا ليعلم (٣)

وقد نبغ أكثر من واحدة منهن في الحرب والسياسة والادب والشعر (٤) والتجارة ، كجليلة أخت جساس التي يلفت النظر شعرها الرائع المؤثر ، وكأم جندب التي احتكم اليها امير الشعر في عهد امرو القيس وعلقمة ، وكالحنساء بنت عمرو التي امتازت بالرياء فأبدعت ، ومثل هند زوجة أبي سفيان ، وكانت ترسل بتجارتها الى قبيلة كلب في الشام (٥) ويروى الرواة أنه لما سقط لواء قريش في معركة أحد تناولته عمرة بنت علقمة الحارثية (٦) • والى غير هؤلاء وهن كثيرات وكثيرات •

## ٢ - حقوقها :

في الشعر الجاهلي دلائل كثيرة على ما كان للمرأة من حقوق واسعة فقد صورها طرفة بن العبد على أنها مناظرة للرجل (٧) كما توجه اليها

(١) القرآن الكريم - سورة النمل ٣٢ •

(٢) R. Smith: Kinship & Marriage, P. 125-295. (٢)

Levey: Arabia before Muhomed P. 51

Bevan James: Women in Islam P. 22.

(٣) الاغانى ج ٤ ص ١٢٩ وروى أيضا : لدى الحلم •

(٤) Bevan James: Women in Islam. (٤)

(٥) مكة في دائرة المعارف الاسلامية •

(٦) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٣٢ •

(٧) طرفة بن العبد - ديوانه ص ١٤ •

الشعراء بأدب : يخاطبونها ويتوجهون اليها بجليل الفضائل وكريم  
الاعمال . (١)

وقد كان من حقها أن تراقب أفعال الرجل وتسأله عن أعماله وتناقش  
تصرفاته وتدعوه الى الاستقامة والفضيلة . فالزوجة مثلا كانت ترى أن  
زوجها وما ملك انما يعود خيره وشره عليها فهي لذلك تحرص على ماله ،  
وترى من حقها أن تلومه ان أسرف فتدعوه الى الاعتدال (٢) ، وقد تقسو  
أو تعنف في لومها كما صور ذلك نبيه بن الحجاج بقوله :

تلك عرساي تنطقان بهجر      وتقولان قول زور وهتر  
تسألان الطلاق اذ رأتا      نى قل مالى ، قد جثمانى بنكر  
فلعلى أن يكثر المال عندى      ويخلى عن المغارم ظهري  
وترى أعبد " وجياد "      ومناصيف ' من ولائد عشر (٣)

فكانت ترى من حقها أن تلح على زوجها فى التدبر والقصد عند  
الانفاق (٤) كما كانت ترى من حقها ايضا مراقبة سلامته (٥)

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ١٥

(٢) كعب بن زهير - ديوانه ص ٢ ، عمرو بن الاثم  
المفضليات ص ٤٩ .

الحماسة ج ٢ ص ٢٣٦-٣٣٧ ، عروة بن الورد - ديوانه ص ٢٠-٤٦

(٣) الاغانى ج ١٦ ص ٦٢ .

(٤) تأبط شرا - المفضليات ص ٤ ، حاتم الطائي - شعراء النصرانية  
ص ١٢٠ - ١٢٥ .

(٥) سعيد الغنوى - الاصمعيات ج ١ ص ٦٠ .

وتحذيره مغبة المخاطرات<sup>(١)</sup> وليس معنى هذا أن المرأة كانت عملا يدعو الى  
البخل أو الجبن أو الهزيمة • كلا • فنحن نراها تلوم الرجل اذا جبن<sup>(٢)</sup>  
وتحفزه على السعى اذا كسل وتقايس<sup>(٣)</sup> • نعم كانت المرأة ميزانا من  
موازين الاستقامة ترى في الرجل ما يراه وما لا يراه وتسمى لتقوم مسا  
اعوج من خلقه وعمله • فكان من حقها أن تمنعه عن الاسفاف والعكوف  
على اللهو والحمر<sup>(٤)</sup> • أما في البيت فكانت حقوقها واسعة وأوامرها نافذة  
فهي ربة بيتها والمرأة وهي أم تمارس حقها في تربية بنيتها وارشادهم<sup>(٥)</sup> •  
والمرأة وهي فتاة تعيش في بيت أبيها وتلقى منه كل عطف ومن حقها  
أن تنعم بحياته وخيره<sup>(٦)</sup> • وقد عاشت بنات الاشراف ، خاصة ، عيشة  
رغيدة ناعمة كما تشاهد صورهن في الشعر فلبسن الحز والحريير  
والديباج<sup>(٧)</sup> وقامت الاماء العديداً على خدمتهن • وكان من حقهن  
على الاباء أن ينعمن بعطفهم ودلالهم<sup>(٨)</sup> وكان الاباء يعنون براحتهن  
وسعادتهن وحتى أنهن ما غبن عن أذهانهن في أخرج ساعات حياتهم، عندما

- 
- (١) قيس بن الخطيم - الاغانى ج ٢ ص ١٥٩ ، سلامة بن جندل -  
الشعر والشعراء ص ١٤٧ • الاغلب العجلى - الاغانى ج ١٨ ص ١٦٤ •  
(٢) أبو قيس بين الاسلت - الاغانى ج ١٥ ص ١٦١ ، تأبط شرا -  
الاغانى ج ١٨ ص ٢٣ •  
(٣) النمر بن تولب - ديوان عروة بن الورد ص ٤٦ •  
(٤) الاعشى - ديوانه • القصيدة رقم ٦٦ ، أبو الذيال الهذلى -  
طبقات ابن سلام ص ١١٣ •  
(٥) بلاغات النساء ص ١٤٠ - ١٤١ •  
(٦) المنخل اليشكري - شعراء النصرانية ص ٤٢٣ •  
(٧) الاعشى - ديوانه • القصيدة رقم ١٢ •  
(٨) المصدر السابق القصيدة رقم ٢١ •

كانوا يعانون أشد أدوار المرض (١) أو يقدمون على حرب أو يستعدون لسفر • وعندما تزوج الفتاة يصبح لها حقها في المهر (٢) ان تزوجت بالعقد أو بزواج الصديقة • وكان لها أن ترفض الرجل اذا لم تجد في نفسها رغبة اليه خاصة بنات الاشراف (٣) وقد صور تأبط شراً كيف أشارت بعض الفتيات على صاحبة لها أن ترفض الزواج منه حينما جاء يطلب يدها (٤) • كما رفض بعضهن عروة بن الورد لكثرة مخاطراته • (٥) لهذا لم يكن للزواج من الشريفة طريق غير ارضائها كما حدث للزباء بنت علقمة اذ طلبت يدها فامتنعت حتى أفنعتها أمها على الموافقة (٦) • ومع هذا فكثيرات من بنات الاشراف كن يشترطن في الزواج أن يكون أمرهن بأيديهن فلهن أن يطلقن أنفسهن بعد أن يتزوجن ان لم يستقم لهن زواجهن (٧) • ويعقد ابن حبيب في كتابه « المحبر » فصلا طريفاً عن النسوة اللواتي كانت احداهن اذا أصبحت عند زوجها صار أمرها اليها ان شاءت أقامت وان شاءت تركته ، وذلك لشرفهن وقد رهن • ويذكر منهن سلمى أم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وفاطمة بنت الخرشب الانبارية ، وهي أم الكملة ، وأم خارجة بن بجيلة ومارية بنت الجعد ، وعاتكة أم هاشم بن عبد مناف (٨) • وعلى العموم فان الزوجة كانت تلقى

(١) لبيد بن ربيعة : الاغانى ج ١٤ ص ١٠١ •

(٢) Hughes: Dictionary of Islam Art. « الزواج »

(٣) Mansour Fahmy: La Condition de la Femme

de la tradition etc P. 9.

(٤) الاغانى ج ١٨ ص ٢١٧ ، الحماسة ج ١ ص ١٣٥ •

(٥) الاغانى ج ٨ ص ٢١٧ ، خزنة الادب ج ١ ص ٦٦ •

(٦) المرأة في جاهليتها واسلامها لعفيفى ج ١ ص ٥٢ •

(٧) الاغانى ج ١٦ ص ١٠٦ •

(٨) المحبر لمحمد بن حبيب ص ٣٩٨ •

من زوجها عطفًا واحترامًا وحبًا صادقًا<sup>(١)</sup> ، وكانت تتمتع بحقوقها في بيتها ، وعلى الزوج • ولعل مما يدل على ذلك أبلغ الدلالة أن نجد من حقها أن تكون صاحبة مال فمثلها مثل الرجل تملك وتتصرف فيما تملك • قال حاتم الطائي لزوجته :

دعيني ومالي ان مالك وافر<sup>(٢)</sup> وكل امرىء جار على ما تعودا<sup>(٣)</sup>  
يريد أن تتركه حرا في ماله وتتصرف هي بمالها كيف شاءت •

ويمكن أن نتخذ لنساء الطبقة الراقية من ذوات الثروة مثلا بعض النساء المكيات اللاتي كن على اتصال بالحضارات الراقية فنذكر منهن سيدتنا خديجة التي كانت تعد من مشريات القوم وتتمتع بثروة تجارية مستقلة ، لها مالها الخاص الذي كان الرسول يتاجر به وخدمها الذي رافق الرسول في تجارته • وقد وهبت بنتها دارا كانت لها بمكة • وكان لمشريات مكة نصيب في القوافل التجارية التي اعتادت أن تعبر الصحراء شمالا وجنوبا<sup>(٤)</sup> ولعل حماسهن الشديد الذي أظهرنه ضد المسلمين يادى الأمر كان يرجع بعضه الى خوفهن على أموالهن التجارية •

والى جانب هذه النصوص التي تؤكد تملك المرأة يجد الباحث نصوصا اخرى تؤكد أنهم لم يكونوا ليورثوها<sup>(٥)</sup> ، فقد روى أن أول من ورث النساء في الجاهلية فأعطى البنت سهمًا والابن سهمين ذو المجاسد

---

(١) عروة بن الورد - ديوانه ص ٣١ - ٣٥ •

(٢) حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١٢٠ ، ويلاحظ قول

عمام بن رياح بن يربوع : المعمرين لابي حاتم السجستاني ص ٥٨ •  
Sir Abdu Rahim: Muhammed Jurisprudence, P. I2.

(٤) البيضاوي - تفسير الايتين ٨ ، ١٢٦ من سورة النساء ،

الطبري - تفسيره ج ٤ ص ١٨٥ •

اليشكري وهو عامر بن جشم بن غنم بن حبيب كما روى في سبب نزول الآية بتوريت البنت أن رجلا من الانصار توفي وترك أربع بنات الى الدمامة ما هن ، فأخذ ابنا عمه ماله كله فشكت امرأته ذلك للرسول اذ لم يكن لديها ما تطعمهن به فنزل قوله تعالى « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ، (١) » ولم يكن عدم توريت المرأة مانعا تملكها ، اذ كان لها أن تملك بطرق كثيرة كالتجارة والعمل .

ونرى مما تقدم أن المرأة كانت ذات حقوق مقررة وكان من أهم حقوقها على الرجل أن يحميها ويمنع عنها الضيم ويشعرها بأنها تعيش في حسي حقيقي فتجد فيه كفايتها لهذا كثيرا ما مدح شعراؤهم بالغيرة على النساء والذب عنهن .

ولم يكن الرجل ليحمي أهله وافراد بيته فقط ، فاليست عند العربي والاسرة يتسعان حتى يشملا القبيلة ومن هنا افتخر الشعراء بأنهم يشركون جاراتهم في طعامهم وما يذبحون أو يأكلون يقول حاتم :  
وانى لأخزى أن ترى لى بطننة " وجرات بيتى طاويات (٢) ونحف  
فهو يشرك جاراته فى زاده ، ويعطين من الحقوق ما يعطيها أهله .  
أليس يحميهم ضد المغيرين كما يدفع عنهم الجوع والمسغبة وكانت هذه الحماية تضاعف اذا لم يكن لهن معين أو اذا غاب عن الواحدة منهن بعلمها يقول حاتم :

وما تشكى جارتى غير أنها  
اذا غاب عنها بعلمها لا أزورها

(١) المحبر لمحمد بن حبيب ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) شعراء النصرانية ص ١٣٠ .

سبلغها خيري ويرجع بعلمها

اليها ولم يقصر على ستورها (١)

ويُظهر الرجال في هذه الصور عفة عن النظر الى جاراتهم والتعرض  
لهن في غياب بعولتهن ، ومن حقوقهن عليهم أن يفضوا الطرف عن عيوبهن  
ويصرفوا أسماعهم عن أسرارهن ، فاذا كان للجارة هذه الحقوق فما كان  
للزوجة وأهل الرجل هو أعظم وأوفر .

### ٣ - واجباتها :

لم يكن العرب ليرهبوا نساءهم بالاعمال والواجبات كما فعل غيرهم  
من الشعوب مثل اليونان والفرس . والعربية كانت تختلف حالتها باختلاف  
الاسرة التي تعيش فيها ، فنساء الاسرة الراقية قل أن يقمن بالاعمال المنزلية  
وبغيرها ، اذ تكفيهن الاماء والحاديات مؤونة الطبخ وضرب الخيام وجلب  
الماء والغسل وغير ذلك . أما في الطبقات الوسطى والفقيرة فالنساء يقمن  
بأعمالهن بأيديهن ، ومع هذا ففى جميع الاحوال كانت ادارة البيت منوطة  
بالمرأة والسيادة فيه للرجل . فعلى المرأة تنظيم بيتها ، ورعاية أطفالها ،  
وتهيئة الغذاء واللوازم لهم ، وعليها أن تحافظ على كرامة البيت وسمعة  
صاحبه (٢) ولم يكن من المستحسن عندهم خضوع الزوج  
لزوجه (٣) فهو يراقب بيته (٤) وزوجه وقد يغلظ معها فى القول  
ويشتد اذا شعر بلزوم ذلك . (٥)

(١) المصدر السابق ص ١٢٢ .

(٢) الشنفرى الازدى - المفضليات ج ١ ص ٤٢ ، الاغانى ج ٢١

ص ١٣٨ .

(٣) العقد الفريد ج ٣ ص ٥٣ ، ابن الاثير ج ١ ص ٤٢ .

(٤) الاعشى - ديوانه . القصيدة رقم ١٢ .

(٥) النقائص - ص ٨٨ - ٨٩ .

ولانشغال المرأة باعالة اولادها ثقل الحمل على كاهلها فخفف الرجل لغلتها ، ولكنها كانت غلبة ارشاد وقيادة وهي الدرجة التي أشار اليها قوله تعالى « والمرجال عليهن درجة » (١) التي تتمثل في القوامة الشرعية الواردة في قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » (٢) فالواقع أن الرجل غير قادر على استبعاد المرأة استبعادا فعليا كما يتوهم البعض ، بل انها تستطيع أن تؤثر في نفسه فتغيظه وقد تكون أقوى منه في بعض المواقف وهذا ما اعترف به الشاعر الجاهلي مباشرة وبأسلوب غير مباشر ، فقال عمرو بن معد يكرب :

ان العوانى قد أهلكنى تعباً وختلتهن ضعيفات القوى كذبا (٣)  
وهكذا نجد الشعر مليئا باعترافات الشعراء بأن النساء سلبن عقولهم وخططن عليهم أفكارهم وطرن بقلوبهم وأنهن قتلنهم قتلا . هذا بالاضافة الى الكيان الخاص للمرأة الذي نجده في الشعر واضحا عندما تعنى بها الشعراء . أما ميزة الرجل على المرأة فيرجعها بعض الى عامل ديني أو عامل طبيعي (فسيولوجي) كما رأى بعض آخر أن الحياة كانت نشأت أنثوية ثم صارت عسكرية سياسية ، فتقدم الرجل على المرأة اذ ذلك بحكم قوته الجسمية ، وحيالته العقلية (٤) ، ويرجعها آخرون الى عوامل مادية معاشية (٥) .  
أما الضيوف فان ربة البيت هي التي تهى لهم الخيمة . قال أبو الفرج في أخباره : ان عمراً بن عمرو سأل أمنة بنت أخيه قائلاً « اضربى

(١) القرآن الكريم - البقرة ٢٢٤ .

(٢) القرآن الكريم - النساء ٣٤ .

(٣) الاغانى ج ١٤ ص ٣٩ ، الاصمعيات لوليم بن الورد ص ٥ ،  
القوى : العقل .

(٤) Lester F. Word : Pure Sociology chap. I4 .

(٥) فردريك انجاز : أصل العائلة .

على قيس ، الذي أنعم على عمك ، هذه القبة « فجاءت ورأت الحارث فظنته قيسا فضربت له القبة • وكان الحارث قد قتل أباهما وهي لم تعرف شخصه • فلما علم عمها بالامر قال « ضربتها على رجل قتل أباك وأمر بقتل عمك » فجزعت لذلك (١) • وقد صور أوس بن حجر عناية ربة البيت بالضيوف واهتمامها الفائق بشؤونهم فقال :

لعمرك ما ملت نواء نويها      حليلة إذا ألقى مراسي مقعد  
ولكن تلتق باليدين ضمانتي      وحل بشرج فالقبائل عودي  
ولم تلهها تلك التكاليف أنها      كما شئت من أكرومة وتخود  
بأجزيك أو يجزيك عني مثوب      وقصرك أن ينشئ عليك ويحمد (٢)

وكان من أمر أوس أنه أصيب على أثر سقوطه من راحلته ، فلما سمع بأمره فضاله بنى عليه وجعل ابنته حليلة تقوم عليه حتى شفي واستقل • وقد لمس أوس في حليلة أُناتها وصبرها على تكاليفه الجسيمة ، التي كلفها إياها وهو مريض ، وهذا مما يدل على أن العناية بالمرضى ورعاية المجاورين كانت من أعمال ربات البيوت ويؤيد ذلك أن الزبيرقان بن بدر لما أضاف الحطيئة وكَل أمه (شذرة) به وقيل بل وكل زوجته هندية بنت صعصعة بن ناجية فأكرمه ، وذلك في عام مجذب ، وما تحول عنها إلا بعد أن وسوس خصوم الزبيرقان في صدرها ، إذ افتروا على زوجها بأنه يريد أن يتزوج من مليكة ابنة الحطيئة وكانت فتاة جميلة فأنته فأظهرت هندية حينذاك جفوة نفر الحطيئة بسببها • (٣)

(١) الاغانى ج ١٠ ص ٤٤ ، النقائض ص ٦٥٩ •

(٢) الاغانى ج ١٠ ص ٧ • الثوى - الضعيف الاسير ، قصرك -

قصاراك •

(٣) الاغانى ج ٢ ص ٥٢ - ٥٣ •

وكان الضيف اذا لم يجد الراحة المنشودة فى دار مضيفه عزى ذلك الى اهمال زوجة هذا المضيف لانها هى المسؤولة بالدرجة الاولى عن الاهمال ولهذا نجد بعض الشعراء يهجون زوجات من اضافوهم وزوجة المضيف تسمى عندهم « أم المشوى » قال أحدهم :-

يا أم مشواى عدمت وجهك      انقذنى رب العلى من مصرِكَ  
ولذع برغوث أراه مهلكى      أبيت ليلى دائب التحكك  
تحكك الاجرب عند المبرك (١)

وكان على النساء مساعدة الرجال فى السلم ووقت الحرب بكل ما أوتين من قوة وذكاء ، وعليهن أن يخلصن لقبائلهن فيسعين للمحافظة على سلامتها وشرفها .

والشعر الجاهلى يصور المرأة مشاركة للرجل فى الحرب الى حد ما . فقد تثيرها وتكتوى بلظاها وأهوالها . ونجد فى شعر النساء صرخات مدوية ودعوات صاخبة للحرب بأسلوبهن المؤثر الذى لا يسكت عليه الرجل وان كان حليما غزير العقل ومن هذا قول ابنة الحصين تراثى أباهما وتحرض قومها على الاخذ بئاره .

فان اتم لم تصبحوا القوم غارة      يحدث عنها وارد بعد صادر  
وترموا عقيلاً بالتى ليس بعدها      بقاء فكونوا كالاماء العوائر (٢)  
وقد أظهرن براعة فائقة فى التأثير فى قلوب الرجال يدفعهن فى الغالب اخلاصهن وجهن . ومن الامثلة الممتازة التى تصور قدرتهن فى

---

(١) الجاحظ : ثلاث رسائل - الرسالة الثانية . موضوعها فخر السودان على البيضان ص ٦٣ .  
(٢) رياض الادب فى مراثى شواعر العرب لشيخو ص ٤٧ .  
الاماء العوائر = النساء الضعاف .

التأثير لحمل الرجال على طلب الثأر قول أم قرفة تخاطب زوجها حذيفة  
وقد قبل الدية عن ابنها القليل .

حذيفة لا سلمت من الاعادى  
أيقنل قرفة قيس وترضى  
أما تخشى اذا قال الاعادى  
فخذ نأرا بأطراف العوالى  
والا خلتنى أبكى نهارى  
لعل منيتى تاتى سريعاً  
فذاك أحب من بعل جبان  
ولا وقيت شر النابيات  
بأنعام ونوق سارحات  
حذيفة قلبه قلب البنات  
وباليض الحداد المرهفات  
وليلي بالدموع الجاريات  
وترمينى سهام الحادثات  
تكون حياته أردا الحياة<sup>(١)</sup>

ولو استعرضنا أسباب حروب الجاهلية الهامة التى وصلت إلينا أخبارها  
وأردنا أن نعمل بنصيحة نابليون العظيم حين قال « فتش عن المرأة » لتبين  
لنا أن المرأة كانت سبباً فى اشعال نار الكثير منها . فكانت بنت النعمان ملك  
الحيرة من جملة أسباب حرب ذى قار<sup>(٢)</sup> ، الحرب التى كان طالع المرأة  
سعيداً فيها وذلك لانتهائها بانتصار العرب الحربى والسياسى<sup>(٣)</sup> وكذلك كانت  
صرخة عمرة بنت الحباب التغلبية<sup>(٤)</sup> وصرخة ليلى بنت المهلهل أم عمرو  
ابن كلثوم<sup>(٥)</sup> سبباً لحروب عدنان وقحطان . أما حرب البسوس فقد  
ذكروا أن هذه المرأة البسوس ، قد أشعلتها بغتاها<sup>(٦)</sup> . وكانت حرب

- 
- (١) رياض الادب فى مراثى شواعر العرب ص ٣٩ - ٤٠ ( اقنع  
حمل أخاه حذيفة أن يقبل الدية ) .  
(٢) الاغانى ج ٢ ص ٢٩-٣١ .  
(٣) فقد صور البديل العجلى النشوة التى بعثتها هذه الحرب .  
المرأة العربية لعقيفى ج ١ ص ١٢٦ .  
(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٦٦ .  
(٥) الاغانى ج ٩ ص ١٧٥-١٧٦ .  
(٦) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٤٧-٣٤٨ ، شعراء النصرانية ص ١٥٥ .

الفجار كذلك قد أثارها امرأة : فقد روى أن فتاة حسناء تعرض لها بعض الشبان الماجنين من كنانة فسألوها أن تسفر وألحوا عليها في المسألة (١) وكانت عادة فاتنة ذات جمال ساحر وحسن رائع فما رفعت صوتها : « يا آل عمر » حتى ثارت الحرب بين عامر وهوازن وقريش وكنانة . وقد صور عمرو بن كلثوم في معلقته كيف كانت نساؤهم تقول لهم وهم مقدمون على الحرب : « لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا » أما دعواتهن للاخذ بثار قتيل عزيز وعدم السكوت على ضيم فكثيرة (٢) ، فقد دعت ريحانة ابنها الى أن يأخذ بثار أخيه (٣) . كما استفرت كبشه اختها ، أهلها للاخذ بثار أخيها الذي قتله بنو مازن ، فجعلت كلامها على لسان القاتل ليبلغ أعماق الأثر في النفوس فقالت :

فأرسل عبدالله اذ حان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دمي  
ولا تأخذوا منهم افالا وأبakra  
ودع عنك عمراً ان عمراً مسالم  
فان أتم لم تتأروا واتديتم  
ولا تردوا الا فضول نساتكم  
واترك في بيت بصعدة مظلم  
وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم  
فمشوا بأذان النعام المصلّم  
اذا ارتملت أعقابهن من الدم (٤)

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ١٠٩ .

(٢) الحماسة لابى تمام ص ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، الاغانى ج ٤ ص ١٤١-

١٤٢ ابن الاثير ج ١ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٣) الاغانى ج ٩ ص ٧ ، شعراء النصرانية ص ٧٦١ .

(٤) الدر المنثور فى طبقات ربات الحدور لزئيب فواز ص ٤٥٨ ،

حماسة أبى تمام ج ١ ص ٥٤ - ٥٥ ، حماسة البحرى ص ٣٠ لا تعقلوا  
لأخ - لا تأخذوا عن دمي دية ، أفال - جمع أفل وهو ولد الناقة بلغ سبعة  
أشهر ، فمشوا الخ . . . امشوا بأذان مقطوعة حتى لا تسمعوا ما يقال فيكم  
من عار . ولا تردوا الخ . . . من عاداتهم ان تأتي النساء بعد الرجال للورد  
ومن ورد بعدهن فهو فى الغاية من الذلة .

وقد جعلت طبيعة النساء ، والقواعد الجاهلية ، عليهن بعض الواجبات الاخرى كالبكاء والندب في الاحزان (١) والغناء واللهو في الافراح ، كما فرضت أعرافهم على المتوفى عنها زوجها أن تعقد سنة كاملة في الغالب (٢) .

#### ٤ - وظائفها في السلم والحرب :-

وجدت المرأة باعتبارها تمثل الام عملها حاضرا بخلاف الرجل الذي يظن أنه هرب من العمل دهرا طويلا ، ذلك لان الام تكون ألقى بأولادها وقد قيل لهذا : ان المرأة حملت من ميدان الحياة الحيوانية الى ميدان الحياة البشرية التضحية والخدمة للجنس ، فاعتبرت منبعا للتعاون المتبادل الذي حد كثيرا من الانانية الفردية فهي من هذه الوجهة ذات أثر كبير في الحضارة .

وقد أحاطت الطبيعة المرأة بعنايتها فخصتها بحب شديد للمحافظة على نفسها فهي تسعى عمرها الى الابتعاد عن الاعمال العنيفة ، وترغب في العمل الهادى . البعيد عن المخاطر . ولهذا الطابع الهادى . الذى انطبعت به أعمالها كان مصير أكثر أعمالها النسيان . قال «كارليل» ان خدماتها كلها كانت أعمالا ولكنها منسية ، هي هذه الملايين العديدة من الناس ، فالمرأة لم تشتغل بالحرب والصيد عادة ، اذ هما من محتكرات الرجل ، لانهما يحتاجان الى دوافع حيوية شديدة . فالجانب الحربى للحضارة الاولى اذن يعود للرجل والجانب الصناعى انما هو للمرأة . فالمميزات الالية للادوات التى كانت تستخدمها المرأة هي ليست الاسلحة الحربية ولكنها المديفة فقد استخدمتها لجميع الاغراض الصناعية . كان العربى يلقى بين يديها صيده وذبيحه وهى التى تطهى اللحم وتصنع الجلود كما كانت تصنع الملابس وكثيرا من حاجياتها المنزلية . يقول النابغة :

(١) المهلهل - ديوانه ص ٢٠ .

(٢) المحبر لمحمد بن حبيب ص ٣٢٧ .

كأن مجر الرامسات ذبولها عليه حصير نمقته الصوانع (١)

أما في الارياف والقرى التي وجدت فيها الزراعة فالمرأة عملت في شؤون الزراعة وفوق هذا فهي الطبيبة والمرضة بالوراثة اذ ان الطب مهنة النساء في الاصل ليس في بلاد العرب فحسب ، بل في جميع اجزاء العالم (٢) ، والمرأة اعتمد عليها العرب كثيرا (٣) فوظائفها وقت السلم عديدة اذ من الطبيعي مثلا أن تقود جمل والدها الاعمي (٤) وتقوم بالطهي وما يتصل به لأن ذلك من عملها في الطبقات المتوسطة وما دونها ، الطبقات التي لا تملك اماء ولا تستخدم من يؤدي لها أعمال البيت ، أما في البيوت الراقية فان الخادמות والاماء هن اللاتي يطهين الطعام (٥) ويؤدين أعمال البيت . قال علباء بن أريم يصف فتيات يطبخن :

واذا العذارى بالدخان تقنعت

واستعجلت نصب القدر فملت

دارت بأرزاق العيال مغالِق

بيدي من قمع العشار الجللة (٦)

فهن قمن ، ولشدة الجوع الذي أصابهن صبرن على الوقوف وسط

---

(١) شعراء النصرانية : ص ٦٨٨ . الرامسات = الرياح ، عليه =

على النوى .

(٢) Max Bartol: Naturoiker, P. 52 - 53. (٢)

(٣) النقائض ص ٦٥٩ .

(٤) النقائض ص ٦٥٩ - ٦٧١ .

(٥) Blunt: The Seven Golden Odes P. 13. (٥)

(٦) الحماسة لابن تمام ج ١ ص ١٥٣ ، الاصمعيات لوليم بن الورد

ص ١٨ ملت - ادخلت في الملة وهي الجمرة ، مغالِق - سهام الميسر

قمع = ج قمعه وهي رأس السنم . العشار = النوق الحاملة .

الدخان واستعجلن نصب القدور على النار ولاستبطنهن ادراكها زودنها  
بالجمر • ودل هذا على شدة الجوع لانه ذكر العذاري وقد أظهرن جوعهن  
على خلاف عاداتهن من الحياء والحفر • أما وظيفة الام في اطعام عيالها فقد  
ذكرها الشنفرى بقوله :

وأم عيال قد شهدت تقوتهم اذا أطعمتهم أو تحت وأقلت  
تخاف علينا الجوع ان هي أكثر ونحن جيع أي آل تألت (١)

فالام هي التي تعنى باطعام الاولاد تغدق أو تقتر حسب الاحوال  
ووفق سليقتها • أما حلب الاغنام والدواب فكانت نساء بعض القبائل لا تقوم  
به فقد روى أن خالد بن جعفر بن كلاب لما أغار على رهط الحارث بن ظالم  
ابن يربوع فقتل الرجال بقيت النساء والحارث وهو يومئذ غلام كانت نساء  
بنى ذبيان لا يحلبن النعم فلما بقين من غير رجال طفقن يسألن الحارث  
ليشد عصاب الناقة ليحلبنها فقال خالد :

تركت نساء يربوع بن غيظ أرامل يشتكين الى الوليد (٢)

أما الدعوة الى الحفلات والافراح وسقى الندامى فقد جاءت في خطاب  
المرقس الأكبر :

انا محيوك يا سلمى فحيينا وان سقيت كرام الناس فاسقينا  
وان دعوت الى جلى ومكرمة يوما سراة كرام الناس فدعينا (٣)

ومن المرجح أن تكون سلمى من الحرائر ، اذ هن اللاتي يروجن

---

(١) الاغانى ج ١ ص ١٣٩ - ١٤٠ • او تحت = قلت ، آل =

تقصير •

(٢) الاغانى ج ١٠ ص ١٢ •

(٣) شعراء النصرانية ص ٢٨٦ ، حماسة ابى تمام ص ٤٥ :

( باريس ١٨٢٨ ) •

للأعمال الجليلة والمكارم ، وهن اللاتي توجه اليهن مثل هذه التحيات .  
وان صح ذلك فان الحرائر كن يسقين الشراب في مجالسهن وتقوم الزوجة  
بشؤون زوجها فتغسل رأسه وتهيء ملبسه وفرشه فقد روى عن جليلة  
أخت جناس أنها غسلت رأس زوجها (١) كما كانت النساء تهين أوعيه  
الماء (٢) وقد تقوم الحرائر بحمل الماء كما تقوم الاماء اذ ليس في  
الشعر ما يدل على هذا والمرجح أن تقوم به الاماء والخاديات ان وجدن .

هذا في السلم وأما في الحروب ففي الشعر تصوير للمرأة وهي  
تحمس المقاتلين . من هذا قول المهلهل وهو في أول الحرب يتوقع ظهور  
المخدرات لتدعو المقاتلين للاستبسال فنجده يسأل صاحبه ليقرب حصانه  
استعدادا للمعركة بقوله :

قربا مربط المشهر منى سوف تبدو لنا ذوات الرجال (٣)

وكانت العادة عندهم أن يركب عدد من البنات على الجمال ليغنين  
ويصرخن بالمحاربين عندما تشتد الحرب (٤) . وقد روى أن الخوفزان  
وقومه لقيهم بنو منقر وعلى رأسهم قيس بن عاصم فاقتلوا أشد القتال ،  
ونادت نساء بنى ربيع « يا آل سعد » فاشتد قتال بنى منقر لصياحهن  
فهربت بكر وخلصوا ما كان في أيديهم من الاموال (٥) . وكان تعرضهن  
للخطر يبعث في نفوس المحاربين الشجاعة والاستبسال (٦) وبهذا ضرب  
حنظلة بن ثعلبة في ذى قار قبة وسط المعركة فجمع حولها النساء فاشتد

(١) النقائض ص ٩٠٥ .

(٢) النقائض ص ٦٤١ .

(٣) المهلهل - المرأة في جاهليتها واسلامها لعفيفي ج ١ ص ١٤٤ .

(٤) Blunt: The Seven Golden Odes, P. 12.

(٥) الاغانى ج ١٢ ص ١٣٥ .

(٦) النقائض ٦٤٢ .

قتال العرب (١) وقد وقفن أمام الجيش الفارسي حاسرات عنهن الحجب ،  
صارخات بالفرسان ، باذلات لجمالهن الناعم الرخص فقد الهائن الرعب  
والذعر عن الحجل والتستر . وقد وصفهن الاعشى وهن في أول هذه  
الحرب بقوله :-

لما أتونا كأن الليل يقدمهم      مطبق الارض يغشاها بهم سدف  
الى قوله :

وظعننا خلفنا كحلا مدامعها      أكبادها وجف مما ترى تجف  
حواسر عن حدود عاينت عبرا      ولاحها وعلاها عبرة كسف  
من كل مرجانة في البحر أخرجها      غواصها ووقاها طينها الصدف (٢)  
وبأسر النساء كان يحذر الرجل قومه ، فقال لقيط بن بكر :

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا      على نسائكم كسرى وما جمعا (٣)  
ومن صفات الفروسية حماية الشريفة (٤) وكانوا يفخرون بالدفاع  
عنهن فقال خريب بن الحرب التيمي مادحا :

هم منعوا في يوم قار نساءنا      كما منع الشول الهجان قرومها (٥)  
وقد وصفهن طرفة بن العبد وهن يتجاولن أثناء الموقعة كأقاطيع بقر  
الوحش يتبع بعضهن بعضا فيحمنن المحاربين بأصواتهن اذ قال :

ونحن اذا ما الحيل زایل بينها      من الطعن نشاج مخل ومزعف

(١) العقد الفريد ج ٣ .

(٢) الاعشى - ديوانه . القصيدة رقم ٦٢ ، الاغانى ج ٢٠ ص ١٤٠

(٣) الاغانى ج ٢٠ ص ٢٤ .

(٤) Blunt: The Seven Golden Odes, P. 12.

(٥) الاغانى ج ٢٠ ص ١٤٠ ويلاحظ ديوان عنتره ص ٢٨٣

الشول - رافعة الذنب للقاح ، الهجان - البيض الكرام ، القرم -  
الفحل الشديد .

وجالت عذارى الحى شتى كأنها توالى صوار والاسنة ترعف (١)  
وفضلا عن ذلك فالعربيات كن يحاربن اذا اقتضت الضرورة بشجاعة  
لا تقل عن شجاعة الرجال - كما حدث فى واقعة احد - وقد وصف جحدر  
ابن ضبيعه اشتراكهن الفعلى فى أعمال القتال (٢) . وهناك قصص تدل على  
مقاتلتهم كقصة عامر بن الطفيل (٣) . وكان قتالهن أحيانا بشراسة  
وعنف (٤) . وكان البدو يخرجون نساءهم معهم الى الحرب فيشددنهم  
أغانيهن الحربية . وهذه الاغاني يظن أن أصلها كان دينيا لان العرب  
كانوا مثل سائر الامم والشعوب يصلون لآلهتهم وهم شاكى السلاح قبل  
ذهابهم الى الحرب ، فيستشيرون الآلهة فى الحرب - كما فعل امرؤ القيس  
بعد مقتل أبيه - ويسألونها أن تنصرهم على أعدائهم ، ثم يرقصون عندها  
الرقص الحماسى ثم تحول هذا الغناء الدينى الى غناء حربى (٥) ولم يكن  
شئ يثير حماسة الرجال مثل غناء النساء .

وإذا لم تشترك النساء بالاعمال الفعلية فى الحرب كن يقمن بالاعمال  
الثانوية فيقدمن للمحاربين الماء والزاد والسلاح ، ويرقن المؤخرة والجوانب  
لئلا يباغتهم العدو . ومن أهم أعمالهن تضييد الجراح (٦) فهن الطبيبات

---

(١) طرفة بن العبد - ديوانه ص ١٢٧ « شرح الاعلم » شعراء  
النصرانية ص ٣١٣ زايل - فارق ، نشاج - طعن يخرج الدم بصوت  
شخير ، المخل الذى ينزف الدم ، توالى - أواخر ، الصوار - قطيع  
البقر ، ترعف = تقطر دما .

(٢) جحدر بن ضبيعة : شعراء النصرانية ص ٢٦٨ .

(٣) ابن الاثير ج ١ ص ٤٨٢ .

(٤) Fison & Howitt: Kamilaris & Kunari, P. 133

(٥) البستانى - النساء العربيات ص ٤١ .

(٦) الميدانى - مجمع الامثال ج ١ ص ١٩٥ .

بالوراثة<sup>(١)</sup> قال قيس بن الخطيم :-

طعنت ابن عبد القيس طعنة نائر لها نفذ لولا الشعاع أضاءها  
يهون على أن ترد جراحها عيون الاواسى اذ جهدت بلاءها<sup>(٢)</sup>

والاواسى هن النساء الطبييات • فالمرأة التى تداوى عواطف الرجال  
وتوحى اليهم بشتى المعانى والفكر ، كانت تداوى جراحهم • وقال دراج ،  
وكان قد طعن ، يخاطب زوجته أم كهمس :

شدى على العصب ام كهمس ولا تهلك أذرع وأرؤس  
مقطعات ورقاب خنس فانما نحن غداة الانحس

هيم بهيم طليت تمرس<sup>(٣)</sup>

ويرجع سر مهارة النساء فى الطب الى تنقلهن مع الرجال فى الحروب ،  
وبين المتخاصمين وعنايتهم بشؤون الاطفال ، الامر الذى جعلهن  
يعرفن الحالات المرضية ، وفقههن فى طبيعة الظواهر والتغيرات التى تصيب  
الانسان (٤) • وعلى العموم فان جميع الاعمال الخاصة بحياة السلم ورخاء  
الانسانية كانت حيناً من الدهر وفى جذور التاريخ الانسانى من أعمال  
الحقل النسائى<sup>(٥)</sup> •

---

(١) Nicholson: A Literary Hist. of the Arabs, P.60

(٢) حماسة أبى تمام ج ١ ص ٤٤ ، النغد - الحرق ، الشعاع -

المتفرق •

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ٢٠٢ • خنس = منقبضة من الطعن •

هيم الخ •• مثل ابل عطاش جرب طليت تحتك ببعضها •

(٤) Ellis: Studies in the Psychology of Sex, the

Preface.

A. G. Spencer: Woman's Share in the Social (٥)

Culture, P. 1-4.

لم يكن خروج القرشيات في احد بأول مرة تخرج فيها العربية مع  
المقاتلين ، وقد أظهرن في هذه الواقعة حماسا ضد المسلمين كان سببا في  
انتصار قريش . ولعل من أسباب حماسهن غيرتهن على تجارتهن الخاصة  
التي كانت لهن في قوافلهن التجارية . وكان سكان المدن يبذلون لنسائهم  
وقت الخطر من أساليب الحماية ما لم يكن يتيسر للبدو ، فالأوس الذين كانت  
لهم قلاع وحصون كانوا يمنعون نساءهم وأطفالهم فيها وقت الحرب (١)  
ومن صلة النساء بالحروب أنهن كن يستقبلن المنتصرين عند رجوعهم من  
المعارك ظافرين كما خرجت نساء بنى النجار لاستقبال البدرين عازفات  
بالمزاهر مغنيات (٢) .

وقد صورنا فيما عقدناه سابقا لبيان واجبات المرأة كيف أنها كانت تؤثر  
في تفكير الرجل وسيرته، ومن ذلك انها تدفعه على اشعال نار الحرب وبذل  
جهوده في مقارعة الخصوم وتهده ان تواني أو قصر (٣) وصورناها تلومه  
على قبول الدية وتخوفه من مغبة قالة الناس (٤) . ونضيف الى ذلك انها  
كانت تستصرخه وتستنهضه اذا ما لمست منه توانيا أو تأخرا . قال أبو  
خراش خويلد بن مرة الهذلي بعد مقتل أخيه عروة :-

تقول آراه بعد عروة لاهيا      وذلك رزء ، ما علمت ، جليل

ويجد لومها أثره في نفسه فيجيب معتذرا معللا تأخره :-

فلا تحسبي أنني تناسيت عهده      ولكن صبرى يا أميم جميل

ثم يعود يؤكد لها عزمه على الاخذ بالثأر بقوله :-

---

Ilse Lichtenstadter: Woman in the Aiyam (١)  
Al-Arabe, P. 38.

(٢) البستانى : النساء العربيات ص ٤٣ .

(٣) راجع هذا الكتاب ص ٦٦ ، ابن الاثير : الكامل ج ١ ص ١٢٢

(٤) يراجع هذا الكتاب ص ٦٧

وانى اذا ما الصبح آنت ضوءه يعاودنى قطع على ثقيل (١)  
وكما كانت المرأة تثير الحرب وتشارك فيها كانت كذلك تسعى فى  
اخمادها أحيانا ، وكان لسانها يبلغ موضع أسمع الرجال (٢) ، قالت امرأة  
من بنى عامر تثبط عن الحرب :

ستركها قوم ويصلى بحرهما بنو نسوة للثكل مصطبرات (٣)  
ومعنى ذلك كله أن المرأة كانت تقوم فى الحرب بوظائفها فى السلم  
ووظائف جديدة تتصل بالاعمال الحربية نفسها حتى لقد تشارك فيها مشاركة  
ذات أثر فعال .

واذا ما انتهت الحرب فقد صور الشعر ان النساء كن يقمن المآتم  
على القتلى يبكين ويشققن الجيوب ويخمشن الوجوه قال الافوه الاودى :-  
وجاء نساء الحى من غير امرة رفيقا كما زفت الى العطن البقر  
الى قوله :-

فناحة تبكى وللنوح درسة وامر لها يبدو وأمر لها يسر  
ومنهن من قد شقق الخمش وجهها مسلبة قد مس أحشاءها العبر (٤)

٥ - ملابسها وزينتها :-

وفى الشعر ذكر لكثير من صنوف الملابس والحلى ووسائل الزينة  
الآخري ومن هذا ما جاء فى قول امرئ القيس :-

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٤ ص ٥٧ .  
(٢) Nicholuson: Aliterary History of The Arabs, (٢)  
P. 6.

(٣) ابو تمام : الحماسة ج ١ ص ٢٢٥ .  
(٤) ديوانه ص ١٥ ( مجموعة : الطرائف الادبية تحقيق عبدالعزيز  
الميمنى ) والعطن مستراح يتخذة الحيوان عند الماء .

خرجت بها تمشى تجر وراءنا على أثرنا ذيل مرط مرحل (١)  
فذكر من ثياب حبيته مرطها الطويل المزركش والمزين بالصور اذ  
أراد بالمرحل المزين بصورة الرحال . فالعربيات كن يزين ثيابهن بالصور  
كما تزين الفتيات اليوم ثيابهن بالزخرفة والصور المختلفة . وكن يلبسن  
على صدورهن الصدور ومن ذكر الصدور عروة بن الورد بقوله :-

ترى كل بيضاء العوارض طفلة تفرى اذا شال السماك صدرها (٢)  
ولعل القرويات اليوم والبنات في البادية يلبسن شيئا يقارب في شكله  
هذا الصدور . وكانت المنعمات منهن يرتدين الثياب بعضها فوق بعض  
وهي تصنع من الخز أو الحرير وتعتبر من أغلى الثياب وهي كذلك حتى  
اليوم . قال الاعشى يصور فتاة من ذوات النعمة :-

ترى الخز تلبسه ظاهرا وتبطن من دون ذلك الحريرا (٣)  
كما كن يرتدين الملاء ، ويسمونها الربطة (٤) والثياب التي حيك  
نسجها بخيوط من الذهب .

---

(١) امرؤ القيس : معلقته . المرط - كساء من خز أو صوف أو  
كتان وكل ثوب غير مخيط . وفي الحديث : « انه صلى الله عليه كان يصلى  
في مروط نسائه » اللسان مادة « مرط » .

(٢) عروة بن الورد : ديوانه ص ٤٦ . العوارض - الاسنان  
الضواحك ، الطفلة - الناعمة ، تفرى - تشق ، شال النجم - ارتفع .  
الصدور والاتب والمجول والشوذر قمص متقاربة الكيفية في القصر واللطافة  
وعدم الاكام يلبسها النساء تحت دروعهن ، وربما اقتصرن عليها في اوقات  
الخلوة . « فقه اللغة ص ٣٦١ » الصدور ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى  
الصدر والمنكبين . قال الاصمعي والجوهرى : « الصدور ما يلي الصدر من  
الدرع » . وفي المثل « كل ذات صدر خاله » أى من حق الرجل أن يغار  
على كل امرأة كما يغار على أهله . اللسان مادة « صدر » .

(٣) الاعشى : ديوانه القصيدة رقم ١٢ .

(٤) قال الازهرى : لا تكون الربطة الا بيضاء « فقه اللغة ص ٣٦٠ »

يقول سليمى بن ربيعة :

والبيض يرفلن كالدمى فى الریظ والمذهب المصون<sup>(١)</sup>

ولابد أن يكون هناك فرق بين ثياب النساء من الطبقات الراقية والبدويات الفقيرات من حيث المواد التى تصنع منها والبلاد التى تستورد منها • والفقيرات كن يصنعن ثيابهن بأيديهن فى الغالب • ولعل من ألبسة بدويات اليوم شيئا بألبسة اخوانهن قديما • وقد كن فى الجاهلية يضعن الرداء فوق الالبسة ثم يليه الدرع والازار وكلها تسمى دثارا ويلبها الشعار وهو ما يلبى الجسد وقد تلبس المرأة ثيابا كثيرة بعضها فوق بعض • أما الحمار فهو ما يغطى الوجه ، وأخذ أشكالا كثيرة من حيث ما يخفيه من الوجه فمنه النصف والمثام واللقام والتقاب والحمار • وقد تفننت النساء فى وضع الحمار فأثر ذلك فى نفوس الشعراء وحرك قلوب المحبين فقال جرير العود النميرى :

وفى الحى ميلاء الحمار كأنها مهابة بهجل من أديم تعطف

كأن ثنابها العذاب وريقها ونشوة فيها خالطتهن فرقف<sup>(٢)</sup>

وكما قال المرار بن منقذ :

وهوى القلب الذى أعجبه صورة أحسن من لاث الحمر<sup>(٣)</sup>

ومن أنواع الحجاب البرقع والوصواص الذى تظهر منه العيون بحسب • والظاهر أن التقاب والقناع كان خاصا بالحرائر وان الاماء لم يكن يحتجبن ولهذا قال عنترة :

(١) دولة النساء للبروقى ص ١٦ •

(٢) لسان العرب ج ٦ ص ٨٠

(٣) معجم البلدان لياقوت ج ٥ ص ١٠٢ الهجل - المظمن من الارض

الاديم - الجلد المدبوغ ، التعطف - مشى فيه استرخاء •

(٤) المفضليات ج ١ ص ٣١ - ٣٢ •

ان تغدقى دونى القناع فأنى طب بأخذ الفارس المستلم (١)  
وكانت الكريمان من العقائل تتخذ الاستار بالاضافة الى الحجاب فى  
أسفارهن وفى بيوتهن قال النابغة :

قامت تراءى بين سجفى كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد (٢)  
والسجف الستر الرقيق المشقوق الوسط وقال المثقف العبدى يصف  
الضعائن :

ظهرن بكلية وسدلن رقما وثقبن الوصاص للعيون (٣)  
والرقم نوع من الوشى • أما الالوان الشائعة التى كن يرغبن فيها فهى  
الالوان الزاهية والاحمر القانى خاصة الذى يشبه بلون الدم المسفوح •  
قال طرفة :

عالين رقما فاخرا لونه من عبقرى كنجيع الذبيح (٤)  
وكذلك وصف علقمة ثيابهن بالحمرة الى حد أن الطير تتبعها تحسبها  
ذبايح ولحوما (٥) والشريفات منهن يحلين كللهن بالزركشة خاصة اذا  
ظهرن فى أسفارهن كما كن يزين الاغطية التى توضع على الجمال قال  
المسيب بن علس :

---

(١) عنتره العبسى - المعلقة •

(٢) النابغة - ديوانه ص ٦٧ • السجف - الستر المشقوق ،

(٣) شعراء النصرانية ص ٤٠٥ • ابن سلام طبقات الشعراء ص  
١١٣ الوصاص - خروق فى الستر على قدر العين •

(٤) طرفة بن العبد - ديوانه ص ١٥٠ (مع شرح الاعلم الشنتمرى)

(٥) علقمة - ديوانه ص ٤٦ •

عقما ورقمائم أردفة كلل على أطرافها الحمل (١)  
أما الحلى التي استعملتها النساء فإن في الشعر تصويرات كثيرة لها  
فذكر الشعراء المواضع التي كن يضعن فيها حليهن أو يعلقنها وهي الجيد (٢)  
والنحر (٣) والمعصم (٤) وأسفل الساق (٥) واذان (٦) ، كما نجد في  
الشعر ذكرا للمواد التي كانت تصنع منها : وهي الاحجار الكريمة والمعادن  
النادرة وأهمها : الباقوت (٧) والشذر (٨) واللؤلؤ (٩) والزبرجد (١٠) والدر (١١)  
والذهب (١٢) . وهذه هي أكرم الاحجار والمعادن وأغلاها ثمنا في

- 
- (١) الجمهرة لابي زيد القرشي ص ١١١ ويلاحظ بيت علقمة بن عبده : لسان العرب ج ١٥ ص ٣٠٨ ، ص ١٤٠ . العقم - المرط الاحمر ، الرقم - ضرب مخطط من الوشى . الحمل - ريش النعام .  
(٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٨ ، المثقب العبدى - شعراء النصرانية ص ٤٠٥ قيس بن الخطيم - طبقات ابن سلام ص ٩٠  
(٣) النابغة - ديوانه ص ٦٣ ، حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١١٨ .  
(٤) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧ .  
(٥) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٥٦ ، النابغة - ديوانه ص ٦٣  
(٦) جمهرة الامثال ص ٢٤٢  
(٧) النابغة - ديوانه ص ٨٦ ، حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١١٨ .  
(٨) امرؤ القيس - ديوانه ص ٦٩ ، النابغة - ديوانه ص ٨٦  
(٩) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٨ ، علقمة - قصيدته « ذهبت من الهجران » .  
(١٠) قيس بن الخطيم - طبقات ابن سلام ص ٩٠  
(١١) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٨  
(١٢) النابغة - ديوانه ص ٦٣ ، المثقب العبدى - شعراء النصرانية ص ٤٠٥ .

ذلك العهد وفي عهدنا الحاضر • والمهم أنها لا زالت تصنع منها وسائل  
الزينة في جميع بقاع الارض المتمدنة • وكان لموقع بلاد العرب أثر كبير  
في تيسير هذه المواد ، فسواحلها بالذات يستخرج منها اللؤلؤ والمرجان (١)  
من سواحل اليمن السعيدة والبحرين • ولصلتهم بالبلاد العامرة اذ ذلك  
كالهند وفارس والعراق والشام ومصر وبلاد الروم والحبشة فهم حصلوا على  
مواد الزينة هذه بسهولة بواسطة قوافلهم المتقلة •

وصنعت الجاهليات من هذه الاحجار والمعادن السموط الضخمة (٢)  
التي تكلف حتى في هذا الزمن مبالغ ، وعلقن السموط في العنق (٣)  
وعلى الصدر وينظم فيها الزبرجد والياقوت والشنذر ، يقول النمر بن توبل :  
أناة عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجواز الجراد المفصل (٤)  
وكانوا يصنعون من الذهب القلائد وتشح بها النساء (٥) فيضعنها على  
الصدور (٦) والعربيات لبسن الاسورة في المعاصم (٧) وتزين بالخالل (٨)  
وقد وصف كثير منهم حلئ النساء • يقول الاعشى :

- 
- (١) القرآن الكريم - سورة الرحمن •  
(٢) الاعشى - القصيدة رقم ١٨ ، علقمة الفحل - قصيدته  
• السمطان •  
(٣) حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١١٨ •  
(٤) النمر بن توبل - الجمهرة لابن زييد القرشي ص ١٠٩ •  
(٥) النابغة - ديوانه ص ٦٣ ، المثقب العبدى - شعراء النصرانية  
ص ٤٠٥ •  
(٦) النابغة - ديوانه ص ٦٣ •  
(٧) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧ ، البديل العجلى -  
الحماسة ج ١ ص ٢١٨ •  
(٨) طرفة - ديوانه ص ٥٦ •

إذا لبست سمدارة ثم أبرقت بمعصمها والشمس لما ترجل  
وألوت بكف في سوار يزينا بنان كهذاب الدمقس المقتل (١)  
وقال حاتم :

تهادى عليها حلبيها ذات بهجة وكشحا كطي السابرية أهضما  
ونحرا كفى نور الجبين يزينه توقد ياقوت وشذر منظما  
كجبر الغضى هبت به بعد هجمه من الليل أرواح الصبا فتسما (٢)  
وكن يستعملن الاسورة في الرسغ والجيرة في الساعد ، والدمليح  
في العضد (٣) ، والخلخال والخدمة في اسفل الساق والاقراط في الأذان .  
وربما اختصت الحرائر منهن باستعمال السوار بدلالة قول حاتم حين لطمته  
العنزية « لو ذات سوار لطمتى » (٤) .

وكثير من أنواع الحلّي كان في أصله نوعا من الرقي والتعاويد والتمايم  
وكان يحمل لدفع مكروهه او كسب مرغوبه او استجلاب خير . ولما اطلوا  
من حملة ولبسه او تعليقه ألفوا ذلك واحسوا بشيء من الجمال فيه فصار  
حليا . ولهذا كان الجاهليون يعلقون الحلّي والجلجل على اللديغ لاعتقادهم  
انها لا تتركه ينام لانهم كانوا يرون انه لو نام لسرى السم في جسمه فأماته .  
ويعتقدون انه لو علق عليه الرصاص ، الذي هو ليس من المعادن الكريمة ،  
لمات (٥) . ولهذا العقائد شيء من السر العلمي لانها تقوم على التجارب

(١) الاعشى - ديوانه - قصيدة ٧٧ .

(٢) حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١١٨ . السابري - نوع  
من التمر .

(٣) حبيب الزيات دمشقي - المرأة في الجاهلية ص ١٣ .

(٤) حاتم الطائي - مجمع الامثال للميداني ج ٢ ص ١٠٣ « جعل

السوار علامة للحرية اذ قلما تلبس الاماء السوار » .

(٥) بلوغ الارب ج ٢ ص ٣٠٤

فبعض مركبات الرصاص مثلا مواد قاتلة •

ومن لوازم التزين عندهن الخضاب والوشم يقول زهير بن أبي سلمى  
ودار لها بالرفمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم (١)

وتفنن في ضفر الشعر كما قال امرؤ القيس

غدائره مستشزرات الى العلى تضل المدارى فى مثنى ومرسل (٢)

ونظرا لما يترتب على الفرع الطويل من الحسن أطالت قصيرات الشعور  
منهن شعورهن بوصلة معارة • وكن يتفنن بعض الشعر فى الحواجب  
كما تفعل النساء اليوم فى بعض الاحوال قال الراجز

يا ليتها قد لبست وصواصا ونمصت حاجبها تنماصا (٣)

والنامصة عندهم الناتفة شعرها • فقد عرفن نتف الحاجب • والعرب  
أحبوا الحواجب المزججة الطويلة ولم تصبغ النساء حواجبهن بما هو معروف  
ب ( الحطوط أو الحطاط ) الا فى بعض الحواضر (٤) •

أما الطيب الذى كانت تستعمله النساء فقد جاء كثيرا ذكره فى الشعر  
يقول امرؤ القيس •

ألم تريانى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وان لم تطيب (٥)

---

(١) زهير بن أبي سلمى - شعراء النصرانية ص ٥١٢ • النواشر -  
عروق باطن الذراع •

(٢) امرؤ القيس - معلقته الغدائر - النواشر ، المدارى - الامشاط •

(٣) حبيب الزيات الدمشقى - المرأة فى الجاهلية ص ١٤ •  
الوصاوص - شق فى الستر •

(٤) أبو الطيب المتنبى - ديوانه ص ٣١ ( البهية ) •

(٥) امرؤ القيس ديوانه ص ٥٦

وأغلب طيبهن المسك (١) وهو من المواد العطرية الغالية حتى اليوم • والمرجح أن نساء الطبقات الراقية من اللائحي كن يستعملنه • وذكر الشعراء أن المسك كان يجلب من اليمن ، وهو النوع الجيد القوي الرائحة لتستخدمه النساء • ومن المبالغة في وصف استعمالهن الكثير له قول المرار بن منقذ • وهي لو يعصر من أردانها عبق المسك لكادت تنعصر (٢)

والعطور كانت ترد بأصنافها الى بلاد العرب من الهند التي اشتهرت بصنع العطور ومنها الأولى (٣) وهي لا زالت حتى اليوم مشهورة باصدار العطور • ويحدثنا التاريخ ان بلاد العرب كانت الواسطة لنقل بضائع الهند الى مصر وأفريقية والشام ومن أهم هذه البضائع العطور • واستخدمت الجاهليات أنواعا كثيرة منها « البان » الذي يحتمل أنه كان يصنع من الشجر المعروف بهذا الاسم ، والرند وهو شجر معروف بالبادية • والظاهر أن هذه العطور هي من جملة العطور التي تستخدمها النساء اليوم ، وذكر امرؤ القيس منها في قوله :

وريح سنا من حقة حميرية      تخص بمفروك من المسك أذفرا  
وبانا وألوي من الهند زاكيا      وورندا ولبنى والكباء المقترا (٤)

فالألوي العود والرند شجر طيب الرائحة في البادية ، واللبنى ضرب

- 
- (١) امرؤ القيس - معلقته • وقصيدته في ديوانه ص ١٩ ، أبو  
الذيال الهنلي طبقات ابن سلام ص ١١٣ •  
(٢) المفضليات ص ٣١ - ٣٢ •  
(٣) امرؤ القيس - ديوانه ص ٦٩ ( وربما كان هذا هو المعروف  
بطيب « العود » ) •  
(٤) نفس المصدر • السنا - ضرب من الثبت والطيب ، المفروك -  
المسك والطيب • الأذفر - الشديد الرائحة ، المقتر - المدخن •

من الطيب والكباء البخور أو كل عطر يابس واستخدمت النساء العنبر قال  
المرار :

عبق العنبر والمسك بها فهي صفراء كعرجون العمر (١)

كما استخدم من عطر الزنبق • يقول الاعشى :

إذا تقوم يضوع المسك أصورة والزنبق الورد من أردانها شمل (٢)

ويبين الشعر أن هذه العطور كانت تحمل الى بلاد العرب في علب من

الحشب ، وهي الحقاق (٣) ، أو في جلود بعض الحيوانات تدبغ وتها لهذا

الغرض كجلود الفأر المعروفة بمسكها الطيب (٤) أو قشور الفواكه

تصنع منها الحقائق كالعلب • وشبهوا رائحة النساء بريا القرنفل (٥)

أو برائحة الراح مازجها ماء المطر الصافي ، أو برائحة الزنجبيل (٦)

أو الرياض سقاها الغيث (٧) •

ونساء الحواضر العربية كن على اتصال بالمراكز الحضارية في عهدهن

ولهذا اقتبس من امور الزينة والحلي ، واستخدمنها أكثر من البدويات ، ولهذا

وجدنا في شعر المتحضرين وصفا لها في حين أن أوصاف النساء البدويات

قل أن نجد فيها هذه الوسائل المصطنعة • ولعل أحسن مثال لذلك ما جاء

في معلقة عمرو بن كلثوم وهو قوله :

---

(١) المفضليات ج ١ ص ٣١ - ٣٢ العمر - النخلة

(٢) الاعشى - ديوانه • القصيدة رقم ٦

(٣) امرؤ القيس - ديوانه ص ٦٩ •

(٤) علقمة - ديوانه ص ٤٧ ، شعراء النصرانية ص ٤٩٩ •

(٥) امرؤ القيس - المعلقة

(٦) أبو الذيال الهذلي - طبقات ابن سلام ص ١١٣ •

(٧) الاعشى - ديوانه • القصيدة رقم ٦

تريك اذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون الكاشحين (١)  
كما يصح أن تتخذ للوصف الحضري ونعومته مثالا من شعر الرمق  
بن زيد بن تميم الحزرجي وهو من أهل المدينة اذ قال :

لم يقض دينك مل حسا ن وقد غنيت وقد غنينا  
الراشقات المرشقا ت الجازيات بما جزينا  
أشباه غزلان الصرا ثم يأتزرن ويرتدينا  
الريسط والديجاج وال حلى المضاعف والبرينا (٢)

وإذا أردنا الاستزادة من صور التزين والعناية بالملابس عند الحضريات  
ففي شعر علقمة كثير منه خاصة قصيدته « هل ما علمت وما استودعت  
مكتوم » التي عرضت على قریش فمنحتها لقب « سمط الدهر الاول » ولولا  
قربها من الذوق القرشي الحضري ما فضلوها هذا التفضيل . وكذلك  
الحال في قصيدته الثانية التي لقت « بسمط الدهر الثاني » اذ يعرض فيها  
لطبائع النساء وأخلاقهن كما عرض في الاولى لملابهن وزينتهن .  
وسنعرض في الفصول التالية لاهم صور المرأة في الشعر الجاهلي .

---

(١) يراجع ديوان الاعشى - القصائد ١٢ ، ١٤ ، ٢٠  
Ludwing Able: Die Sieben Muallakat, P. 20 - 21

(٢) الرمق بن زيد - معجم البلدان لياقوت الحموي مادة « المدينة »  
ج ٧ ص ٤٢٩ ، الاغانى ج ١٩ ص ٩٦ ( وهو عبيد بن سالم بن مالك  
الحزرجي ) غنيت - تزوجت . الصرائم - القطعان . البرين - نوع من الحلى ،

## الفصل الثاني

### المرأة الحبيبة في الشعر الجاهلي

١ - مكان الحبيبة في الشعر الجاهلي :

كرس الشاعر الجاهلي قدرا كبيرا من اشعاره من اجل المرأة ، وتعرض لوصفها والحديث عنها وهي في مختلف الادوار التي تؤديها في الحياة الاجتماعية الجاهلية . صورها حبيبة ، وزوجة ، واما ، وفاتة ، وامة من الاماء . وتحدث عن وظيفتها وواجباتها في المجتمع ورسوم العواطف والمشاعر التي تحس بها ويحس بها الآخرون نحوها . لكن عنايته هذه لم تكن واحدة وهي تؤدي هذه الادوار المختلفة في ذلك المجتمع العربي في الجاهلية . فهو لم يعن بها في سائر أدوارها عنايته بها وهي حبيبة وسر هذا واضح فما تیره الحبيبة في نفس الشاعر ليس مثله ما تیره غيرها من النساء . والشعر ، كما هو مفهوم ، لغة الحب ولغة العاطفة فهو يعذب ويحلو باسم الحبيبة ويرق فيستهوي اليه النفوس اذا كان غزلا أو نسيبا أكثر منه في سائر الموضوعات الشعرية الأخرى . ولهذا كان ما وقفه الشاعر الجاهلي على الحبيبة أكثر مما وقفه على من سواها من النساء وأكثر مما وقفه عليها غيره من الشعراء الذين عاصروه من الأمم الأخرى . توجه إليها الشاعر العربي بفزله ونسيبه وتعرض لوصفها مباشرة كما تعرض لها بأسلوب غير مباشر ، وأعني به نسيبه الطللي . نعم انه أحب الديار لحبها ، وكره الديار لهجر الحبيبة لها وابتعادها عنها . وما كان عبيد بن الأبرص الا واحدا من الشعراء الجاهليين حين قال :-

فقلت لها لا تعجلي ان منزلا نأتني به هند الى بغيض<sup>(١)</sup>  
وكم صرح الجاهلي قائلا : احب لحب فاطمة الديارا ، وما حب الديار  
شغفن قلبي ، ولكن حب من سكن الديارا • ولهذا وغيره يصح أن نعتبر  
أكثر ما قيل في الاطلال والديار انما قيل لاجل الحبيبة وبهذا يصبح ما  
وقفه الجاهلي عليها من فنه الشعري قدرا ضخما • ولا عجب فهي الالهة  
التي أوحت اليه بكثير من الشعر والهمته بالمعاني العذبة ، وكانت غاية  
أمنية الشاعر المحب أن يسمعها نشيده ، وأكبر هم الواحد منهم أن ينال  
رضاها ، اما غير الحبيبة من النساء فلم يثرن في الرجال ما اثارته هي ،  
فالزوجة مثلا التي تفضى الى زوجها ويفضي اليها لا تكون دواعي الاستهواء  
والاسترضاء بتلك الحرارة المعهودة بين المحب وحبيته لهذا كان ما قيل  
في الزوجة دون ما قيل في الحبيبة في كنه وقوة عاطفة الوجد فيه •

ومما ساعد على هذه الكثرة من الشعر في المحبوبة أن أبناء الاشراف  
من الطبقات الراقية كانوا من الشعراء<sup>(٢)</sup> ، وقد توافرت لهم أسباب الحياة  
المترفة الناعمة : شباب مكتمل وشرف واسع وخير عميم ووقت خال ،  
فاستهوتهم المرأة وشغلت أذهانهم وملكت عليهم قلوبهم ، وهي خير ما في  
حياتهم مما يستحق العناية والتقدير • فكان للشاعر في نصارة وجهها متعة  
نفسية وفي ابتسامتها محفز له على اقتحام الصعاب ، فاذا رضيت عنه شعر  
بأن الدنيا بعرضها وطولها راضية عنه ، فلا عجب اذا ما وقف عليها أكثر  
تواجه الفنى « فكم بخيل جاد من أجلها ، وقطوب تطلق وجبان شجع  
وجاهل تأدب ، وناسك فتك من أجل ابنة حواء<sup>(٣)</sup> ولم تغب المحبوبة  
عن ذهن المحب حتى في أشد ساعاته حرجا وفي نومه وفي يقظته • (٤)

(١) عبيد بن الابرس - شعراء النصرانية ص ٦١٣ •

(٢) Blunt: The Seven Golden Odes, P. II

(٣) علي بن حزم - طوق الحمامة ص ١٢ •

(٤) عنصرة العبسي - ديوانه • المعلقة •

وقد أكثر الشعراء الجاهلي من شعر الغزل • وهذه الكثرة هي التي جعلت بعضا من الباحثين يقول ان حياة العرب كانت كلها لهو وسرور دائم • وان أهداف العربي تنحصر في الحمرة والمرأة والحرب • (١) واذا نظرنا الى الشعراء وجدنا منهم الكثير في النسب ومنهم المقل الا أن الشاعر المجيد في نظر أهل البادية كان ينبغي أن يأخذ نفسه بشيء منه • وقد توارث الشعراء هذه الظاهرة الفنية من زمن بعيد لا تتبين مبداء • ومن الجاهليين من خصص قصيدة كاملة للغزل بالحبيبة كطرفة (٢) وهذا قليل بالطبع وكان للجاهليين نموذج مثالي للقصيدة فهي تبدأ بالغزل المباشر أو بالنسب الطلي فكان ذكر المحبوبة اذن خير ما يفتحون به فصائدهم • والقصيدة عندهم تشتمل في العادة ، على أكثر من غرض واحد •

## ٢ - الوصف المادى للحبيبة :

ذكر أفلاطون ان ادراك الجمال يكون على مرحلتين المرحلة الاولى مرحلة الحس ، ويصل اليها المعجبون عن طريق النظر والسمع وهؤلاء هم الغالب في كل أمة فيعجبون بالاشكال والصور والالوان والاصوات وكل ما دخلت في تركيبه هذه الأشياء من آثار الفن • والمرحلة الثانية مرحلة ادراك كنه الجمال فسمماها أفلاطون بمرحلة المعرفة لما فيها من ادراك الحقيقة وهي مرحلة لا يصل اليها الا القادرون على التفكير الحر في الجمال المطلق ، وهم قليلون يدركون هذا النوع من الجمال المتجلى في الأشياء الجميلة (٢) فيستطيعون ادراكه مجردا عن هذه الأشياء •

(١) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٢٨ •

Khuds Bukhsh: Contributions to the History of Islamic Civilization, P. 165

(٢) أفلاطون - الجمهورية ص ١٤٩ •

ونحن اذا رجعنا الى الشعر الجاهلى وجدنا الشاعر يبدو فيه وهو يحمل فى ذهنه عناصر كثيرة للجمال هى مجموعة القيم المتوارثة والقيم الثقافية له ، أى انها التى ورثها عن أسلافه على أنها عناصر للجمال ، مضافة الى ما انتزعه من محيطه • فكان لهذا بقر الوحش والظباء والرخام والعاج والماء البارد الصافى موطننا يقتبس منه عناصر الجمال كما كانت الشمس والقمر وغيرهما موطننا لذلك ايضا • ونجد الشاعر من ناحية محبوبته يحب واحدة فى الغالب ، فيسميها باسمها ، ويخلص لها أشد الاخلاص ويوجد فيها من معاني الجمال تلك ما يجد • أما الجمال المطلق فاذا أريد به أن يكون صورة متصورة بعيدة عن من تمثل فيه عناصر الجمال فليس البحث عن المحبوبة فى الشعر الجاهلى ميدانا لهذا التصور ، والراجع عندنا أن الجاهلى لم يكلف نفسه هذا النوع من النظرات العامة المجردة لان طبيعته وظروفه لم يكونا ليعيناه على هذا النمط من الاحساس والتفكير •

أما مواطن الجمال فى المحبوبة فهى فى جسمها المادى وما يصدر عنه من حركات وتعابير ثم طبائعها وأخلاقها ولهذا عنى الشاعر بتصوير قوامها واجزاء جسمها على الصورة وبالمقدار الذى يتذوقه الجاهلى وفاقا لطبيعة حياته وتقاليده •

وقد صور الشعر جسم المرأة المحبوبة ممثلا وقدها رشيقا أهيف وقوامها كغصن اذا تمايل ليس فيه ضخامة • وهو المهفهف<sup>(١)</sup> غير المفاض أو المجمال<sup>(٢)</sup> • قال المرار العدوى :

فهى هيفاء هضيم كشحها فحمة حيث يشد المؤتزر<sup>(٣)</sup>

(١) امرؤ القيس - المعلقة •

(٢) امرؤ القيس - ديوانه ص ٣٨ •

(٣) المرار بن منقذ العدوى - المفضليات ج ١ ص ٣١ - ٣٢ •

العمدة لابن الرشيق ج ٢ ص ٥٥ •

وقال النابغة :

صفراء كالسيرا أكل خلقها كالفضن في غلوائه التأود (١)  
وقد وصفوا استقامة قوامها ولينه بالفضن الذي لا التواء فيه وقالوا  
إن خصرها دقيق هضيم وأردافها فخمة وكثيرا ما شبه الجاهليون أوراك  
النساء بالرمل والكتبان ، المليئة بها بيئتهم • ومن هذا يتكون الجسم الجميل  
المتسق الصفات الفاتن الجمال •

وعنى الاعشى بوصف حركات الحبيبة قعودا وقياما اقبالا وادبارا  
فأحسن اذ قال :

عسيب القيام كئيب القعود وهنائه ناعم بالها  
اذا أدبرت خلتها دعصة وتقبل كالظبي تمائلها (٢)  
واتفق الشعراء في وصف الحصر بأنه هضيم مثل كشح المهاة  
المطفل (٣) قال امرؤ القيس :

لطيفة طى الكشح غير مفاضة اذا انفلت مرتجة غير متقال (٤)  
أما ذراعها وساقها فممثلتان قد مار اللحم عليهما مورا الى منتهى  
الخلخال (٥) حتى أنه ليضيق بالساق كما يمتلىء السوار بالمعصم

---

(١) النابغة الذبياني - ديوانه ص ٦٣ • السيرا ثوب مخطط من  
حرير • غلوائه = طوله •

(٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٢١ • العسيب = الطويلة  
المستقيمة • كئيب القعود = ضخمه المقعد في الجلوس • الوهنائه =  
الناعمة • الدعصة = الكئيب الصغير •

(٣) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٤٧ مع شرح الاعلم الشنتمرى •  
(٤) امرؤ القيس - ديوانه ص ٣٨ • الكشح = الحصر ، المتقال =  
المنتنة •

(٥) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧ •

قال النابغة :

على ان حجليها وان قلت أوسعا صموتان من ملء وقله منطق  
وقدمها ربا وكفلها ضخم كالنقا (١) فيه سعة وارتفاع (٢) بحيث اذا  
ما انبطحت على الارض ارتفع جنبها عنها (٣) . أما بطنها فذات عكن لطيفة  
الطبي (٤) وهي ملساء (٥) . ونهداها كالرمايتين ناهدان (٦)  
ومتناها محطوظان (٧) فيظهر جمال العنق من بينهما . ويقال أن أول من  
وصف الثدي هو عمرو بن كلثوم (٨) بقوله :

وثديا مثل حق العاج رخصا حصانا من أكف اللامسينا (٩)

وقد اعتبر علماء الطبيعة والاجناس سعة الحوض وكبر العجيزة  
في المرأة من جملة المميزات الجنسية الثانوية قال ألس « المرأة العربية  
التي وصفها ( كوخر ) Kocher وغيره حوضها عريض واسع ليس فيه  
الامتلاء الذي يكسبه شكلا مكورا كما نلاحظه في الأوربية النامية جيدا (١٠)  
وهذه الفكرة التي نقلها عن كوخر لا يؤيدها الشعر الجاهلي فقد وصف  
الشعراء عجيزة المرأة بالامتلاء وخصرها بالدقة والضيق ، وبالغوا في وصف الدقة

- 
- (١) المصدر السابق رقم ٨٠ .
  - (٢) المصدر السابق رقم ٧٧ .
  - (٣) المصدر السابق رقم ٧٧ ، والنابعة - ديوانه ص ٥ .
  - (٤) النابغة - ديوانه ص ٦٣ .
  - (٥) طرفة - ديوانه ص ٨٥ .
  - (٦) المرار بن المنقذ - المفضليات ص ٣١ - ٣٢ ، الاعشى -  
قصيدة رقم ١٨ .
  - (٧) النابغة - ديوانه ص ٦٣ .
  - (٨) داود الانطاكي - تزيين الاسواق ج ٢ ص ٩١ .
  - (٩) عمرو بن كلثوم - المعلقة
  - (١٠) Ellis : Studies in the Psychology of Sex P. 67

الى حد قالوا فيه انه لضيقة ليكاد ينقصف، ولا يناسب الحصر الضيق هذه العجيزة العريضة الواسعة • وسعة الحوض التي جاء وصفها في الشعر دليل على تقدم المرأة العربية في نموها ورقبها في سلم التطور •

ومن الوصف الجيد للاوراق والارداق قول الشاعر :-

وبيض نضيرات الوجوه كأنما تآزرن دون الازر رمالات عاليج  
خذال الشوى لا تحشى غير خلقها اذا الرشح لم يصبرن دون المنافع  
يذرن مروط الخز ملأى كأنها قصار وان طالت بأيدى النواسج (١)

فهو يصفهن باعتدال القوام وامتلاء اليرداق من غير ضخامة وارتخاء • وكثيرا ما كان الشاعر يحار في الوصف فيجد انه لا يستطيع ان يلم بنواحي الجمال المادى في جسم الحية وبداعة أعضائها وسائر أطرافها فيضطر الى أن يجعل (٢) في وصفه فيستغنى به عن الاطالة ويتحاشى صعوبة التدقيق • قال الاعشى :

فقد كملت حسنا فلا نعت فوقها وانى لذو قول بها متحل (٣)

ووصفوا بشرة المحبوبة بالرقّة والنعومة وهى الرؤدة الرخصة (٤)

قال امرؤ القيس :

اذا ما الضجيج ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجال  
كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه بما احتسبا من لين مس وتسها (٥)

(١) خذال الشوى = ممتلئة الاطراف ، الرشح = ج رسحاء وهى قليلة لحم العجز ، المنافع = حشايا توضع فوق اليرداق •

(٢) المرار بن منقذ - المفضليات ص ٣١-٣٢ ، النابغة - ديوانه ص ٥١ •

(٣) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧ •

(٤) امرؤ القيس - قصيدته ( أحرار بن عمرو كأنى خمر ) • الرأد والرأدة والرؤد والرؤدة والرؤدة = الشابة الحسننة •

(٥) المصدر السابق ص ٢٨ • غير مجال = غير غليظة ، الحقف = ما استدار من الرمل • النقا = الكثيب • الوليدان = الصبيان •

أما أناملها فناعمة طفلة وبنانها سباط (١) قال امرؤ القيس :  
وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك أسحل (٢)  
ولون النساء المرغوب فيه عندهم البياض لذبوع الاسمرار وكثرته  
وندره البياض وقتله قال المزرد :

ويضاء فيها للمخالم صبوة ولهو لمن يرنو الى اللهو شاغل (٣)  
ولحدة نظرهم ودقة تميزهم لاحظوا تغير ألوان المحبوبة الجميلة  
بتغير الوقت في النهار . فالوجوه الناعمة الصافية الرقيقة يستطيع قوى  
الملاحظة أن يميز فيها ما تعكسه من الضوء فتبدو له ألوانها متغيرة بتغير  
الأضواء وقوتها في النهار قال الاعشى :

بيضاء غدوتها وصفراء العشية كالعرارة (٤)

وهم اذ فضلوا البياض لم يرغبوا في الباهت منه ، البارد الطبع ، انما  
المشوب بالصفرة :

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل (٥)  
وقد اتفق الجاهليون في وصف مشية الحبيبة بالهدوء والفتور ، فهي

- 
- (١) النابغة ديوانه ص ٦٣ ، مع امرؤ القيس - ديوانه ص ٢٨ ،  
الاعشى . القصيدة ٢٨ . السباط = الحسن القد والاستواء .  
(٢) امرؤ القيس - المعلقة . الشثن = الغليظ . ظبي = اسم  
رمل . أساريع = دواب ، اسحل = شجر طيب الرائحة .  
(٣) المزرد - المفضليات للظبي ج ١ ص ٣٤ ، معلقة امرئ القيس  
المخالم = الممازح ، يرنو = يديم النظر .  
(٤) الاعشى - دولة النساء للبرقوقي ص ١٧٢ . العرارة = نبتة  
طيبة الريح .  
(٥) امرؤ القيس - المعلقة . البكر = بيضة النعام ، مقانات  
مخلوطة ، غير المحلل = لم ينزله أحد .

تتهادى (١) كما يتهادى المنزوف دمه أو المنزوف عقله :

واذ هي تمشى كمشى النزيف يصرعه بالكيب البهر (٢)

أو تمشى كديب القطا (٣) فهي هادئة في حركتها وفي هذا الهدوء

والتمهل تفائل وتمایل هما دليل الراحة قال المزرد :

ليالى اذ تصبى الحليم بدلها ومشى خزيل الرجع فيه تفائل (٤)

ومن جميل صفة المشى ما جاء فى شعر الاعشى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لا ريث ولا عجل (٥)

وقوله :

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة ولا الصدور على الأعجاز تتكل (٦)

ووصف المشى بأنه يصرعها اذا مشت الى جاريتها لولا تشدها (٧)

أما خطاها فنوصفوها بالقصر كما قال المرار :

قطف المشى قريبات الخطى بدنا مثل الغمام المزمخر

يتزاورن كقطاء القطا وطعن العيش حلوا غير مر (٨)

---

(١) النابغة - النصرانية ص ٨٦ .

(٢) امرؤ القيس - قصيدته ( أحرار بن عمرو ) ص ٧ النزيف =

المنزوف عقله بالسكر ، البهر = الكلال وانقطاع النفس .

(٣) الاعشى - قصيدته رقم ٧٧ ، المنخل اليشكرى - نهاية الارب

للنويرة ج ٢ ص ١٠٧

(٤) المزرد - المفضليات ج ١ ص ٣٤ .

(٥) النويرة - نهاية الارب ج ٢ ص ١٠٦ .

(٦) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٨٣ .

(٨) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٦ .

(٧) المرار بن منقذ - المفضليات ج ١ ص ٣١ . المزمخر =

المرتفع ، تقطاء القطا = مقارنة خطوه .

والبطء في المشي والتثاقل في الحركة يدلان على ميل النساء الى عدم العنف كما يميل الرجال عامة الى الاعمال العضلية العنيفة . وهذا يرجع الى تركيب أبدانهم ، فقد أُلْفَنَ أن يقرن في بيوتهم ويقمن بمدارة الاطفال وتربيتهم كما أُلْفَ الرجال محيط الاعمال العنيفة . وفي الشعر الجاهلي كثير من وصف مشي النساء وحركاتهن (١) .

ونجد وجه المحبوبة يسترعى انتباه الشعراء أكثر من أى جزء فيها ، فقد كرسوا كثيرا من الشعر لتصوير قساماته وتقاطيعه ، وكانت العين أكثر الجوارح التى عنوا بها لتأثيرها فى النفوس ولدلالاتها على المعانى العميقة المختلفة . فيقرأ الرائي فيها ما لا يقرؤه فى غيرها . ولقد شبه الجاهليون الوجه الجميل بالشمس (٢) أو القمر . قال المرار بن منقذ :

صورة الشمس على صورتها كلما تغرب شمس أو تذر (٣)

ووصفوا الوجه بالصفاء والنقاء (٤) ومنه تشبيهات عنتره للوجه بقوله :

أشارت اليها الشمس عند غروبها تقول اذا اسود الدجى فاطلعي بعدى  
وقال لها البدر المنير الا اسفري فانك مثلى فى الكمال وفى السعد (٥)

ومنهم من شبه الوجه الجميل بالمصباح بجامع الانارة فيهما ، وكانت

مصابيحهم التى توقد بالزيت والقتيل تبهرهم بنورها . قال امرؤ القيس :

تضىء الظلام بالعشى كأنها منارة ممسى راهب مبتل (٦)

---

(١) جنوب الهذلية - رياض الادب ص ٧٨ ، تهيم بن مقبل -

حماسة ابن الشجرى ص ١٨٨ .

(٢) طرفة بن العبد . المعلقة .

(٣) المرار بن منقذ - الفضليات ج ١ ص ٣٣ .

(٤) سويد بن أبى كاهل . قصيدته .

(٥) عنتره العبسى - ديوانه ص ١٠٢ .

(٦) امرؤ القيس - المعلقة .

ومن جمال الوجه أن يكون أبيض اللون ناعم اللمس •  
والشعر الذي قطن به الجاهليون هو الكثيف المسترسل الأسود  
الفاحم الذي فيه خصل كثيرة ملتفة كما وصفه امرؤ القيس بقوله :  
وفرع يزين المتن أسود فاحم  
أثيت كفنو النخلة المتعكل  
غدائره مستشزرات الى العلى  
تقلل المدارى فى مثنى ومرسل (١)

وطوله من صفات الجمال فيه لهذا وصف المرار شعر محبوبته بأنه اذا  
ما أرسلته صار يخط على الارض :  
تهلك المدارة فى أفنائه فاذا ما أرسلته ينغفر (٢)

وليس من الغريب أن يشبه امرؤ القيس خصل الشعر الملتفة بعذق  
النخلة ، فمنظر النخلة من أهم مواطن الجمال فى البيئات المقفرة • وان  
الشعر فى النوع الانسانى ينمو فى الرجال على وجوههم ، ولكنه ينمو فى  
النساء على رؤوسهن ويكون غزيرا وغزارته من صفاتهن (٣) المحببة لدى  
الرجال • واذا أرادوا وصف الشعر بالسواد شبهوه باللبل لانطوائه على  
بعضه ولشدة سواده كما شبهوا الجبين بالصبح يطلع فيه • قال عنتره :  
ويطلع ضوء الصبح تحت جبينها فيغشاها ليل من دجى شعرها الجعد (٤)

---

(١) امرؤ القيس - المعلقة • مستشزرات = مرتفعات، المدارى =  
الامشاط •

(٢) المرار بن منقذ - المفضليات للضبي ج ١ ص ٣٢ •

(٣) Ellis: Studies in the Psychology P. 270 - 290

(٤) عنتره - ديوانه ص ١٠٣ ، شعراء النصرانية ص ٤٢٧ •

أما عيني المحبوبة فشبهوهما بعيني المهابة<sup>(١)</sup> أو الرئم صيد غزالها<sup>(٢)</sup>  
وبعيني الجؤذر<sup>(٣)</sup> أو الشادن<sup>(٤)</sup> أو بعيني حمار الوحش<sup>(٥)</sup> كل ذلك ليلين  
سعتهما وشدّة سوادهما وصفاء بياضهما وصوروا دموع عيون المحبوبة وهي تبكي  
باللؤلؤ<sup>(٦)</sup> . كما صوروا العين متألّأة تسارق النظر<sup>(٧)</sup> . ومن جمال  
العيون عندهم أن تكون غضيضة ساجية تنظر نظر السقيم الى عواده<sup>(٨)</sup>  
وتخللوا ، اذ وصفوا العيون وأثرها ، القسي ، فشبهوا أثرها بأثر القسي  
كذلك فهي ترسل نظراتها كما ترسل القسي سهامها فتصيب . وهذا  
التصوير نجده عند عنترة خاصة وهو الفارس المحارب وقد ألف السهام  
واصابتها<sup>(٩)</sup> كما شبه عنترة وقع النظرات بوقع السيوف .<sup>(١٠)</sup>

ومن أحسن الاوصاف لبريق عيني الحبيبة وحيويتها قول الاعشى :

تلألؤها مثل اللجين كأنما

ترى مقلتي رئم ولو لم تكحل

- 
- (١) زهير بن أبي سلمى - ديوانه ص ٦٤ ، علقمة الفحل - شعراء النصرانية ٥٥٥ .  
(٢) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٣٨ ، الاعشى - ديوانه قصيدته رقم ٧٧ ، ٨٠ .  
(٣) طرفة - ديوانه ص ٦٣ رواية ابن السكيت .  
(٤) النابغة - ديوانه ص ٦٣ .  
(٥) امرؤ القيس - المعلقة .  
(٦) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٣٨ ، علقمة - مقطوعته « تراعت وأستار من البيت » .  
(٧) طرفة - ديوانه ص ٦٣ .  
(٨) النابغة - ديوانه ص ٦٣ .  
(٩) عنترة - ديوانه ص ١١٤ ، ١٢٣ .  
(١٠) المصدر السابق ص ١٠٢ - ١٤٢ .

سجوين برجواين في حسن حاجب

وخذ أسيل واضح متهلل (١)

ونساء الجاهلية يستعملن الكحل المصنوع من الاثمد (٢) :

بعينى مهاة يحدر الدمع منهما

بريمين شتى من دموع واثمد (٣)

والراجع ان مادة الاثمد هى أهم اجزاء الكحل التى تدخل فى تركيبه

• كما هو مستعمل عند النساء اليوم

وأما خدها فوصفوه بأنه أسيل (٤) وانه واضح متهلل ناعم (٥)

وهو الاصلتى (٦) يقول عنتره :

اذ تستييك بأصلتى ناعم عذب مقبله لذيد المطعم (٧)

وعنى الشعراء عامة بوصف فم الحبيبة وطيب حديثها فرققوا القول

وتلفظوا فى انتقاء الصفاة ومن ذلك ما قاله طرفه :

وتبسم عن ألمى كأن منورا

تخلل حر الرمل دعص له ندى

سقته اياة الشمس الا لثاته

أسف ولم تكدم عليه باثمد (٨)

---

(١) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧ سجوين = هادئتين

• ساجيتين ، برجواين - سوادها ظاهر والبياض محقق به

(٢) المصدر السابق

(٣) علقمة الفحل - ديوانه ص ١١٤ ، شعراء النصرانية ص ٥٠٥

• بريمين = لونين مختلفين

(٤) امرؤ القيس - المعلقة، الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧

(٥) عنتره - ديوانه ص ١٠٣

(٦) المرار بن منقذ - المفصليات ج ١ ص ٣١ - ٣٢ • ويوصف به

• الجبين أيضا

(٧) عنتره العبسى - ديوانه ص ٢١٦

(٨) طرفه بن العبد - ديوانه ص ٩ المعلقة

أى أنها تضحك عن ثغر أسمر اللثا فينضح بياض الاسنان وصفاء  
الثغر من وراء هذه السمرة ، وقد شبه بياض الثغر بياض الاقحوان الذى  
ينبت فى كتيب الرمل الطيب الندى فيبدو صافى البياض زاهى اللون •  
وقال ان أشعة الشمس قد سقت هذا الفم فجعلته مسمرا وبدت الاسنان  
ناصعة • وكثيرا ما شبهوا الاسنان بالاقحوان (١) أو بالبرد أو اللجين (٢)  
وكم كان بريق أسنان الحبيبة يستهوى عيون الشعراء فأطالوا فى وصفه •  
وطعم الفم كان موضوعا لاحاديث طويلة فشبوه بطعم الحمر مازجه  
الماء البارد فهو ينعش كما ينعش الحمر الشارب الصديان (٣) ، كما شبوه  
بالعسل شيب بالماء القراح (٤) وبالزنجيل (٥) والتفاح (٦) وقالوا ان طعم  
ظلم الفم يشبه خضل الاقحوان وكان نطقه خلطت بماء مزن • (٧)  
يقول خدش بن زهير :

واذ هي عذبة الاياب خود

تعيش بريقها العطش المجودا (٨)

ومن قدامى من شبه الريق بالراح والعسل النابغة وتراحم الشعراء

---

(١) النابغة - ديوانه ص ٦٣ ، الاعشى - القصيدة ٧٧ ، الاسود -

ديوانه ص ٤٣ •

(٢) طرفة - ديوانه ص ٦٣ ، المسيب - جمهرة أشعار العرب

ص ١١١ •

(٣) الاعشى - ديوانه - قصيدة رقم ٥٢ •

(٤) المرار بن منقذ - المفضليات ص ٣١ - ٣٢ •

(٥) أبو الذيال الهذلي - طبقات ابن سلام ص ١١٢ - ١١٣ •

(٦) الاعشى - ديوانه - قصيدته رقم ٥٢ و ٩٠ •

(٧) بشر بن أبى خازم - المختار ص ٧٨ •

(٨) خدش بن زهير - سقط الزند •

بعده على هذا الباب (١)

وعندما شبهوا طعم الفم بطعم الخمر تفننوا في بيان أنواع هذه الخمر  
وذكروا الجهات المختلفة التي كانت تستورد منها فقالوا عنها القرقف السلاف  
المعقة (٢) من غانة (٣) أو بابل (٤) أو حلب (٥) فأطالوا بهذه المناسبة  
في وصف الخمر (٦) • وقالوا ان بين ثنايا المحبوبة ما اذا سقت به عطشان  
مشرفا على الهلاك أعادت إليه حياته وانتعش برضاها (٧) :

سقتني بصهباء درياقة متى ما تلين عظامي تلن (٨)

ومن جميل التصورات في هذا الباب قول عنترة عن فم حبيته بأن  
فيه ساقيا من السقاة يمزج الخمر بالعسل • يقول :

وبين ثناياها اذا ما تبسمت

مدير مدام يمزج الراح بالشهد (٩)

فقد أراد أن يجعل في فمها جماع ما يلتذ به ، فاختار لذلك أطيّب

---

(١) الصفدي : الغيث المسجم من شرح لامية العجم ج ١ ص  
٢٨٩ - ٢٧٠ •

(٢) النابغة الجعدي - ديوانه ص ٥٣ ، زهير بن أبي سلمى -  
ديوانه ص ٣٤ ، ربيعة بن مكدوم - الاغانى ج ٩ ص ٩٢ ، النابغة -  
ديوانه ص ١٠٩ •

(٣) الاعشى - ملحق ديوانه رقم ٤٨ • E

(٤) عبيد بن الابرس - المختار ص ٩٠٤ •

(٥) أبو وجرة - الاغانى ج ١١ ص ٨٤ •

(٦) الاسود بن يعفر - ديوانه - القصيدة رقم ٥٢ ، الاعشى -

ملحق ديوانه رقم ١٤٤ • D

(٧) النابغة - ديوانه ص ٦٣ •

(٨) ابن مقبل - ملحق ديوان الاعشى ص ٣٨٤ رقم XI

(٩) عنترة - ديوانه ص ١٠٤ •

ما استطاع ان يتصوره من لذائذ الحياة الحمر والشهد ، وهذا أبلغ ما يصل  
اليه ذهن بدوى مثله وقال ان المحب اذا ذاق من فمها طلب المزيد ، وان كان  
عطشا ارتوى فذهب ما يشكو منه (١) وصار في نشوة تشبه نشوة الثمل  
السكران (٢) ومن الامور المدوحة في الفم برودته وفتوره يقول  
الاعشى :

صادت فؤادى بعينى مغزل خذلت

ترعى أغن غضيضا طرفه خرقا

وبارد رتل عذب مذاقه

كأنما عل بالكافور واغتبقا (٣)

وتقطع الكلام من الصفات المستماحة (٤) وكذلك رخامة  
الصوت (٥) • والاختلاف في الصوت بين كلا الجنسين يجعل كلا منهما  
أكثر جاذبية للاخر (٦) فالملاحظة لا تعدم أن تبين ما لحسونة أصوات الرجال  
ونعومة أصوات النساء وفتور كلامهن وتقطع نبراتهن من الاثر الفعال في  
رفع مستوى السرور الجنسي (٧) • فذكر الشعراء أن الحبيبات يصدن

(١) النابغة - ديوانه ص ٦٣ •

(٢) عبيد بن الابرص - المختار ص ٩٤ •

(٣) الاعشى - ديوانه - قصيدة ٨٠ ، تلاحظ القصيدة ٧٩ •

اغتبق = شرب العشى • عل = شرب ثانية • الرتل = البارد أو الفلج

• الاسنان

(٤) امرؤ القيس - العقد الثمين في دواوين شعراء الجاهليين

ص ١٢٦ •

(٥) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٥٣ ( الأعلم ) •

(٦) يلاحظ اختلاف الصوت في الجنسين :-

Ellis: Studies in the Payccology of Sex P. 19

Ibid P. 260 - 280. 227 - 228.

(٧)

قلوبهم بأفواههن المليحة وأصواتهن العذبة فيهش الفؤاد اذا ما ضحكهن  
حتى ليكاد يطير من فرط الشوق والحب العميم •

أما جيد المحبوبة فقد انتزعوا أوصافه من الرثم اذ شبهوه بجيدها  
وأرادوا به الطول وجمال الانتصاب يقول المرار بن منقذ :

صلتة الحد طويل جيدها ناهد الثدي ولما ينكسر (١)

فالعنق الجميل فيه ارتفاع بالاضافة الى طوله بحيث يصبح أشبه بعنق  
الظبي (٢) وأجوا في العنق الصفاء ونقاء اللون • يقول قيس بن الخطيم :

وجيد كجيد الرثم صاف يزينه توقد ياقوت وفصل زبرجد (٣)

### ٣ - الوصف المعنوي للحبيبة :

المحبوبة في شعر الجاهليين في الغالب من الطبقات الشريفة لهذا  
وصفوها بأنها مخدومة منعمة لا يرام خباؤها اذ الحراس الشداد يقظون من  
حولها • ومن الذين أطلوا في وصف الحراس الاعشى (٤) وعلقمة (٥) .  
ولا ريب في أن حياة العزلة ، وهي من مميزات البدو ، جعلت كلاً من الرجل  
والمرأة يعتمد على صاحبه تحت تأثير الاخطار المادية المحيطة بهم ، فكان كل  
بيت يقظونه في ذلك القفر ترتفع أطنابه منفردا في الوديان المتباعدة والسهول  
الواسعة ، كان على ساكنيه أن يحموه ويحرسوه سواء من قوى الطبيعة التي  
يتعرض لها أم قوى البشر المغيرين • فالرجل والمرأة كلاهما كانا يحرسان

(١) المرار بن منقذ - المفضليات ج ١ ص ٣٢ •

(٢) قيس بن الخطيم - طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٦ -

دولة النساء ص ١٣١ •

(٣) المصدر السابق •

(٤) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٨٠ •

(٥) علقمة الفحل - شعراء النصرانية ص ٥٠٢ •

البيت ذا العمد والاطناب (١) فاذ كان هذا شأن بيوتهم العادية فلا بد أن يكون لبيوت أشرفهم حراس كثيرون يحمون البيت ومن فيه من الحور القاصرات الطرف اللائى يخلبن القلوب ويسلبن العقول • وكان للاشراف فى الحواضر حراس ممتنون يحرسون بيوتهم وأموالهم •

والحراس والرقباء يعتبرون من آفات الحب التى يتعرض لها المحبون • وقد قسم ابن حزم الرقباء الى أقسام : منهم رقيب يجلس غير متمعد فى مكان اجتمعت فيه الحبيبة بمن يهواها ، وهذا يسبب القلق الشديد ورقيب قد أحس بطرف من أمر المحبين فهو يريد أن يكشف حقيقة هذا الحب فيدقق النظر وهذا أشد وقعا من الحرب • ومن المحبين من هم بالبطنش بالرقيب الذى هذه صفته (٢) وان الحراس الذين ذكرهم امرؤ القيس فى قوله : « على حراسا لو يسرون مقتلى » والذين ذكرهم الاعشى بقوله :

ومارد من غواة الجن يحرسها

ذو نيقة مستعد دونها ترقا

ليست له غفلة عنها يطيق بها

يخشى عليها سرى السارين والسرقا (٣)

هؤلاء الحراس هم من هذا النوع وقال ابن حزم ثم رقيب على المحبوبة ولا حيلة الا بترضيته واذا رضى فذلك غاية اللذة « ثم قال : « وهذا الرقيب هو الذى ذكرته الشعراء ، وقد يتلطف فى استرضائه حتى يصير رقيبا

Blunt: The Seven Golden Odes, P. 14. (١)

(٢) ابن حزم الاندلسى - طوق الحمامة ص ٤٧ •

(٣) الاعشى - ديوانه - قصيدة رقم ٨٠ • النيقة = التائق فى

للمحب وليس عليه ودافعا عنه وساعيا له (١) • هذا الصنف الثالث الذي قال  
أن الشعراء ذكروه ليس الذي ذكره شعراء الجاهلية فالرقيب في الشعر  
الجاهلي رقيب عتيد شديد الغيرة على النساء يعتمد عليه رب البيت أو هو رب  
البيت نفسه ومن يقوم مقامه من أهله •

وقد جاء في الشعر وصف كثير جدا للحياة الناعمة التي كانت تحياها  
الحيية الشريفة (٢) وهي هائلة تخدمها الاماء والوصائف •

ومن جوانب هذا الوصف المعنوي للحيية ما ذكره قيس بن الاسلت :  
ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن اتيانهن فتعذر  
وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر (٣)

فهي مكرومة عند جاراتها يزرنها لعلو منزلتها وشرفها ولا تكلف نفسها  
بزيارتهم لا عن كبر وانما عن حياء وخفر لانها ألفت أن تقر في بيتها  
لا تزور غيرها • ومن هذا قول طرفة :

فكيف صبت أو ترجو مهابة منعمة تزار ولا تزور (٤)  
وقول الاعشى :

ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختل (٥)  
ومن صفات الحيية التي ردها الشعراء كثيرا العفة كما قال امرؤ  
القيس :

---

(١) ابن حزم - طوق الحمامة ص ٤٧ •

(٢) امرؤ القيس - ديوانه ص ٦٩ ، المرقش الاكبر - شعراء

النصرانية ص ٥٥٢ •

(٣) قيس بن الاسلت - الاغانى ج (١٥) ص ١٦٦ •

(٤) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٥ •

(٥) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٦ •

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا (١)  
والحشمة والحياء من أكرم الصفات التي يتوج الحب بها فيصان من  
الابتدال ويحفظ بسموه وطهره ، ومن أمارات الحياء والحشمة الطرف  
الغضيض الذي ذكره عنترة اذ قال :

دار لأنسة غضيض طرفها طوع العناق لذيدة المتبسم (٢)  
والحياء في المرأة من صفات الانوثة وتعبّر عنه بأساليب كثيرة تحببها  
في عيني الرجل فيزداد تعلقا بها • يقول المتلمس :

ان الحية جها لم ينفد والياس يسلى لو سلوت أخا د  
قد طالما أحببتها وودتها لو كان يغني عنك طول تودد (٣)  
أما مقاييس الحشمة والتحجب فتختلف في المدن والقرى عنها في  
البوادي ولذلك أسبابه وعوامله الاجتماعية (٤) • ومن مظاهر الحشمة  
الحجاب المعتدل قال النابغة :

صفحت بنظرة فرأيت منها تحييت الحدر واضعة القرام  
تراثب تستضيء الحلبي منها كجمر النار بذر بالظلام (٥)  
فالمحجوبات الشريفات من شرفهن أن يقرن في خدورهن فاذا تراءين  
للناظر فعن بعد وفي استحياء وخفر • وكان هذا أبلغ في سحر قلب المحب

---

(١) امرؤ القيس - ديوانه ص ٨٠ • الاتب = قميص غير مخيط

الجانبين •

(٢) عنترة - المعلقة •

(٣) المتلمس - ديوانه - القصيدة رقم ٦ ص ٣٦ • نشره

R. Dollers الدد = اللهو •

(٤) الاعشى - ديوانه - قصيدة رقم ٢٢ •

(٥) النابغة - ديوانه ص ٨٦ ، العقد الثمين ص ٢٨ ، القرام =

ستر أحمر وقيل ثوب ملون •

واستلاب ليه ، وأكثر ما كن يظهرن للنظر وقت الرحيل ، ولهذا صار الرحيل موضوعا تحدث فيه الشعراء كثيرا<sup>(١)</sup> ، فوصفوا المحبوبة وهى تستعد وتبدأ سفرها ، كما وصفوا شدة شعورهم ، وتعلقهم بها ، وحزنهم على فراقها .

#### ٤ - تبادل الحب :

وكثيرا ما عرض الشعراء لتقلب المحبوبات وعدم استمرارهن على حبهن ، ومن هذا ما جاء فى قول ثعلبة بن صفيير المازنى :

وأرى الغوانى لا يدوم وصالها أبدا على عسر ولا لياسر<sup>(٢)</sup> .

فقد رأى أن وصال المحبوبات لا يستقيم سواء فى حالة العسر واليسر ، فأخلاقهن وسيرهن قلب . ورأى المرار بن سعيد الفقعسى أنهن لا يتبعن من يجفوهن أو ينصرف عنهن ولا من شغلته هموم الحياة عن متابعتهن ، ولكن الذى يظفر منهن بما يريد ، ويستنجز مواعيده هو كل من جازاهن فى أحلامهن وسايرهن فى أذواقهن ، كل حلاف أئيم ، يسترضيهن بأيمانه ان حقا وان باطلا ، وأنهن لا يستهويهن الغنى والثروة فحسب فيطمع فيهن أهل اليسار والاغنياء ، ولا هن يكرهن الفقير فحسب فيأس من مودتهن المعدم المحتاج . قال :

وليس الغوانى للجفاء ولا الذى له عن تقاضى دينهن هموم

ولكنما يستنجز الوعد تابع مناهن حلاف لهن أئيم

وما جعلت ألباهن لذى الغنى فيأس من ألباهن عديم<sup>(٣)</sup>

(١) امرؤ القيس - ديوانه ص ٦٩-١٢٤ ، عبيد بن الابرس - شعراء النصرانية ٦١٢ المرقش - شعراء النصرانية ص ٢٩١ ، النابضة ص ٧٢١ ، دريد بن الصمة الجمهرة ص ١١٧ .

(٢) ثعلبة بن صفيير المازنى - المفضليات ج ١ ص ٥١ .

(٣) المرار الفقعسى . عيون الاخبار ج ٤ ص ٤٥ .

فقد وافق المرار ثعلبة في أن الغنى والفقير وحدهما لم يكونا المقياس  
لحب النساء ولكنه أوضح كيف أن مجاراتهن ومساواتهن تجذبهن ، فهو  
يرى أن الثفنن في مجاراتهن والملاينة والملاطفة في معاملتهن هي الوسائل  
الفعالة في كسب قلوبهن . ولم ير المرار سرعة التقلب في أخلاقهن كما  
رأى ذلك ثعلبة . وقد خالف هذين الشاعرين علقمة الفحل الذي تعرض  
لوصف طباعهن وادعى أنه إنما يعرض ذلك عنهن عرض عالم بشئونهن  
طيب بأدوائهن قال :

فان تسألوني في النساء فأنى      بصير بأدواء النساء طيب  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله      فليس له في ودهن نصيب  
يردن ثراء المال حيث علمنه      وشرح الشباب عندهن عجيب (١)

فهو يرى أن الذي يستهوى النساء ان هو الا الشباب والفتوة أولا ثم  
المال والثروة بعده . والشباب قمة مجد الحياة ، وعنوان تضارتهما ، وفيه الجمال  
والقوة وهما أعلى ما في الحياة ، ولهذا كان أمر الشباب عندهن عجيبا . أما  
المال فان كسبه كان ولا يزال أسهل مقياس لاختبار قوة الرجل وحيلته ،  
وأدعى الظواهر الى اجتذاب القلوب والأنظار (٢) وقد وافق امرؤ القيس  
علقمة موافقة تامة في تحليله طبائع النساء في قوله :

أراهن لا يحبين من قل ماله      ولا من رأين الشيب فيه وقوسا (٣)  
كما وافق عامة الشعراء علقمة مع شيء من الاختلاف فقال أوس بن  
حجر :

---

(١) علقمة الفحل - الاغانى ج ٢١ ص ١١ ، عيون الاخبار ج ٤  
ص ٤٥ ، نهاية الاريح ٣ ص ٦٦ مواشم الادب لجعفر العلوي ج ١ ص ١٥٠ .  
(٢) العقاد هذه الشجرة ص ١٢٨ .  
(٣) امرؤ القيس - ديوانه ص ١٠٩ قوس = انحنى حتى صارت  
مثل القوس .

تنكرت منا بعد معرفة لمى وبعد التصابي والشباب المكرم (١)  
فقد تجاهلته بعد ان كبر وفقد شبابه الغض المكرم وحيوته وتصايه •  
وهكذا قال لبيد عن محبوبته : أنها تنكرت له قائلة « كفى الشيب بالمرء قاتلا  
إذا نزل به » (٢) وقالوا انه يسوء الغواني أن يرين بياض الرأس (٣)  
وان الشيب يريهن (٤) ويروعهن (٥) • ولهذا وصفوهن بأنهن اذا ما رأين  
الشباب سارعن الى تحيته والترحيب به ، وبعكس ذلك اذا ما كبر ولاح  
الشيب في مفارقه صرن لا يسألن عما به ، فاذا صادفه صددن عنه بوجوههن  
وأبصارهن (٦) قال الاعشى :

وأرى الغواني حين شبت هجرني أن لا أكون لهن مثلى أمردا  
ان الغواني لا يواصلن امرءا فقد الشباب وقد يصلن الامردا (٧)

والمحب الذي كانت تهجره حبيته لشيئه تبعت في نفسه بسبب ذلك  
ألما ممضا وأسفا على شبابه كما ذكر ذلك سلامة بن جندل •

تقول حسين رأيت شيبى ولته شمطاء بعد بهيم اللون غريب  
أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب (٨)

(١) أوس بن حجر - ديوانه ص ٤٣ •

(٢) لبيد - ديوانه ص ٥٧ •

(٣) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٦٣ •

(٤) المصدر السابق القصيدة رقم ٢٢ •

(٥) عبد المدان - شعراء النصرانية ص ٨٧ •

(٦) الاسود بن يعفر - ديوانه - القصيدة رقم ١ •

(٧) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٣٤ •

(٨) سلامة بن جندل - ديوانه ص ٧ ، شعراء النصرانية ص ٤٨٧

الفريب = الحالك السواد • المزيلة = المفارقة • فأصبحن الخ = لا يعرفن الا  
خلقى وبياض شعرى •

وقد حكى زهير بن أبي سلمى عنهن كيف كن يسألن من تقدم به  
السن أن يلتزم جانب الوقار ويعرضن عن لهوه ومزاحه • يقول عنهن :  
وقال الغواني انما أنت عمنا وكان الشباب كالحليط نزايله  
فأصبحن ما يعرفن الا خليقتي والاسواد الرأس والشيب شامله (١)  
وهذا ما جعل الشعراء يسكون بأنفسهم عن اللهو عندما تتقدم  
بهم السن (٢) وان كان منهم من يشعر ببيله الى التصابي في هذا العهد  
لما كان يحس به من حيوية ومرح (٣) • والمحبوبات أنفسهن كثيرا  
ما استكرن على المحب شبيهه (٤) فقد صور عنترة عبلة وهي ترى بياض  
رأسه ذنبا لا يغتفر •

ذنبى لعبلة ذنب غير مغتفر لما تبلج صبح الشيب في شعري (٥)  
ومن هذا الاستعراض الشامل يتضح كيف ان الشباب ، الذي هو  
عنوان الحيوية الجنسية ، كان ذا أثر فعال في الحب في بلاد العرب ، البلاد التي  
تعتبر بحق منبعا للفروسية والشجاعة والبطولة العالمية ، وكيف كانت الغانيات  
الراشقات المرشقات الفاتنات مفتونات بالشباب ، يعجبن به • وهذا مما بعث  
في نفوس أبناء الجزيرة القوة والحياء والجلد والصبر عند تحمل الصعاب  
ولهذا أنكر الشعراء على أنفسهم الشيخوخة وفضوا عنهم ما تجلبه من  
غيارها فأظهروا أنفسهم لمحوباتهم بمظهر القوة التي لم تنتقص •  
الا زعمت بسباسة اليوم اننى كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالى

(١) زهير بن أبي سلمى - شعراء النصرانية ص ٥٧٤ - ٥٧٥ •

(٢) النابغة - شعراء النصرانية ص ٦٥٨ •

(٣) عبيد - جمهرة أشعار العرب ص ١٠٠ •

(٤) الاعشى - ديوانه القصيدة ١٠٣ •

(٥) عنترة - ديوانه ص ١٢٣ •

بلى رب يوم قد لهوت و ليلة      بآنسة كأنها خط تمثال  
كذبت لقد أصبى على المرء عرسه      وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى (١)  
فهو يقابل زعمها بالتكذيب الصريح ويؤكد لها قوته وشبابه وسحره  
لألباب النساء • ونجد منهم جماعة يأسفون على شبابهم ويتمنون أن  
يعود اليهم (٢) وهكذا حاول الشعراء ، الذين ذكروا الشيب ، أن يعتدروا  
عنه بأساليب مختلفة فالاعشى يقول « ان الشباب ثوب معار غير دائم » (٣)  
كما شبه كعب بن سعيد الغنوى الشيب بغائب لا بد له من أوبة (٤) •  
وكان الاعشى يتسلى بذكر أيام شبابه عندما كان يخاطب الحبيبات (٥)  
ويذكر لهن كيف كانت لمته سوداء كجناح الغداف وكيف أنه استبدل ذلك  
اللهو فى شبابه بالحكمة (٦) • وهكذا فعل عروة بن الورد اذ خاطب محبوبته  
بقوله :

فما شاب رأسى من سنين تتابعت      طوال ولكن شيبته الوقائع (٧)  
كما أظهر البعض لهن أن نزول الشيب بهم لم يغير فيهم من عزمهم  
أو كرمهم فذكر لبيد مثلاً أنه يستطيع أن يكره خصمه وأنه كان جواداً (٨)  
واستنكر المرار بن منقذ استغراب خولة من شيخوخته فأظهر لها عدم أكثرائه  
بزوال شبابه ، لأنه ما زال ماجداً كريماً اذ قال :

- 
- (١) امرؤ القيس - ديوانه ص ٢٨ ، العقد الثمين ص ١٥٢ •
  - (٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٣٤ •
  - (٣) المصدر السابق - القصيدة رقم ٩٣ •
  - (٤) كعب بن سعيد الغنوى : شعراء النصرانية ص ٧٤٦ •
  - (٥) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٣٩
  - (٦) المصدر السابق رقم ٨
  - (٧) عروة بن الورد - ديوانه ص ٦٤ •
  - (٨) نفس المصدر - ص ٣٩ •

عجبا خولة اذ تنكرني      أم رأيت خولة شيخا قد كبر  
وكساد الدهر شيئا نامعا      وتحنى الظهر منه فأطر  
ان ترى شيئا فاني ماجد      ذو بلاء حسن غير عمر  
ما أنا اليوم على شيء مضى      يا ابنة الاقوام ولي بحسر (١)

واعتذر دريد بن الصمة عن شبيهه بعلو همته التي كانت مثل الصارم  
الذكر وجنانه الثابت ورأى عبيد بن الابرص أنه استبدل بالشباب وقارا  
فصار يدل على الملوك العظام (٢) . قال نفر بن قيس يصور استنكار بهيسة  
لشيب رأسه بقوله :

ألا قالت بهيسة ما لنفر      أراه غيرت منه الدهور  
وأنت كذلك قد غيرت بعدى      وكنت كأنك الشعرى العبور (٣)

فقد بكى الشعراء مع هذا شبابهم لهن ، ومن لا يبكى الشباب ولا يتمنى  
رجوعه اذ فيه القوة والجمال والحياة وفيه ما فيه . قال سلامة بن جندل :  
ياخذُ أمسى سواد الرأس خالطه      شيب القدال اختلاط الصفو بالكدر  
ياخذُ أمست لبانات الصبا ذهبت      فلست منها على عين ولا أثر  
كان الشيب لحاجات وكن له      فقد فرغت الى حاجاتي الاخر (٤)

ونجد الشعر صور المرأة وهي تمجد الشباب وتهتف في كل حين  
باسمه . قال بعض الشعراء :

كفالك بالشيب ذنبا عند غانية      وبالشباب شفيعا أيها الرجل

(١) المرار بن منقذ - المفضليات ج ١ ص ٢٧ .

(٢) عبيد بن الابرص - شعراء النصرانية ص ١١٢

(٣) نفر بن قيس - الحماسة ج ٢ ص ٦٤ وأنت الخ - ما تنكرينه

موجود فيك فقد كنت كالشعري اشراقا .

(٤) سلامة بن جندل - عيون الاخبار ج ٤ - شعراء النصرانية

ص ٤٨٦ . اللبانة - الحاجة من غير فاقة بل من همة .

ومن صفات المحبوبة الدلال وهو أسلوب تنهجه المرأة بدافع فطرتها  
لتحسس بقيمتها في نفس المحب وقد لا يرغب فيه الرجل أحيانا لما فيه من  
تخالف وامتناع ، ولهذا شكاه البعض :

أتاركة تدللها قطام وضنا بالتحية والسلام (١)

والدلال ضرب من فن التميل الفن الذي برعت فيه النساء ، ومن ألوانه  
تغير الطباع ، وتنوع المعاشرة ، وخلف المواعيد ، والهجران . وكم تمنى الشعراء  
ألا يتعد عنهم الحبيبات اذ طلبوا وصالهن وشكوا هجرهن كأنهم لا يعلمون  
ان ذلك من صميم خلقهن :

ألا ان هذا أمس رث جديدها وضنت وما كان المتاع يؤودها  
فلو أنها من قبل جادت لنا به على العهد اذ تصطادني وأصيدها  
ولكنها ممن يميظ بـوده بشاشة أدنى خلة تستفيدها (٢)

وبخل المرأة نتيجة لطبيعتها وفطرتها فهي تعصم بالاحتجاز ، لانها  
هي في ذاتها جائزة يسعى للحصول عليها المحبون ، ومتى بلغ الاحتجاز  
عندها مبلغه بلغت أخلاقها غايتها . ولان هنالك فرقا بين حب الرجل وحب  
المرأة ، لهذا تسمى الرجل في حبه وتعبيره أحيانا . أما المرأة فحبها مكوم  
يتوارى عن الانظار . وحب الرجل ينبع من العزيمة وحبها من الاحساس ،  
وحب الرجل يدعوه الى المجد اذ يحفزها على السعى والظفر ، وحب المرأة  
يطلب الحماية ، وحب الرجل سكون بعد جهاد وحبها شغل شاغل ، ولو أن  
كلا منهما يسعى الى السرور الا أن الرجل هو الذي يتقدم اليه ويدفع ثمنه .  
فكما أن الدلال من آثار التصنع والرياء عند المرأة كذلك خلفها المواعيد من  
نتائج دلالها . وقد تزلزلت من خلفها مواعيدها الشعراء في حين أنها تمارس

(١) النابغة الذبياني - ديوانه ص ٥٦

(٢) المثقب العبدى - شعراء النصرانية ص ٤٠٩ المتاع - الوداع .

يميظ - يميل . الخلة - الصداقة .

طبيعة من طباعها • قال أبو الذيال الهذلي :

لا الدهر فان ولا مواعدها تأتي فليت القول لم تعد  
وعدا محاصله الى خلف ذاك طلاب التصيل والنكد (١)

وشبهوا مواعيدها « بمواعيد عرقوب أخاه يشرب (٢) » فطلب المثقف  
العبدى من حبيته أن تكف عن مواعيدها الكاذبة (٣) • ورأى ثعلبة المازنى  
أن خلفها المواعيد أمر لا يمكن علاجه ، لانه من طبيعتها وطبيعة حبها الذى  
لا يدوم فسمح لنفسه أن يهجرها ان خالفته (٤) • ومن طبيعتها الحرمان  
وقد شكاه الشعراء لان الوصال فى نظرهم الحياة الهائلة ، والحظ الرفيع ،  
والسرور الدائم ، وقد كان منتهى أمانيتهم (٥) ومع هذا فالنساء وان اتفقت  
طبائعهن وصفاتهن فى امور كثيرة الا أنهن يختلفن فيما بينهن كما ذكر  
طفيل الغنوى :

ان النساء كأشجار نبتن معا منها المرار وبعض المر مأكول  
ان النساء متى ينهين عن خلق فانه واقع لا بد مفعول  
لا ينصرفن لرشد ان دعين له وهن بعد ملائيم مخاذيل (٦)

فطباعهن تختلف فى أشياء وتتفق فى أشياء ، تختلف فى كل شىء ذاتى  
خاضع للتربية والمحيط. وتشارك فى صفات الانوثة من حيث أنهن نساء

(١) ابو الذيال الهذلى - طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧٣ •

(٢) علقمة الفحل - ديوانه ص ٨٧ ، الشماخ - ديوان الصبابة

ج ٢ ص ١٢ •

(٣) المثقب العبدى - شعراء النصرانية ص ٤٥٥ •

(٤) ثعلبة بن صفيير المازنى - المفضليات ج ١ ص ٥١ •

(٥) على بن حزم - طوق الحمامة ص ٥٥ - ٥٦ •

(٦) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧٣ ، عيون الاخبار ج ٤

ص ١١٣ ، الاغانى ج ١٥ ص ٣٢ ، أخبار النساء ص ٨٠ ، نهاية الارب ج ٣

ص ٣٨ ( ويشابهه قول كعب بن مالك ) •

واجبهن فى الحياة القيام بدور الانوثة فقد اندفنن بطائمهن الانثوية الى المخالفة وفعل ما نهين عنه فقد يكون الدافع لهن على ذلك اجتذاب الانظار اليهن أو كسب الرعاية • وقد يخالفن فيما لامصلحة مقصودة لهن فيه، وقد شاع ذلك عنهن حتى قيل « ما نهيت امرأة عن شئ الا أتته » واختلفن فى امور فمنهن المبالغة بدلها الشديدة الامتناع الصحيحة الموافقة ومنهن السهلة الطبع غير المبالغة فى مخالفتها وامتناعها • وقد يحس الشاعر ذلك فيهن • قال الاعشى :  
وفى الحى من يهوى لقانا ويشتهى      وآخر من أبدى العدوأة مغضب  
فما أنس ملاءميا لا أنس قولها      لعل التوى بعد التفرق تصقب (١)

وطبيعة المحبوبة التى صورناها تختلف فيها نساء المدن عن نساء البادية من بعض الوجوه فحب المال، عند الرجل، قد تكون فنيات المدن أكثر تعلقا به هذا ما نجد فى شعر المدنيين، اذ البدويات لا ينظرن للمال نظرة الحضريات على أنهن يعجبن كل الاعجاب بالشجاعة والفروسية وما يتصل بها من النخوة والكرم والاسراع لدفع الخطر اذا أبدى ناخذه ، على أن شرح الشباب عجيب عندهن ، حضريات وبدويات ، كافة •

#### ٥ - تأثير الحببية فى وجدان الشاعر :

لم يمر بالادب العربى عصر من العصور لم يكن الحب فيه ينبوعا من ينابيعه (٢) فالشعر الجاهلى القديم فى البادية ، بصوره التقليدية ، ولقته المتقنة ، وتشبيهاته القوية ، وبحوره الدقيقة ، وأوزانه الرصينة ، كانت كل قصيدة من قصائده ، تقريبا ، تفتح باسم حبيب ، تغن باسمه ، أو وصف لمنازله ودياره ، أو وقوف لوداعه أو بكاء لفراقه أو ذكر لاي شأن من شؤونه • وكان هذا كما سبق ان ذكرنا ، تقليدا فى الجاهلية ثم نهج كثيرون

(١) الاعشى - ديوانه القصيدة رقم ٣٠ • تصقب - تدنو •

(٢) جب - تراث الاسلام ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ •

من الاسلاميين عليه • ولم يكن ذلك الا لما للحبيبة من أثر في نفوس الشعراء والسامعين •

تحدث الجاهلي عن تأثير الحبيبة في عقله وقلبه فقال : انها سلبت عقله ، (١) وذهبت به كله (٢) ، وأودت بالقلب (٣) بل خالطت القلب فشغف بها (٤) فهي فتنة فتن بها الرجل (٥) فاصطادت فؤاده (٦) ورمت بسهام لحاظها فاصابته (٧) وان ذرفت عيناها فانما لتضرب في اعشار قلب المحب المقتل (٨) قال الاسود بن يعفر :

والبيض يرمين القلوب كانها أدحى بين صريمة وجماد  
ينطقن معروفًا وهن نواعم بيض الوجوه رقيقة الاكباد (٩)

وصف الشعر الجاهلي الحبيبة بأنها تستولى على عقل المحب وقلبه وهما كل المرء ، فما المرء الا عقله وقلبه • ولهذا فانها اذا ما ظننت انحدر القلب

(١) الاعشى : ديوانه - القصيدتان رقم ٣٠ ، ٧٧ •

(٢) طرفة بن العبد : ديوانه ص ٣٨ •

(٣) الاعشى : ديوانه - القصيدة رقم ٣٨ •

(٤) المصدر السابق - القصيدة رقم ٧٨ •

(٥) المصدر السابق •

(٦) المصدر السابق : القصيدة رقم ٨٠ •

(٧) امرؤ القيس : ديوانه ص ٦٩ •

(٨) المصدر السابق : المعلقة ، العمدة : ج ١ ص ١٥٥ • قال

الاصمعي : أغزل بيت قالته العرب ، قول امرؤ القيس : « وما ذرفت  
عيناك الخ . . . » •

(٩) الاسود بن يعفر : ديوانه القصيدة رقم ٢٥ •

في اثرها غدوة وهي ظاعة (١) .

أمـرخ خيامهم أم عشر أم القلب في أثرهم منحدر (٢)

وتترك في الصدر صدعا لا تجيره اليد الصناع (٣) . واذا حل بالمحب  
ليله لا تتركه ذكرياتها يحلو له نوم أو يطيب وسن ، اذ كيف ينام وقد  
صادت قلبه وبانت به قال الاعشى :

نام الخلى وبت الليل مرتفقا أرعى النجوم عميدا مثبتا أرقا  
أسهو لهمي ورائي فهي تسهرني بانت بقلبي وأمسي عندها علقا  
يا ليتها وجدت بي ما وجدت بها وكان حب ووجد دام فاتفقا  
لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشفى وامق مالم يصب رهقا (٤)

فهي سبب سهره لأنها سلبت قلبه فأصبح معلقا بها (٥) . ومع هذا  
الحب والكلف لم تشعره هي بشيء من حبا . فهو يتمنى أن تجد من الحب  
مثل ما يجد ، فيتفق الحبان معا وتتحقق السعادة . واذا أخلص المحبان في  
حبهما أصبح الحب رباطا قويا لا يستطيع الوشاة والمعرضون فكه ، عملوا  
ما عملوا ، فللحب سلطان على القلوب لا يعده سلطان ، ووشايات الواشين  
لا تزيده الا قوة ورسوخا . قال علقمة :

إذا ألحم الواشون للشر بيننا تبلغ رس الحب غير المكذب (٦)

واذا كان أهم ما اتصفت به الحبية في البيئة الجاهلية الامتناع

(١) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٣٠ .

(٢) امرؤ القيس - ديوانه ص ٥ ، العقد الثمين ص ١٢٦ أنجدوا أم

أغاروا أم القلب يصبو اليهم .

(٣) الاعشى - ديوانه - قصيدته رقم ٤ و ٢

(٤) المصدر السابق قصيدة رقم ٨٠

(٥) المصدر السابق

(٦) علقمة ديوانه ص ٨٥ .

والاحتجاج والابتعاد عن المحب ، صيانة للنفس ، وخشية من العار ، فإن الشعراء المحبين أجمعوا على وصفها بأنها هم للنفوس وغرض سام يريدون الوصول إليه (١) . فهي تسهر المحبين (٢) ، وهي موضوع أحاديثهم . (٣) وإذا ابتعدت عنهم ألهمت في نفوسهم نار الشوق ، وتمنوا اللحاق بها على ظهر ناقة ضامرة مسرعة وهي الناقة التي وصفوها بأنها مصرمة ، أجد الفقار (٤) وهي الجلدية (٥) والجسرة (٦) والشندية (٧) وقد أبدع علقمة الفحل في وصفها أيما ابداع :

تلاحظ السوط شزرا وهي ضامرة

كما توجس طاوى الكشح موشوم (٨)

ولا عجب ، بعد أن صور الشاعر التأثير العميق الذي للحببية في وجدانه ونفسه ، أن يقول : انه يجد في وصالها نعيما دائما ، وظلا باردا ، وهناء متوصلا ، حتى لكانها جنة الخلد له :

من نالها نال خلدا لا انقطاع له وما تمنى فأضحى ناعما أنقا (٩)

فالحببية هي الحياة وهي العيش الرغيد وهي الدنيا ، فإذا صفت علاقتها بالمحب صفا له دهره وهنيء عيشه وسعد باله ، قال النابغة :

- 
- (١) الاعشى - ديوانه - القصائد رقم ٩ ، ٧٨ ، ٨٠ ، طرفة - ديوانه ص ٤ ليبيد - ديوانه ص ٤٠ ، المخبل السعدى - المفضليات ص ٤٤ .
  - (٢) الاعشى - ديوانه - قصيدة رقم ٨٠ ، طرفة - ديوانه ص ٤ .
  - (٣) الاعشى - ديوانه - قصيدة رقم ٩ ، طرفة - ديوانه ص ٤ .
  - (٤) أوس بن حجر - ديوانه ص ١٤٠ .
  - (٥) علقمة - شعراء النصرانية ص ٤٩٩ .
  - (٦) دريد بن الصمة - شعراء النصرانية ص ٧٦٢ .
  - (٨) عنتره العبسى - ديوانه ص ٢١٨ .
  - (٧) علقمة الفحل - شعراء النصرانية ص ٤٩٩ . ضامرة - ضامة حبيها فلا تجتر .
  - (٩) الاعشى - ديوانه - قصيدة رقم ٨٠ .

وقد أراني ونعما لاهيين بها

والعيش والدهر لم يههم بامرار

أيام تخبرني نعم وأخبرها

ما أكرم الناس من حاجي وأسراري (١)

ولعظم أثرها في نفوس المحيين وصفوا الشعور الذي تثيره بالحياة  
تبعث من جديد في أجساد الاموات :-

يشفي غليل النفس لاه بها حوراء تسبي نظر الناظر

لو أسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر (٢)

وهي تلعب بألباب الرجال حتى الحليم العاقل منهم كما وصف ذلك  
امرؤ القيس :

الى مثلها يرنو الحليم صباة

اذا ما اسبكرت بين درع ومجول

تسلت عمايات الرجال عن الصبي

وليس فؤادي عن هواها بمنسل

ألا رب خصم فيك ألوى رددته

نصح على تعذاله غير مؤتل (٣)

لا بل وحتى الرهبان الذين باعوا نفوسهم لله وعزموا على الانصراف

---

(١) النابغة الذبياني - التوضيح والتبيان عن شعر نابغة بنى

شيبان ص ١٠٩ ، شعراء النصرانية ص ٧٢٤ .

(٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٨ .

(٣) امرؤ القيس - المعلقة . اسبكرت - امتدت وتم قوامها .

الدرع - قميص المرأة الطويل ، المجول قميصها القصير . الالوى - المستمر

في العذل . المؤتل - المقصر .

عن نعيم الحياة ولذاتها ، يسحرهم الجمال فينكصون عما وطدوا عزمهم عليه .  
وغرض الشاعر من ذلك وصف فرط جمالها وشدة تأثيرها قال النابغة :

لو أنها عرضت لأشمط راهب      عبد الاله ضرورة متعبد  
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها      وحاله رشدا وان لم يرشد (١)

ولشدة تعلق المحب بالحبيبة وهيامه بها يحسب أنها تعلم بما يشعر  
ويقاسى فى سبيل حبه ، وقد تلمس بصيرتها فى الواقع جانبا من ذلك أو  
جله ان كانت ذكية صادقة الحب ، قال الاعشى :

وقد علمت بالغيب أنى أحبها      وانى لنفسى مالك فى تجمل (٢)

والمرأة وان كانت تعرف الرجل الا أن المسلم به أنه أقدر منها على  
فهم نفسيته بصورة عامة ، وبدل على ذلك الروايات التى ألفها الرجال  
فصوروا فيها المرأة والروايات التى كتبتها النساء فصورن فيها الرجال .  
وقد أثبت جماعة من الشعراء فى الجاعلية معرفتهم بأحوال النساء كامرىء  
القيس وعلقمة والاعشى وغيرهم . (٣)

ومما أبدع امرؤ القيس فيه تصوير حبيته كيف أنها تحس بما فى نفسه  
من الوجد والحب لها ، وكيف تستطيع أن تلعب بقلبه وعقله . فصورها  
وهى تذرف الدمع لتضرب بسهام لحظها فى قلبه المتيتم . انها تدرك تأثير  
تصرفاتها فيه بحكم طبيعتها الانثوية . والمرأة تريد دائما أن تشعر بقيمة  
فى نفس الرجل فتباكى وتسخط وترضى ، وهى فى كل هذه الاحوال  
تكون على أشد ما تكون من اليقظة والانتباه لتلحظ تأثير ذلك فى نفسه

(١) النابغة - ديوانه ص ٦٣ ، العقد الثمين ص ١٠ .

(٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٧ .

(٣) يصح أن نشبههم بـ

Belzac, Tolstoy, Victor - Hugo, Theckery,

Meredith, Hawthorne, Hardy.

من المعاصرين .

بملاحظة انفعالاته ، واذا ما شعرت بقلّة الالتفات منه حفظت ذلك في نفسها  
فلا تنساه وعاقبته عليه • قال امرؤ القيس :

أغرك منّي أن حبك قاتلي

وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل

وما ذرفت عينك الا لتضربني

بسهميك في أعشار قلب مقتل (١)

ونرى مما سبق أن الحب الذي أوقدته المرأة في نفس الشاعر الجاهلي كان  
حبا صادقا فعلا في النفوس وبلغ في أحيان القمة في التأثير اذ أدى الى  
التضحية الغالية وكانت عاقبته أحيانا هيام شديد أو موت في سبيل الحب •  
والدلائل على صدق الحب الذي أثارته المرأة في نفس الشاعر الجاهلي كثيرة  
جدا منها :

١ - قصص المتيمين من الشعراء - فليس للمحب الذي لا ينال غير  
الحرمان الا أن يستسلم الى الضنى والسهاد أو يتدرع بالصبر • والصادق  
في حبه المرفف الحس يكون أقرب الى المذهب الاول وهكذا وجدنا جماعة  
من الشعراء لفظوا آخر أنفاسهم ، على ما ذهبت اليه الروايات ، على مذبح  
الحب الصادق ، ورضوا بالموت واختاروه على الحياة في كنف الحرمان  
والهجران وهؤلاء هم شهداء الحب • والمشهور منهم ثلاثة المرقش الذي  
أحب ابنة عم له ، ولكن والدها زوجها من أحد الموسرين ليستعين بزواجها  
على معالجة ضائقة مالية حلت به • بيد أن حب الفتاة تغفل في قلب المرقش  
لأنها استولت على شعوره كله ، فانتتهت حياته بموته حزنا وكمدا • (٢)

---

(١) امرؤ القيس - المعلقة •

(٢) الاغانى ج ٥ ص ١٨٩ ، الشعر والشعراء ص ١٠٢ ، خزائن

الادب ج ٣ ص ٥١٤ ، جمهرة أشعار العرب ص ٥١١ • شعراء النصرانية

ص ٢٨٢ •

وثاني المشهورين من التميميين عبد الله بن العجلان (١) . وثالثهم مالك بن الصمصامة الذي استهوته جنوب بنت محصن الجعدى فملكت شعوره واحساسه ولكن أخاها لم يرض أن يزوجها منه حتى قتلها حبها . (٢) هذا الحب الذي كانت تثيره بنات الجزيرة كان حبا صادقا ممتازا صريحا كفجر الصحراء طاهرا كقطر الندى ثابتا كالطود عميقا كنبع الماء في الصخر الاشم . وكان هذا الحب كتوما صامتا صموت الغار . فقد روى ان المحب منهم في بعض الاحيان كان يذبل من فرط الهوى ويموت ثم لا يبوح باسم من يهواها خشية أن يصيبها أذى . وكانت القيود الاجتماعية هي التي ألزمت أن يكون طابع الكتمان (٣) شعار حبهم ، والحرماني جزءا من اشهر بحبه منهم . وهذا مما دعا الى ظهور لون مثالي من الحب عندهم عرف بالحب العذري (٤) كان شبانهم يفاخر بعضهم بعضا به .

وقد ذاعت هذه القصص والاشعار التي تصور الحب الخالص المثالي الممتاز ، وأخذ الخلف يتناقلها عن السلف فكانت جزءا من القيم الروحية للشعب العربي .

**ب - حرارة العاطفة والثبات في الحب :** ومن الدلائل على صدق الحب الجاهلي حرارة الحب والثبات فيه الذين يصورهما الشعر الجاهلي . فالمحبة هي غاية المحب فلا ينفعه دونها شيء ولا يلهيه عنها أمر قال الاعشى :

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفى وامق ما لم يصبرهقا (٥)

(١) الاغانى ج ١٩ ص ١٠٢ ، الشعر والشعراء ص ٤٤٩ .

(٢) الاغانى ج ١٩ ص ٨٣ .

(٣) الاغانى - ج ٢ ص ٨١ .

(٤) مارسيل تينر - تاريخ الحب ص ٦٤ - ٦٥ . يراجع كتاب

« الحب العذري » ل احمد عبدالستار الجوارى .

(٥) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٨٠

وكلما حاول أن ينساها لم يستطع ذلك (١) ، فان سافرت جد به  
الوجد والهيام وورغب في اللحاق بها (٢) ، وان أبعدت بينهما الايام ونسى  
ما نسي فلا ينساها :

وكل محب أحدث الناي عنده

سلو فؤاد غير حبك ما يسلو (٣)

فهى محبوبة مقيمة وظاعنة ويستمر حبها فى أعماق الزمن ما شاء له  
أن يستمر . قال الاعشى :

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فامسى الرهن قد غلقا (٤)

وكان من آثار الصدق فى الحب وحرارة العاطفة والثبات فيه هذا  
النحول والسقام والمضى (٥) الذى أكثر الشعراء من الشكوى منه .  
فوصفوا حرمانهم النوم ، وهزال أبدانهم ، وتفكيرهم المتواصل فى الحبيبة ،  
وشوقهم المضى قال عنتره :

وهيهات يخفى ما أكن من الهوى

وثوب سقامى كل يوم يجدد (٦)

وصدق حبهم أدى الى عدم التكلف فى شعر التيميم فقالوا شعرهم  
فى غير تعمل وكان اذا سمعه متم شعر مثل شعورهم . ومنهم من وصفوا  
تبريح الهوى بأجسامهم ولم يجعلوا همهم الفن فى التعبير ، انما كان  
اسلوبهم واقعيًا خاليا من الاغراق فى التخيل والمبالغة فلا نجد فى الشعر الجاهلى صناعة

(١) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٥٠ رواية ابن السكيت .

(٢) علقمة الفحل - شعراء النصرانية ص ٤٩٩ .

(٣) زهير بن أبى سلمى - ديوانه ص ١٥ مع شرح الاعلم الشنتمرى

(٤) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٥) على بن حزم الاندلسى - طوق الحماية الالفه والالاف ص ٩٦ .

(٦) عنتره العبسى ديوانه ص ١٨ .

وتعملا مثل ما جاء في قول المتنبي مثلا :

كفى بجسمي نحولا أنتي رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني (١)  
ولا مثل قول ابن الفارض : « ماله مما براه الشوق في » (٢)  
انما التعبير الجاهلي تعبير طبيعي لا مغالاة ولا ابتعاد عن الواقع فيه لانه تعبير  
عن شعور صادق • ومثاله ما جاء في قول طرفة بن العبد •

يا خليلي قفا اخبرك ما عن أحاديث تغفستى وهم  
وابلغا خولة انى أرق لا أنام الليل من غير سقم  
كلما نام خلى باله بت اللهم نجيا لم أنم  
منع التغميض عنى ذكرها فهى همى وحديثى والسقم (٣)

والمبالغة كيفما كانت فى شعرهم لا تتعدى الحد الذى جاء فى قول

عنترة :

نعيم وصلك جنات مزخرفة ونار هجرك لا تبقى ولا تنذر (٤)  
ولا حد قولهم : « خلفت فى الفؤاد صدعا تعجز الصناع عن جبره » (٥) •

ومن جميل ما يدل عليه الثبات والدوام فى الحب عندهم أن الرجال ،  
حتى بعد تقدم السن بهم ، كانت قلوبهم رطبة بالحب ، تخف الى صوته  
وتشتاق الى عهده (٦) • وهذا علقمة الفحل ينازع قلبه فى هواه ويميل به

---

(١) المتنبي - ديوانه ج ٢ ص ٤٣٤ شرح عبدالرحمن البرقوقى •

• جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٧٧ •

(٢) ابن الفارض - ديوانه ص ٨ ( بيروت ١٨٨٨ ) •

(٣) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٥٦ • رواية ابن السيكت ومع

شرح الاعلم ص ١٤٧ •

(٤) عنترة العبسى - ديوانه ص ١١٤ •

(٥) الاعشى - ديوانه - قصيدته رقم ٤ و ١٢ •

(٦) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٢٠ •

الى الاتزان والتعفف وقد لاح الشيب في مفرقه ، ولكن قلبه الفتى كان لا يزال وفيه طراوة من الحب ونشوة من التصابي • كان طروبا تتحرك فيه أوتار الحب والهوى قال :

طحا بك قلب في الحسان طروب

بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفني ليلي وقد شط وليها

وعادت عواد بيننا وخطوب (١)

**ج - التضحية والفروسية -** ومن علامات الحب الصادق الذي غرسته المرأة في قلب العربي التضحية الصادقة والاستبسال لأجل الحب ، وكان عنزة العبي من الذين صوروا تلك التضحية والاستسلام خير تصوير فإن حبه وإخلاصه جعله يستسلم لحبيته بدون قيد أو شرط • كما اعتاد أن يستسلم له الإبطال فحبيته كانت بطل معركة حبه فتقدم إليها قائلاً :

المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عنى اليوم مصروف (٢)

وما كانت فروسية العرب التي هي أم الفروسية العالمية الا وليدة صدقهم في الحب ، وليدة المرأة العربية قال عنزة :

يا عبل لولا أن أراك بناظري ما كنت ألقى كل صعب منكر (٤)

فالمرأة هي التي كانوا من أجلها ينجزون أعمال البطولة ، ويتحلون بصفات الفروسية الكريمة التي هي الشهامة الحققة ومن صفاتها الكرم والشجاعة وحماية الجار والاباء • وكان للفروسية آثار في اخلاق

---

(١) علقمة الفحل - ديوانه ص ٢ طبعة الجزائر • طحا - اتسع  
وزهب كل مذهب • بعيد الشباب - في اثر ذهابه • شط وليها - بعد عهدها  
عواد - شواعل •

(٢) عنزة العبي - ديوانه ص ١٦٥ جمع يوسف توما البستاني

(٤) عنزة العبي - ديوانه ص ١٢٦ •

العرب كافة • وقد أوضح عمرو بن معد يكرب أثر الحبيبة في استبساله ساعة الحرب وكيف تخلق منه بطلا غير هيب :

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شـدا  
وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى  
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الامر جدا  
نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا<sup>(١)</sup>

فالجزم كان في كثير من الاحيان من صنع المرأة تبعه في نفس الرجل وقد أوضح الاعشى ذلك في قصائد كثيرة له منها قوله :

ولو أن دون لقائنها جبالا مزلقة مضابه  
لنظرت أنسى مرتقا • وخير مسلكه عقابه  
لأيتها ان المحب مكلف دنس ثيابه<sup>(٢)</sup>

وكان لأباء الحبيبة وتمنعها أثر بعيد في الشعر وفي الخلق العام • فباؤها هو الذي الهب العواطف وجعلها نارا لا يخبو أوارها وعينا صافية لا ينقطع نعيمها وما هذا القدر الكبير من الانتاج الشعري في الغزل والنسيب الا من آثار العفة التي تدرعت بها المرأة والحشمة التي صانت بها كرامتها فصار المحب الجاهل يشعر في كل حين بأنه في حاجة الى أن يتودد اليها فيخطب رضاها ويكسب عطفها • ولو تبدلت المرأة فلانت واسمحت لجت جذوة الشعر ونضب معينه • فامتناع المحبوبة هو سر هذه الحرارة في

(١) عمرو بن معد يكرب - الحماسة لابى تمام ج ١ ص ٤٢ •  
يفحصن - يؤثرن • المعزاء - الارض الصلبة • بدت من الرعب • الكبش -  
الرئيس •

(٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٥٤ • خير مسلك ذلك  
المكان العقاب •

الحب وصدق الشعور فى القصيد وهذا الفناء فى سبيل العشق والهيام • قال طرفة :

قضى نحبه وجدا عليها مرفس • وعلقت من سلمى خيالا امامطه (١)  
 نعم كانت الحبيبة بل كان حبا ألما ممضا ، وبكاء عاليا (٢) وحزنا ،  
 وشغفا وهياما (٣) وجنونا مستعرا (٤) • وكم أسهرت الحبيبة المحبين  
 ففضوا ليلهم الطويلة يرعون نجومها • فلا غرو اذا ما استهانوا بالموت  
 وتمنوه • قال قيس بن الحداية :

وان الذى أملت من أم مالك أشاب قذالى واستهام فؤاديا  
 فليت المنايا صبحتى غدية بذبح ولم أسمع لبن مناديا (٥)  
 وكثيرا ما وازنوا بين حياة الحب والموت الهادى ، ففضلوا الموت على الحياة  
 لشدة ما كان يقاسيه المحب من ألم الحرمان • قال طرفة :

لعمرى لموت لا عقوبة بعده لذي البث أشفى من هوى لايزايله (٦)  
 والحب الذى خلفته المرأة العربية كان حبا ساميا بالنسبة لما كان موجودا عند  
 الامم الاخرى (٧) • لانه يهدف الى مثل عليا وقد دفع بالمحب الى أن يتسامى  
 ويأتى باهر الاعمال (٨) ويتضح ذلك من المقارنة بين التضحية للمحوبة عند

- (١) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٣٨ رواية ابن السكيت •  
 (٢) امرؤ القيس - ديوانه - ص ٤ - ١٤ •  
 (٣) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٧٨ •  
 (٤) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٦٣ • رواية ابن السكيت •  
 (٥) قيس بن الحداية - الاغانى ج ١٣ ص ٧ • أم مالك اسم لفتاة  
 مثل ام كلثوم • القذال - جماع مؤخرة الرأس •  
 (٦) طرفة بن العبد - ديوانه ص ١١٨ - ١٢٠ مع شرح الاعلم  
 الشنتمرى •  
 (٧) Blunt: The Seven Golden Odes P. II  
 (٨) عنتره العيسى - ديوانه ص ٢٩ •

العرب والتضحية عند الاوربيين المعاصرين لهم<sup>(١)</sup> . وقد أدرك العرب بملاحظاتهم الهادئة أن عهد الجمال والحب عهد قصير وان للجمال دولة سرعان ما تدول . قال عنتره يفرى بانتهاز فرصة الجمال والفتوة .

عيلة أيام الجمال قليلة لها دولة معلومة ثم تذهب<sup>(٢)</sup> وكانت الحبيبة تثير في نفس المحب اهتمامه الكبير بشأنها ولهذا نجدها موضع عنايته يتوجه اليها بجليل أعماله . قال عنتره يمتدح لحبيته صبره :-  
إذا لعب الغرام بكل حرر حمدت تجلدى وشكرت صبرى  
وفضلت البعاد على التدانى وأخفيت الهوى وكتمت سرى  
ولا أبقي لعذالى مجالا ولا أشفى العدو بهتك سترى<sup>(٣)</sup>

فقد صور لها صبره وتجلده واحتماله البعاد ان كان فيه ستره وصيائه وقدرته على الكتمان لجه وقطعه السنة العاذلين بعدم افساح المجال لعذلمهم وصيائه عرضه أمام الخصوم . وكل هذه الصفات مما ترغب فيه المرأة لأنها من صفات الرجولة الصحيحة .

وكان لساعات الوداع - وما أكثرها في الجزيرة وعند الرعاة ، وحياتهم نجمة وارتحال - أثر ملحوظ في غزل الشاعر . فقد أوحى بالكآبة والبكاء وجعلت غزل الترحل والظعن تفجعا واهتاجت النار في قلب الشاعر المحب - قال الاعشى بصور أثر سفر الحبيبة في نفسه :

كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا<sup>(٤)</sup>  
فكان سفرها عند الاعشى هذه الدموع السخينة الغريزة ، ونازلة فاجعة عند طرفه اذ قال :-

Blunt: The Seven Golden Odes P. 14 (١)

(٢) عنتره العبسى - ديوانه ص ١٥ - ١٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١١٥ .

(٤) الاعشى ميمون - ديوانه - القصيدة رقم ٢٣

فجمعوني يوم زموا غيرهم برخيم الصوت ملثوم عطر (١)

وكيف لا يذكر فمها الحلو وصوتها الرخيم في هذه الفاجعة وهما مصدر الفاجعة ورسولها فقد كانت ودعته بعباراتها العذبة الرقيقة التي بقي أثرها في نفسه حيا ناطقا • ورحيل الحبيبة عند عنتره هروب القلب وفجيعة ايضا ، قال :

كان فؤادي يوم قمت مودعا عييلة من هارب يتفجع (٢)

فؤاد هذا الفارس يفر من مخدعه ، وينطلق في أثر الحبيبة من بين أضالعه لكنه الفتى الجلد الصبور ، وهل لصبره مكان أولى من هذا المكان يظهر فيه وموقف اخرى من هذا الموقف يتطلع اليه • قال :  
إذا رشقت قلبي سهام من الصمد وبدل قربي حادث الدهر بالبعد  
لبست لها درعا من الصبر مانعا

ولاقت جيش الشوق منفردا وحدي (٣)

وغير عنتره كثيرون ، يفعل فيهم ظعن الحبيبات ما يفعل فمنهم من كان يبكي كما يبكي علقمة الفحل طويلا ذلك البكاء الذي أذاعه في قصيدته الشهيرة ، النبي لقبها قريش بسمط الدهر الاول ، ومطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكنوم ام حبلها اذ نأتك اليوم مصروم (٤)  
أو يبكي بكاء امرئ القيس وبدموع ناقف حنظل ، اذ قال :-

كأنني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحلي ناقف حنظل (٥)

- 
- (١) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٦٣ • رواية ابن السكيت •
  - (٢) عنتره : ديوانه ص ١٠٣ •
  - (٣) المصدر السابق ص ٦٥ •
  - (٤) علقمة - شعراء النصرانية ص ٤٩٩ •
  - (٥) امرؤ القيس : ديوانه ص ١٢٤ سمرات - شجرات من نوع معلوم • ناقف الحنظل - من يشقه بأسنانه •

وهكذا كان الظعن وما فيه من صور ومشاهد وإشارات وتلميحات  
وعتاب وإلى آخر ما فيه وما فيه ، كان فعلا عميق الاثر فى نفوس المحبين  
من قالة الشعر الجاهلين اما ما ردت عليه النفوس به فهو مختلف • هو  
الاليم (١) أو الذبح والموت (٢) أو الهلاك (٣) أو الشيب (٤)  
أو التعرض لافتراس الوحوش (٥) أو الجنون (٦) أو اشياء اخرى غير هذه  
انما جوهرها وخلاصتها لا يختلف عن هذه ابدا ، والشعر طافح  
بها (٧) •

وكثيرا ما ذكروا الغراب ونعيه اذ ذكروا ظعنهم ، والعرب تشائم  
منه (٨) ، وأطالوا فى وصف الاليم • وأظهروا حينهم الى  
الخبية على بعادها (٩) ، وكرهوا المكان الذى كانت تحل فيه ، (١٠)  
وتشوقوا الى المنازل الاخرى التى حلت فيها وتنوروا نارها عساها تخفف

- 
- (١) ديوان عنتره ص ١٠٣ •  
(٢) قيس بن الخداديّة : الاغانى ج ١٣ ص ٧ •  
(٣) اوس بن حجر - ديوانه ص ٢٠ •  
(٤) حسان - ديوانه ص ١٢ •  
(٥) عروة بن حزام • النوادر ص ١٦٠ - تزيين الاسواق  
ص ٧٧ •  
(٦) المفضليات ج ٢ ص ١٤٦ • الاليم - المجنون •  
(٧) يلاحظ مثلا : طبقات ابن سلام ص ١٠٨ ، ديوان النابغة  
ص ٥٠ • معجم البلدان ج ٢ ص ١٠٠ ، ٢١٨ •  
(٨) تراجع ص ١٠ من هذا الكتاب ، الحيوان ج ٣ ص ٤٣١ ،  
٤٤٢ ، لسان العرب ج ١٦ ص ٢١٠ ، القاموس ج ٤ ص ٢٠٤ •  
(٩) النابغة - ديوانه ص ٥٠ •  
(١٠) عبيد : ديوانه ص ١٠ •

احزانهم (١) وشاموا البرق من ناحيتها (٢) واستروحوا الصبا على  
يردها وروحها يكشفان الغمة عن قلوبهم (٣) واستطالوا غيابها وان قصر (٤)  
وتمنوا لقيها (٥) ووجدوا نوح الحمام يهيج هيامهم (٦) ومنهم من تجلد  
وتدرع بالصبر وكنم عن الناس همومه لبعدها (٧) ومنهم من ضرب في  
الارض من اجلها (٨) .

وما غفلوا عن وصف حدوجهن وهن ضاعنات وشبهوها بالاحمال على  
السفين وما قولنا الابل سفن الصحراء بجديد بالنسبة لما كانوا يقولون ،  
قال العبدى :

وهن كذلك حين قطعن فلجيا      كان حملهن على سفين  
يشبهن السفين وهن بخت      عراضات الابهار والشؤون (٩)  
وشبههن امرؤ القيس بالنخيل (١٠) ، ومعن بن اوس شبههن بالنخيل  
وبالسفائن . قال :

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

(٣) بلوغ الارب ج ٢ ص ٣٧٣ ، نهاية الارب ج ١ ص ٩٥ .

(٤) قيس بن الحدادية - الاغانى ج ١٣ ص ٦ .

(٥) الحادرة - ديوانه ص ١٤ .

(٦) عنتره - ديوانه ص ٦٦ .

(٧) اوس بن حجر - ديوانه ص ٢٩ ، عنتره ديوانه ص ٦٥ ،

النابعة ، ديوانه ص ٥٣ .

(٨) الفضليات ج ٢ ص ٩١ .

(٩) الفضليات ج ٢ ص ٨٨ بخت - جمال طوال الاعناق .

عراضات - عريضات - الابهار - الظهور - الشؤون - مجارى الدمع .

(١٠) ديوانه ص ١١٧ .

بعينك راحوا والحدوج كأنها سفائن أو نخل مذلة عم (١)  
كما وصفوا جمالهن حين الطعن وذكروا حليهن لان النساء عادة  
يتجملن حين السفر لانهن يظهرن للعيون • قال المثقب العبدى :-  
وهن على الرجائز واكنات قوائل كل اشجع مستكين  
كفرلان خذلن بذات ضال تنوش الدانيات من الغصون  
ظهرن بكلكة وسدلن اخرى وثقبن الوصاوص للعيون  
وهن على الظلام مطلبات طويلات الذوائب والقرون  
أرين محاسنا وكنن اخرى من الاجياد والبشر المصون  
ومن ذهب يلوح على تريب

كلون العجاج ليس بندى غضون (٢)

وشعراء البوادي أكثر تفننا في وصف الرحيل وآثاره في نفوسهم  
لانه من مقومات حياتهم •

ولشدة تعلق الحبيبات بالمحبين كانت توافد عليهم منهن أطيايف خيالات  
اتناء نومهم فتوقظهم ، فمنهم من تتركهم الاحلام ساهرين يعاتون طول  
الليالى وشدة الآلام التي تجلبها لهم ولهذا كانت خيالات الحبيبات بالنسبة  
لهؤلاء هما وفقا لانها تذكرهم بالحبيبات وهم يريدون أن يتناسوها كما  
قال طرفة :

فقل لخيال الحنظلية ينقلب اليها فاني واصل جبل من وصل (٣)  
أو لأن الخيال زور يذكر المحب بالواقع المر كما قال المرفش الاصغر :

(١) ديوانه ص ٣ •

(٢) المفضليات ج ٢ ص ٨٨ • شعراء النصرانية ص ٤٠٦ •  
الرجائز - مراكب النساء ، واكنات - جالسات • الاشجع - الطويل خذلن -  
نفرن من القطيع • ذات ضال - موضع ، تنوش - تتناول • الوصاوص -  
البراقع • وهن الخ - مطلوبات على ظلمهن الرجال • الرتيب - الصدر •  
الغصون - التخديدات •

(٣) ديوانه ص ٨٨ • أول من ذكر طيف الخيال في الشعر عمر بن  
قمته وأول من طرده طرفة • « تزيين الاسواق ص ٤٩ » •

ولكنه زور يوقظ نائما ويحدث اشجانا بقلبك تجرح (١)

وهذا مسلك عامة الشعراء بالنسبة لطيف خيال الحبيبة الا ان طائفة منهم رأوا فيه بعض الحبيبة ، وشعروا بانه يخفف عليهم احزانهم ، فحاول هؤلاء تصوير الطيف وكأنه شيء واقعي محسوس أو قريب منه . وهذا نوع من الحداع النفسى وهو يستدعى الراحة للنفوس القلقة ومن هذه الطائفة : عترة وسويد بن ابى كاهل . اذ قال :

ارق العين خيال لم يدع      من سليمى ففؤادى منتزع  
حل اهلى حيث لا أطلبها      جانب الحصن وحلت بالفرع  
وكذاك الحب ما اشجعه      يركب الهول وبعضى من وزع  
لا ألقبها وقلبى عندها      غير الممام اذا الطرف هجع (٢)

فهو يوهم نفسه بأن حب المحبوبة هو الذى دفعها الى تجشم الصعاب وقطع المسافات لاجل أن تزوره . وبمثل هذا كثيرا ما صرح عترة . ومنه قوله :-

وان طيف الخيال ياعبل يشفى      ويداوى به فؤادى الكئيب (٣)  
ومن الشعراء طائفة اتجهت الى وصف قدرة الطيف على قطع المسافات واظهروا اعجابهم بذلك (٤) .

واهتمام الشعراء بطيف الخيال دليل على مكانة المحبوبة فى نفوسهم

- 
- (١) المفضليات ج ٢ ص ٤٢ ، شعراء النصرانية ص ٣٢٨ .  
(٢) المفضليات ج ١ ص ١٩٣ ، شعراء النصرانية ص ٤٢٩ .  
الحصن - حصن الحضر فى بادية كربلاء . الفرع - مكان بين الكوفة والبصرة .  
(٣) ديوانه ص ٢٦ وتلاحظ ص ٥٣ .  
(٤) طرفة : ديوانه ص ٤٦ ، ١١٧ . خفاف بن ندبة : معجم البلدان ج ٣ ص ١٢٢ ، المرقش الاكبر : المفضليات ج ٢ ص ٥٥ .

فالحيايات كانت نوقظهم من نومهم ، وهى ظاهرة لا تحدث الا فى الامور الهامة  
ذات الاثر البليغ فى النفس .

والاحلام فى ضوء العلم الحديث لها قيمة كبيرة فى الدلالة على المشاكل  
النفسية والامور العقلية وهى دليل عند بعض العلماء النفسانيين على رقى  
الشعب الذى تكثر فيه (١) .

#### ٦ - صور قصصية :

والشعر الجاهلى غنائى ، كما هو مفهوم ، بجملته الا أن فيه لمحات  
قصصية ، وهى أقرب الى الواقع منها الى الاساليب الخيالية التى كانت عند  
الامم الاخرى اذ لا يجول الجاهلى فيها فى آفاق خياله بعيدة مثل شعراء  
القصص عند اليونان أو الفرس مثلا ، كما ليس فيها من التفنن الصناعى  
والخلقى شىء ملموس ذلك لان الشعر القصصى لم ينبت على الوجه الصحيح  
فى البيئة العربية الجاهلية ، وهذا أمر مسلم به بالنسبة لما وصلت اليه  
الدراسات حتى اليوم .

وأهم ما فى قصص هذا الشعر الجاهلى هو الذى يدور حول المرأة  
اذ كان للشعراء مع محبوباتهم قصص ، حرصوا على تخليدها فى أشعارهم  
اعلاء لشأنهن واطهارا لمكاتبهن من نفوسهم وأهم خصائص هذا القصص  
الحوار ، وبعض الاخبار المتسلسلة القريبة جدا من الواقع الملموس والقليلة  
الماظر والالوان ، الامر الذى ترجع عناصره الى البيئة الجاهلية الفقيرة بالنسبة  
لاختلاف الالوان وتباين الصور . لكن الذى يميز هذا القصص عن الشعر  
الغزلى فى الجاهلية هو ما فيه من غزل مكشوف ويرجح ان يكون هذا مكسبا

---

Ellis: Dudies in the Psychology of Sex P. 300. (١)

Blunt: The Seven Golden Odes P. 13 - 14

Bevan: Woman in Islam P. 6

من غير العرب لانه يخالف الى حد ما ما في الشعر الجاهلى عامة من تقاليد  
وآداب متوارثة .

ويجوز أن نعتبر الاعشى ، وامرء القيس ، وسحيم ، والمنخل ، وطرفة  
أكثر هؤلاء الشعراء اهتماما بهذه التى سميناها بالمحيات القصصية . فقد  
جاء فى معلقة امرئ القيس ذكر لايام كانت قد مرت به ، ذكرها وبين  
ما حدث له فيها . من ذلك قوله :

وبضعة خدر لا يرام خباؤها      تستعت من لهو بها غير معجل (١)

ثم وصف زيارته لهذه الحبيبة وكيف جازف فى مجاوزة الحراس  
والاقوام من حولها تحت جناح الليل الدامس حتى دخل عليها خباها وهى  
نائمة وخرج بها فى ثياب نومها الطويلة الحريرية والى آخر القصة فتعرض  
لوصف هذه الحبيبة وتصوير جسدها الناعم وفرعها الطويل الفاحم  
المسترسل . وكان عرضه لهذه الصورة مما يغرى الشباب ، فيزين لهم  
مثل هذه الزيارات فى الليل حيث تستفيق بلابل الحب فى نفوسهم ، وتنشط  
أشواق المحبين ، وتغشى فيه سنة الكرى عيون الرقباء . كل هذا جعل  
الشعراء من بعده يحتذون امرئ القيس فى قصصهم . وامرؤ القيس كثير  
المرح والمداعبة لمحبوبته متفنن فى استمالتها يقدم لها الطعام فى الاسفار  
والرحلات وهو كثير الحركة يطبخ ويشوى ومرة يدخل عليها خدرها وهى  
راكبه ، ويعقر البعير ، وهو الماهر بأسباب اللهو والملاطفة ، ومسلكه مسلك  
أبناء الاشراف والنبلاء العابثين كما أنه كثير المخاطرة صبور على تحمل  
الصعاب فى سبيل حبه . ومن قصصه الغرامية قوله :

ومثلك بيضاء العوارض طفلة      لعوب تنسينى اذا قمت سربالى  
لطيفة طى الكشخ غير مفاضة      اذا انفتلت مرتجة غير متفال

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال  
فقلت سباك الله انك فاضحي ألت ترى السمار والناس أحوالى  
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى  
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال  
فلما تنازعنا الحديث وأسبحت هصرت بغصن ذى شماريخ ميال  
وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورُضت فذلت صعبة أى اذلال (١)  
أما الاعشى فقد برع فى القصص خاصة فى قصيدته :

أوصلت صرم الجبل من سلمى لطول جنبها (٢)

فوصف فى هذه القصيدة زيارته لمحبوته على نحو ما عرضه امرؤ القيس ولكنه أضاف للقصة شخصية جديدة هى شخصية الرسول الذى وفق لهذه المهمة الدقيقة فبعثه إليها • ومن صفاته أنه كان فطنا متقنا لما تتطلبه مهام الرسالة، وكان صنعا بالحديث وأساليبه اذ عرف كيف يستدرجها فى الحديث وكيف يصل بها الى الغرض الذى جاء من أجله فنجح فى أداء رسالته لانه استطاع أن يأخذ منها موعدا • وبهذا يبدو لنا أن الاعشى أول من اختار الرسول اللبى الماهر فى شعره الغرامى ، وقد أوصى هذا الرسول باللين والحذر فى مكالمة الحبيبة لئلا تنفر منه اذ كان الاعشى مرهف الحس حسن القيادة للحبيبة فقال أنه يستطيع أن يقودها الى ما يريد ، كما يقود الربان السفينة ثم استمر الاعشى فى القصة فذكر زيارته بعد ما نام الرقيب وتستمر هذه القصة كما فى قصة امرئ القيس • وللاعشى قصيدة رقيقة فى زيارته لحبيته تعرض فيها لوصف أشواقه وما خلقه الحب فى نفسه من الجرأة الفائقة وعدم الاكتراث فى التضحية من أجل الوصول إليها • ويصح أن تعتبر هذا القصص بادرة

---

(١) ديوانه ص ١٤٠ « شرح السندوبى » • متفال - كريهة  
الرائحة • وتراجع القصيدة فى ص ١١٢ •  
(٢) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٣٩ •

أولى للقصص في الأدب العربي احتذاه الشعراء الإسلاميون فيما بعد ، خاصة  
عمر بن أبي ربيعة • ويظهر تأثر عمر بقصص الاعشى الذي منه :

فبعثت جنيا لنا	يأتي برجع جوابها
فمشى ولم يخش الأني	س فزارها وخلا بها
فتنازعا سر الحديد	ت فأنكرت فنزا بها
عضب السان متقن	فطن لما يعنى بها
صنع بلين حديثها	فدنت عرى أسبابها
قالت قضيت قضية	عدلا لنا يرضى بها
فأزادها كيف الدخو	ل وكيف ما يؤتى بها
في قبة حمراء زي	نها ابتلاق طبابها
ودنا تسمعه الى	ما قال اذ أوصى بها
ان الفتاة صغيرة	غر ، فلا يسدى بها <sup>(١)</sup>

ومن شعراء القصص الغرامي سحيم عبد بنى الحسحاس الذي شبب  
بعميره بنت سيده أبي سعيد • ومما قال فيها :

وبتنا وسادانا الى علجانة	وحقف تهاداه الرياح تهاديا
وهبت شمالا آخر الليل قرة	ولا ثوب الا بردها وردائيا
توسدني كفا وتثنى بمعصم	على وتحوى رجلها من وراثيا
فما زال بردى طيبا من ردائها	الى الحول حتى أنهج البرد باليا

(١) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٣٩ وتلاحظ القصيدةتان ٢٣ ،  
٥١ • صنع - رقيق • كيف ما يؤتى بها - كيف الاتيان لها • الطباب -  
السير يوضع على آخر فيخرز • ان الفتاة الخ • أوصى الرسول ان  
يرفق بها •

وأشهد عند الله ان قد رأيتها وعشرين منها اصعبا من وراثيا (١)  
 ويظهر من وصف المحبوبة الذي سلف مبلغ الحرية وحدود الحشمة  
 عند طائفة من الجاهليين وكيف كان الوصف المادى هو الغالب على هذه  
 القصص . وان كان في ماديته لا يبلغ ما ذهب اليه بعض المحدثين كزولا  
 وتولستوى . والنساء عموما كان ينظر اليهن على أنهن يتمتعن بشخصية قائمة  
 بذاتها لها كيانها الخاص وهذا ينسجم مع ما نشاهده من أساليب اللطف  
 واللين التى استخدمها الشعراء فى قصصهم وأحاديثهم (٢) ولهذا فقد  
 توجهوا بالأراء السامية للمرأة ، وخطبوها بالمكارم والفضائل ، كما ظهروا  
 أمامهن بالمظاهر الراقية وصورا أنفسهم لهن متجلين بالمكارم يقول الحادرة :  
 أسمى ويحك هل سمعت بغدرة      رفع اللواء بها لنا فى مجمع  
 انا نعف فلا نريب حليفنا      ونكف شح نفوسنا فى المطمع  
 ونقى بآمن مالنا أحسابنا      ونجر فى الهيجا الرماح وندع (٣)

فلمرأة تستجيب عن طريق العاصفة أسرع من الرجل فهى تخضع  
 للمؤثرات الخارجية رغم ارادتها (٤) . والفناة الشابة على الخصوص تضعف  
 سطرته على أعصابها فلا تتمالك نفسها من الاستجابة فكيف بها وهى تحب  
 أيضا . فهى لا شك تتأثر بما يوجه اليها من الاعمال والمفاخر وخاصة  
 من مهرة الشعراء المحبين فليس بغريب اذن أن يكون كثير من هذا القصص  
 حقيقى واقعى خاصة وان ما فيه غير بعيد عن هذا الواقع .

- (١) سحيم : ديوانه ص ١٩ ، طبقات الشعراء لابن سلام ص ٧١ ،  
 الاغانى ج ٢٠ ص ٥ ، اخبار النساء لابن قيم الجوزية ص ٤٣ . علجانة -  
 شجرة معروفة تنبت فى الرمل ، الحقف - الكثيب من الرمل . تهاداه  
 الرياح - تنقله الرياح . قرة - باردة . انهج - بلى .  
 (٢) الاعشى - ديوانه : القصيدتان رقم ٢١ ، ٧٨ .  
 (٣) الحادرة - المفضليات ج ١ ص ١١ .  
 (٤)

## الفصل الثالث

### الزوجة في الشعر الجاهلي

١ - مكان الزوجة في الشعر الجاهلي :

وكان حظ الزوجة من الشعر الجاهلي يلي حظ الحبيبة . فتكاد الصورة التي يصورها لها في الاسرة تكون صورة تامة واضحة ، اذ تظهر فيها الروابط المتينة بينها وبين زوجها ، بما في ذلك من تبادل للافكار وتماسح روحي . نعم فقد أظهرها الشعر وهي حريصة أشد الحرص على صيانة بيتها ، وراحة زوجها ، وسلامته ، وحفظ ماله . كما أظهرها تهتم بالمحافظة على زوجها ، ورعاية حقوقه . وكان الزوج يصغى اليها بعناية فائقة ، فيسمع آراءها ، ويحاول أن يقنعها بسلامة فكره ، وصحة تصرفاته . وقد يستخدم الحسونة اذا رأى ضرورة لذلك . وصورها الشعر وهي تلوم وتلحف في اللوم ، وفي العتاب ، وهو يصغى للومها ، وقد يعمل بما تشير به عليه ، وقد يضيق باللوم ، فيقلق ويضجر حتى يحقن عليها كما أنه قد يناقشها الرأي مناقشة دقيقة . كل ذلك قد شغل قسما كبيرا من الشعر الجاهلي ، خصصه الشاعر الجاهلي من أجل الزوجة . واذا استعرضنا هذا القدر من الشعر وجدناه يدل دلالة واضحة على قيمة المرأة العالية في نفس زوجها ، وقيمة الرجل في نفس زوجه ، وهذا مما يدل على أن العلاقة بين الزوجين كانت قوية محكمة الربط ، وانه من الثابت أن المرأة اذ كانت زوجة كانت تتمتع بمنزلة ممتازة عند الشعوب السامية الاخرى المجاورة لجزيرة العرب ، كالمصريين والبابليين والآشوريين ، بخلاف ما كانت عليه عند الرومان

واليونان (١) •

والشعر الجاهلي اذ يصور الحياة تصويرا طبيعيا بعيدا عن التكلف نجد فيه عناية فائقة بالمرأة ، وهذا أمر له دلالة ، ففتتح القصائد باسمها ، وتوجه الآراء لها ، ويسعى الشاعر لاسترضائها وحملها على أن تشاركه في الرأي • كل هذا دليل على رقي منزلتها في الاسرة وفي البيئة الاجتماعية • وتختلف منزلة الزوجة ، بالطبع ، باختلاف الطبقات فهي عند الطبقات العامة تقوم بأعمال كثيرة ، وتمتع بقوة بدنية تساعد على أداء واجباتها ، وفي البيئات الراقية كانت أحسن حالا وأنعم بالا ، وبهذا يصورها الشعر الذي كرسه الشعراء من أجلها ، على أن منزلتها في الاسرة أيضا توقف كثيرا على مبلغ جاذبيتها ، وحسن تصرفها • فالزوجة في شعر الصعاليك غيرها في شعر الامراء وأبناء البيوتات ، وهي تختلف في شعر شاعر منهم عنها في شعر شاعر آخر ، فعروة بن الورد مثلا وهو أحد الصعاليك كان عطوفا ، مجبا لزوجته ، وهذا يظهر من أسلوب مخاطبته لها • يقول :

ذريني ونفسي أم حسان انني بها قبل أن لا أملك البيع مشتري  
أحاديث تبقى والفتى غير خالد وان هو أمسى هامة فوق صير (٢)

أما تأبط شرا فالنساء ما كانت ترغب فيه (٣) لمغالاته في الحشونة في حياته ومعيشته (٤) • وكان الشنفرى يخشن في معاملته لزوجته ، (٥)

---

La Tourneau : La Condition de la Femme P. (١)  
342., Rosler La Question Feministe, P 137.

(٢) عروة - ديوانه ص ٣١ • صير - حجارة توضع على القير •

(٣) الاغانى - ج ٨ ص ٢١٠-٢١٨

(٤) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة ج ١ ص ١٤٢ •

(٥) الشنفرى - عيون الاخبار ج ١٠ ص ٨٠ •

وهكذا كانت حياته الخاصة خشنة • أما قيس بن الحدادية فكان مثل عروة  
محباً لزوجته وهي تحبه وتخاف عليه الاخطار • وبعض أزواج هؤلاء  
الصعاليك شاركهم في مخاطراتهم ، ودعوتهم الى الغارة وعيرتهم بقعودهم  
بين النساء وتحملهم مذلة الحاجة والفاقة • وكان هذا اللوم يحفزهم على  
الغزو ولم تكن النساء جميعهن بدرجة واحدة في الدعوة الى ركوب المخاطر •  
أما الشعر الذي قيل في الزوجة فيصور النساء كلهن يعجبن بالشجاعة ،  
ويمجدن البطولة • الا أنهن لا يردن أن يبلغ بهما الرجل درجة المخاطرة  
والهلاك ، لان الزوجة تريد أن تستظل بظلال زوجها فستعد به ، كما أنها  
تريده حاميا لها • أما الزوجة عند البدو خاصة فقد صورها الشعر كيف  
كانت مجبولة على تقديس كل من كان للشجاعة قرينا ، وبحماية الجار  
معروفا ، ولمشقات الاسفار محتملا •

## ٢ - وصف الزوجة :

قال عمرو بن كلثوم يصفها :

على آثارنا يبيض حسان      نحاذر أن تقسم أو تهونا  
أخذن على بعولتهن عهدا      اذا لاقوا كئيب معلينا  
الى قوله :

اذا ما رحن يمشين الهونيا      كما اضطربت متون الشارينا  
يقتن جياننا ويقلن لستم      بعولتنا اذا لم تمنعونا (١)

ومنه يظهر كيف انهم لم يجدوا حرجا من ذكر زوجاتهم ووصف محاسنهن  
خاصة في ساعة الغيرة عليهن والحرص في العناية بشأنهن • فكأنه قال انهن  
ذوات جمال بارع وحسن خلاب ، ولهذا فان الدفاع عنهن لا بد أن يكون

---

(١) معلقته • القصائد العشر للتبريزي ص ٢٤٦ - ٢٤٨ •

بالمهيج والارواح • وكيف لا يكن كذلك والقلوب بين أيديهن ، والموقمة كثيرا ماتدور تحت أنظارهن ، وفضلا عن ذلك فهن لاخلصهن وثقهن بشرف أزواجهن قد أخذن عليهم عهدا بأن يدافعوا عنهن ويستبسلوا من أجلهن ، وقد أثرن في نفوسهم الغيرة والنخوة •

ومن الصفات الخلقية الكريمة للزوجة الجاهلية التي أكثر الشعراء من ترديدها ، حفظها سر زوجها في غيابه واخلصها وتعلقها به ، وتمنيها عودته اذا بعد عنها ، قال علقمة :

منعمة لا يستطاع كلامها      على بابها من أن تزار رقيب  
اذا غاب عنها البعل لم تفش سره      وترضى اياك البعل حين يؤب (١)  
كما ذكر الشنفرى الازدى الحنسة والحياء الذي تبديه الزوجة الكريمة  
التي ترضى سيرتها زوجها وجيرانها ، فكانت صورة كريمة للزوجة حقا •  
قال :

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها      اذا ما مشت ولا بذات تلفت  
تحل بمنجاة من اللوم بينها      اذا ما بيوت بالمذلة حلت  
كأن لها في الارض نسيا تقصه      على أمها وان تحدثك تبت  
أميمة لا يخزي ثاها حليلها      اذا ذكر النسوان عفت وجلت  
اذا هو أمسى أب قره عينه      ما أب السعيد لم يسأل أين ظلت (٢)  
وللحياء الذي تبديه المرأة أثر كبير في الرجال يرفع منزلتهن ويعلى شأنهن (٣) • وكان الجاهلي شديد الحرص والغيرة على عرضه وكثيرا

(١) شعراء النصرانية ص ٥٠٢ - ٥٠٤ •

(٢) الشنفرى الازدى - المفضليات للضبى ج ١ ص ٤٢ • الشعر

والشعراء ص ١٨ الاغانى ج ٢١ ص ١٣٨ •

(٣) Ellis: Studies on the Psychology of Sex P. (٣)

ما كرر في مخاطبة زوجته أنه يرخص المال في سبيل صيانة عرضه  
وحسبه (١) .

وكانت الزوجة اذا خالفت زوجها في الرأي انما تعمل على أداء واجبها  
الاجتماعى فى تقويم ما اعوج منه ولفت نظره الى ما يجمل به أن يعنى به وفى  
أداء الزوجة لهذا الواجب دليل على مقدار الحرية الواسعة التى كانت المرأة  
تمتع بها فى الجاهلية . وقد صور عروة بن الورد كيف أن زوجته كانت  
تعرف طباعه وما يتصف به من صفات سامية وهو يفخر بمعرفتها هذه .  
قال :-

وقد علمت سليمى أن رأبى ورأى البخل مختلف شتيت  
وانى لا يرينى البخل رأى سواء ان عطشت وان رويت  
وانى حين تشتجر العوالى حوالى اللب ذو رأى زميت (٢)  
ويستمر فى هذه القصيدة بذكر فضائله وأخلاقه . وبهمه كثيرا ان تعرف  
زوجته ذلك فيه ، لانه يهيمه رضاؤها فرضاء النساء عن ازواجهن كان يوقد  
فى نفوسهم الحزم ، وهم جعلوا من ازواجهم مرايا تريهم صور نفوسهم ،  
وموازين تظهر لهم قيم فضائلهم . وكان رضاهن أكبر سلوة يلجأون اليها  
فى الشدائد . من هذا ان عبد يغوث كان قد أسر فاستخفت به احدى  
النساء عندما رآته ، فقال يرد عليها متسليا عن أسره بتذكره لرضاء زوجته  
عنه . قال :-

وتضحك منى شيخة عبشمية كأن لم ترا قبل أسيرا يمانيا  
وقد علمت عرسى ملكية أننى أنا الليث معدوا عليه وعاديا (٣)

(١) المتلمس - ديوانه - قصيدة رقم ١ .

(٢) عروة بن الورد - ديوانه ص ٤٦ ، شعراء النصرانية ص ٩٠٦ .

(٣) عبد يغوث - شعراء النصرانية ص ٧٩ ، الاغانى ج ١٥ ص

٧٦ ويروى كان لم تجد .

وفى هذا دلالة كبيرة على تأثير الزوجة فى نفس زوجها •

وقد صور كثير من الجاهليين تعلق المرأة بالشباب فى زوجها ، وغنى بذلك خاصة علقمة الفحل<sup>(١)</sup> ، ودريد بن الصمة<sup>(٢)</sup> ، وكعب بن سعيد الغنوى<sup>(٣)</sup> ، والاسود بن يعفر<sup>(٤)</sup> ، وصور الشعر الزوجات وهن محوطات بالعناية الفائقة والحماية والرعاية كل ذلك غير من الأزواج على نسائهم ، وحبا لهن • والغيرة والحب كانا يدفعانهم الى مراقبتهم فاستعان الاشراف على الحماية بالحراس الشداد على البيوت ويكون هذا فى الحواضر والمدن كثيرا • أما فى الصحراء فكانت بساطة البيئة وانكشاف انحاءها وظهورها كلا للعين بسهولة. أمرا سهل مهمة المراقبة • وكانت المراقبة آفة المحبين فقد شكوا من الأزواج الحريصين والرقباء الاشداء • قال الاعشى يصف غيرة أحد الأزواج على زوجته :

لها ملك كان يخشى القراف اذا خالط الظن منه الضميرا  
اذا نزل الحى حل الجحيد ش شقيا غويا مينا غيورا  
يقول لعبيده حنا النجا • وغضا من الطرف عنا وسيرا  
فليس بمرع على صاحب وليس بمانع ان تحورا<sup>(٥)</sup>

(١) علقمة الفحل - الاغانى ج ٧ ص ١٢٨ ، الشعر والشعراء •  
ص ١٠٧ خزانة الادب ج ١ ص ٥٦٥ •

(٢) دريد بن الصمة - الاغانى ج ٩ ص ٢ ، شعراء النصرانية  
ص ٧٥٢ •

(٣) كعب بن سعيد - خزانة الادب ج ٣ ص ٦٢١ ، شعراء  
النصرانية ص ٧٤٦ •

(٤) الاسود بن يعفر - ديوانه - القصيدة رقم ١ •

(٥) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٢ • الجحيش - ان تنزل  
ناحية رحبة • النجا - الاسراع • تحور - ترجع •

والاخبار كثيرة عن النابغة الذبياني انه كان مقدما عند ملوك المناذرة ،  
أثرا عند النعمان خاصة • اذ كان من ندمائه وأهل أنسه ، وقد تراءت له  
المتجردة فلما شبب بها في قصيدته التي منها :  
سقط التصنيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد  
نذر الملك دمه ، واضطر الى الهروب الى ملوك غسان في الشام لما كانت  
بينهم وبين المناذرة من خصومة ومنافسة • ومن هناك ارسل اعتذاراته الرقيقة  
النادرة (١) •

وهكذا كان الرجال شديدي التعلق بأزواجهم يقصدونهم  
ويتعشقونهم • ولتقديسهن أثر في حياة الشعراء ، فجعلها حياة غنية نبيلة  
معا حتى ان الذين اشتغلوا بدراسة الحضارة الاوروبية أوضحوا أنهم لم  
يجدوا مثل هذا الحب والاحترام للزوجة أساسا في حضاراتهم القديمة ،  
يونانية أو لاتينية ، سواء في عصورها الذهبية أو الفضية (٢) • ورأوا أن هذا  
الحب والتقديس للزوجة انما نشأ في بلاد العرب ، فحمله رجالهم الفاتحون  
هدية الى أسبانيا في ركاب الدعوة الاسلامية الكريمة ، وهو فضيلة من  
فضائلهم الجملة على الحضارة والانسانية (٣) •

وقال جوستاف لوبون تعليقا على حب العربي لزوجته وغيرته عليها  
« ويندر أن نجد في الشرق رجلا يتملق زوجة رجل آخر ، فلا تجد هناك  
كما قال : الدكتور ( ايزانبرت ) مثل ما يكدر صفو الحياة الزوجية في  
أوروبا من الحيانة التي هي أشد ايلاما ، وأعظم فسادا مما يجز اليه تعدد

---

(١) الاغانى ج ٩ ص ١٥٧ - ١٦٥ ، اليعقوبي - تاريخه ج ١  
ص ١٧٢ - ١٧٣ •

(٢) تراث الاسلام ج ١ ص ١٥٩-١٦٢ •

(٣) المصدر السابق •

الزوجات • وقال ( مسيو دوأمسيس ) ان المرأة فى الشرق تحترم بنبل فلا يستطيع أحد أن يرفع عليها يده فى الطريق • وفى الشرق يشمل البعل زوجته برعاية ، ولا نجد رجلا يقوم على الاستفادة من كسب زوجته •• (١)

وكان رباط الزواج المقدس كبير القيمة فى نظرهم ، لهذا كان تعرضه للتصدع أو لاي لون من ألوان الكدر أمرا تستعظمه نفوسهم الكبيرة • فلم يكن مشهد الزوجة وأطفالها وهم يشكون فقدان المعيل أمرا تستقر له نفوسهم ، أو تسكت عليه نخوتهم ، فلا عجب اذن أن وجدنا مثلا عدى بن زيد يصور للنعمان ، ملك الحيرة ، حالة النساء من أهله ، عندما كان النعمان قد ألقاه فى سجنه • فعدى وهو فى السجن لم يكن ليحتمل أن يترك نساءه فى حاجة الى عونته وتكون جدارات السجن تمنعه أن يمد نهن يد المساعدة • فهذا همه الاكبر وهو فى غيابة السجن • فاذا عجزت يده عن اخراق أسوار هذا السجن لتمتد اليهن فان نشيده الرقيق وتوجهه المر لم يعجزا عن اخراق أسوار السجن ومسمع الملك فيدر كان مستقر نفسه ويحر كان شهامته العربية ونخوته التقليدية • نعم بعد أن صور له عدى نساءه قائلا :

وبيتى مقفر الأرجاء فيه      أرامل قد هلكن من النجيب  
يسادرن الدموع على عدى      كشن خانه خرز الريب  
يحاذرن الوشاة على عدى      وما اقترفوا عليه من الذنوب  
فان أخطأت أو أوهمت أمرا      فقد يهم المصافى بالحبيب (٢)

وقد أفلح فى التأثير ، فى نفس النعمان بهذه الصورة اتى رسمها له وأوضح فيها تصدع الاستقرار فى اسرته وتعرض الود المقدس فيها الى

(١) جوستاف لوبون - حضارة العرب ص ٤٣٤ - ٤٣٥ •

(٢) عدى بن زيد - شعراء النصرانية ص ٤٥٢ ، الاغانى ج ٢

الانشعاب • وأبيات عدى هذه تذكرنا بأبيات الخطيئة التي أرسلها الى عمر  
ابن الخطاب من سجنه •

ومما يلاحظ أن الزوج في الجاهلية كان لا يرضى أن تخرج زوجته  
عن طاعته فإذا حاولت ذلك سعى ليضع حدا له ، اذ لم يكن من المستحسن  
الخصوع لهن دائما<sup>(١)</sup> •

قال الشنفرى الأزدي يخاطب زوجته ويصور حالها اذا ما حادت عما  
رسمه لها من جادة الطاعة والموافقة • قال :-

اذا أصبحت بين جبال قو      وبيضان القرى لم تحذريني  
واما أن تؤدبني وترعى      أماتكم وأما أن تخونني  
اذا ما جئت ما أنهك عنه      ولم أنكر عليك فطلقيني  
فأنت البعل يومئذ فقومي      بسوطك، لا أبالك ، فاضربيني<sup>(٢)</sup>

### ٣ - الزوجة توجه زوجها وتلومه على سوء سلوكه :

١ - حرصها على سلامة الزوج - والشعر الجاهلي صور ملامة الأزواج  
على مخاطرات أزواجهن ، والقائمهم أنفسهم في مواطن الاخطار ، فقد حكى  
كعب بن سعيد الغنوي كيف لامته زوجته على ركوب المخاطر :

لقد أغضبتني أم قيس تلومني      وما لوم مثلي باطلا بجييل  
تقول ألا يا استبق نفسك لا تكن      تساق لغبراء المقام دحول  
أراك امرأ ترمي بنفسك عامدا      مراهي تغتال الرجال بغول<sup>(٣)</sup>

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ج ٣ ص ٥٣ ، ابن الاثير ج ١  
ص ٤٢٠ •

(٢) الشنفرى الأزدي - عيون الاخبار ج ٤ ص ٧٩ - ٨٠ •

قو - اسم واد • بيضان - جبل لبنى سليم بالحجاز • البلدان ج ١ ص ٣٣٧ •

(٣) الاصمعيات ج ١ ص ٦٠ • الدحول البئر الواسعة الجوانب •

ويستمر بعد عرض رأيها يرد عليها بقوله :-

ألم تعلمي ألا يراخي منيتي      قعودي ولا يدني الوفاة رحلي  
مع القدر الموقوف حتى يصيبني      حمامي لو أن النفس غير عجول  
فأنك والموت الذي ترهينه      على وما عدالة بعقول  
كداعي هديل لو يجاب اذا دعا      ولا هو يسلو عن دعاء هديل<sup>(١)</sup>

وفي هذه القصيدة تصوير بارع بروح هادئة مطمئنة لوجهة نظر الزوجين ، فالزوجة ترى في زوجها مخاطرا يرمى بنفسه عامدا في المهالك ، وفي هذا قلة مبالاة ليس فيها خير . والزوج يريد أن يمثل دوره كرجل وكفارس مهيب الجانب ، ويضع لسلوكه أساسا من التفكير السليم ، ألا وهو أنه يؤمن بالقدر ، وأن ما كتب له هو الذي سسيراه في قابل حياته ، وأن سلوكه وعمله سوف لا يغيران مما هو مقدر شيئا . فهو لا يريد أن يطيعها لانه لا يؤمن برأيها . ومثل هذا قول عروة بن الورد متحدنا عن زوجته :

أرى أم حسان الغداة تلومني      تخوفني الاعداء والنفس أخوف  
تقول سليمي لو أقمت لسرنا      ولم تدراني للمقام أطوف  
لعل الذي خوفتنا من أماننا      يصادفه في أهله المتخلف<sup>(٢)</sup>

فهو يشير الى المصادفات والظروف ، ويظهر لها أنه انما يغامر ويخاطر لاجل أن يكسب لها ، فيقيم عندها ويكفيها . واستمر بعد هذا يصور لها صبره وجلده وعدم اهتمامه بالاعداء . كما يصور شدة احساسه ، وأنه يجد من نفسه لنفسه وازعا . وأطرف من هذا قول عنترة في حرب داحس والغبراء يرد فيه على زوجته التي كانت تمنعه عن حمل نفسه على المكروه عند الحرب :

(١) كعب بن سعيده - الاصحبيات ج ١ ص ٦٠ .  
(٢) الاغانى - ج ٢ ص ٩٤ ، شعراء النصرانية ص ٨٩٧ ، أراجيز العرب للبكري ص ١٥ ، ديوانه ٩١ - ٩٢ طبع مصر و ص ٢٦ طبع كوتنكن .

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل  
فأجبتها ان المنيّة منهـل لا بد أن اسقى بكأس المنهـل  
فأقنى حياءك ، لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت ان لم اقتل  
ان المنيّة لو تمثل مثلت مثلى اذا نزلوا بضنك المنزل (١)

ونجد فى شعر أغلب فرسان العرب تصويرا ملامة نسايمهم على ركوبهم  
المخاطر كشعر كعب بن سعيد الغنوى (٢) ودريد بن الصمة (٣)  
وسويد بن أبى كاهل (٤) وذى الاصبع العدوانى (٥) وعروة بن الورد (٦)  
وقيس بن الحطيم (٧) ، وسلامة بن جندل (٨) ، والأغلب العجلي (٩)  
وغيرهم . واذا أرادوا أن يصوروا قوة الارادة وشدة عزيمة الفارس قالوا :  
« ان الحسنة الكاعب لا تتنى عزمه ، اذا صمم على مقارعة الخصوم » (١٠) .

- 
- (١) عنتره - ديوانه ص ٢٠٣ . البحرى الحماسة ص ٣ .  
(٢) كعب بن سعيد الغنوى - خزنة الادب ج ٣ ص ٦٢١ ، شعراء  
النصرانية ص ٧٤٦ .  
(٣) دريد بن الصمة - شعراء النصرانية ص ٧٦٩ - ٧٧٠ .  
(٤) سويد بن أبى كاهل - الاغانى ج ١١ ص ١٧١ .  
(٥) ذو الاصبع العدوانى - الاغانى ج ٣ ص ٢ ، خزنة الادب  
ج ٢ ص ٤٠٨ .  
(٦) عروة بن الورد - ديوانه ص ٢٨ .  
(٧) قيس بن الحطيم - الاغانى ج ٢ ص ١٥٩ .  
(٨) سلامة بن جندل - الشعر والشعراء ص ١٤٧ ، خزنة الادب  
ج ١ ص ٤٩٤ .  
(٩) الأغلب - الاغانى ج ١٨ ص ١٦٤ ، الشعر والشعراء ص ٣٨٩ ،  
الخزنة ج ١ ص ٣٣٣ .  
(١٠) الحطيئة : حماسة البحرى ص ٤١ ويلاحظ قول الربيع بن زياد  
المصدر نفسه ص ٣٨ .

وكثير من الشعراء كانوا فرساناً<sup>(١)</sup> ، وهم انما خاطروا لاجل الكسب ، وهو سلعتهم<sup>(٢)</sup> ، فكانت النساء تخشى على المخاطر منهم الهلاك وتحذر أن تقترن به فقد روى أن تأبط شرا ، الصعلوك المغامر ، خطب امرأة من هذيل فنصحها بعضهم الا توافق . فقال :

وقالوا لها لا تنكحيه فانه لاول نصل أن يلاقى مجعما  
فلم تر من رأى فتىلا وحاذرت تأيمها من لابس الليل أروعا<sup>(٣)</sup>  
واستمر يفخر برجولته واحتماله الصعاب وقلة نومه وصبره على الحشونة حتى قال انه عاشر الوحوش ، وصار يصبح ويمسى معها فألفها وألفته ووصف هذا كله وصفا رائعا مؤثرا وخاصة في نفس المرأة البدوية المعجبة بالفروسية .

والعربيات كن يسمين لتنظيم الناحية المادية من تصرفات أزواجهن ، كما كن يلاحظن الناحية المعنوية من نفوسهم فيهنهن عن المغالاة في المخاطر . وفي الوقت ذاته اذا لمسن منهم خوفا من الحرب أو ميلا للفرار نهينهم ، وشجعنهم على الاقدام . فقد لامت أبا قيس بن الاسلت زوجته على شحوب لونه واكثرائه الزائد اذ كانت الاوس قبيلته قد أمرته في حرب بعثت . فصار يعتذر لها ويصور مشقة الحرب ، كيف أنها توجع الرجال .

قالت ولم تقصد لقول الحنا مهلا فقد أبلغت أسماعي  
استتكرت لونا له شاجبا والحرب غول ذات أوجاع

---

Lane: Arabia Society in the Middle Ages (١)  
P. 207.

(٢) عروة بن الورد - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان

ج ١ ص ١٤٣

(٣) تأبط شرا - الاغانى ج ٨ ص ٢١٠ - ٢١٨ ، الحماسة لابى تمام

ج ١ ص ١٣٥ . قالوا لها : ان مجعما سيقتله بأول نصل ان لقيه . وانها لم تر أن تنصرف عن رجل متيقظ .

من يذق الحرب يجد طعمها مرا وتتركه بجمعجاع (١)  
وبمثل هذا اعتذر أوس بن حجر عن فراره • وكانت النساء تدفع  
بالازواج الى المخاطر ان وجدنها الطريق الوحيد للحصول على المال أو  
الدفاع عن القبلة ، فقد حرصت النمر بن تولب زوجته على المخاطرة ، لانه  
كان في ضائقة مالية ، وكان خاملا مستسلما للحاجة • حيث قال :-

قالت تماضر اذ رأته مالى خوى      وجفا الاقارب فالقواد قريح  
انى رأيتك فى الندى منكسا      وصبا كأنك فى الندى نطيح  
خاطر بنفسك كى تصيب غيمة      ان القعود مع العيال قبيح  
المال فيه مهابة وتجلة      والفقر فيه مذلة وفضوح (٢)

واذا رأته المرأة تخاذلا من زوجها عن قريب أو صاحب ، لامته على  
ذلك كما فعلت زوجة تأبط شرا ، فاعتذر لها عن ذلك (٣) • كما هى تلومه  
على فراره من الحرب ، وكثيرا ما نجده يعتذر اليها كما فعل أزهري بن هلال  
التميمي واعتذر لزوجته عن عدم استمراره فى الحرب قائلا :-

أعدتكم ما وليت حتى تبددت      رجالي وحتى لم أجد متقدما  
وحتى رأيت السورد يدمى لبانه      وقد هزه الأبطال وانتقل الدما  
أعدتكم انى لم ألم فى قتالهم      وقد عض سيفى كبشهم ثم صمما  
أعدتكم ما وليت حتى تبددت      مقارعة الأبطال يرجع مكلمما (٤)

ومن هذا يبدو الاعتذار الجميل والاتزان والتعقل فى مخاطبة النساء •

(١) الاغانى ج ١٥ ص ١٦١ •

(٢) النمر بن تولب - ديوان عروة بن الورد ص ٤٦ ( وينسب الى

عروة ) •

(٣) تأبط شرا - الاغانى ج ١٨ ص ٢١٣ •

(٤) المرأة فى جاهليتها واسلامها - عبدالله عفيفى ج ١ ص ١١٤ •

واقناع الزوجات ، اذ كان الجاهلي حريصا على أن يرضى زوجته عن صحة مسلكه ويطلب منها أن تكشف عن رأيها فيه ، لانه أحسن في نفسه أن لرضاها أثرا بليغا في شخصه حتى أن الذي كان منهم يفارقها بالطلاق لا يرضى أن يفارقها الا اذا أظهرت رضاها عنه ، كل ذلك ليتجنب الدم .

**ب - بقضها عكوف زوجها على اللهو والخمر -** فنجد في شعر المدنيين من الشعراء الجاهلين خاصة تصويرا لملامتها زوجها على لهوه وخمره . ومن هؤلاء الشعراء عدى بن زيد ، الذي كثر ترده على الخيرة ، فقد رد على زوجته بأنه يلهو لان ذلك شأن الحياة فعليه أن يتمتع بها قبل أن يوافيه أجله . ومن هؤلاء الشعراء الاعشى أيضا اذ خاطب زوجته قائلا :

ذريني لك الويلات آي الغوانيا متى كنت زراعا أسواق السواقيا  
ترجى ثراء من سياس ومثلها ومن قبلها ما كنت للمال راجيا  
سأرمي بعيدا ان دنوت من البلى وكل امرىء يوما سيصبح فانيا (١)

ومن أبناء المدينة أبو الذيال الهذلي ، وقد انعكف على اللهو مع كواعبها الخرد وغيدها الحسان يشرب الخمر ويعلل انصرافه للهو بأن الحياة فانية ، وان على الانسان أن يتمتع بلذاتها فالموت منه على قاب قوسين . والظاهر أنه ما كان يؤمن بالحساب . قال :

دع ذا ، ولكن رب عاذلة لو علمت ما أريد لم تعد  
هبت بليلى تلوم في شربي الـ خمر وذكر الكواعب الخرد  
فقلت مهلا فما عليك ان أمـ سيت غويا غيبى ولا رشدى  
انى لمستيقن لئن لم أمت يومى انى اذن رهين غـد  
هل نحنن الا كمن تقدمنا وكل من تم ظمؤه يـرد  
نحنن كمن قد مضى وما أن أرى شحا يزيد الحريص من عدد  
فلا تلومنى على خلقتى واقفى حياء الكريم واقصدى (٢)

(١) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٦٦ .

(٢) أبو الذيال الهذلي - طبقات الشعراء لابن سلام ص ١١٣ .

وهذا لون من التفكير واضح الاسلوب والمنهج • ولا نعدم فى عصرنا هذا أن نجد من ينهج هذا النهج فى تفكيره • ومهما يكن من أمره فانه يصور النمط افكرى الذى كان الجاهليون يخاطبون به زوجاتهم • انه يصور آراءهم وعقائدهم التى كانوا يتوجهون بها لنسائهم وما أظن أحدا لا يطمئن الى القول بأنها أفكار على درجة من الرقى لما فيها من التحرر ، وهى أفكار مادية ملائمة للوثنية ملائمة ظاهرة اذ لا تمتد الى ما وراء حدود المادة ، كما ليس فيها قدر كاف من التأمل • فهى اذن ليست أفكارا بدائية كما أنها ليست أفكارا فلسفية أو نظريات عالية • فهى مجموعة من النظر الحسى مضافة الى شىء قليل من التفكير النظرى •

ماذا كان يدور فى خلد الزوجة عندما كانت تلوم زوجها على تماديه فى لهوه وخمره فيرد عليها بتلك الردود المادية التى هى من سطحى هذه الحياة الملموس ؟ يقول لها : انا كمن تقدمنا صائرون الى الموت كل بعد أن ينهى أمده ، ولا بد من الاستزادة من اللذات وشرب الخمر والتمتع بالنعيم لاننا سنطرح فى حفر من الارض بعيدا عن الناس ، لا يسأل عنا سائل ولا يحفل بأمرنا انسان •

لا ندرى بم كانت تناقش الزوجة هذا الزوج فليس فى شعر الرجال سوى لومهن وعتابهن ، ذكروه على السننهن • اما شعر النساء ، الذى كرسنا له الفصل الاخير من هذا الكتاب ، فلعل فيه بعض التصوير لما كان يدور فى نفوس الأزواج وغيرهن من اللاتيمات ، لكنه يحتاج لايضاحه الى التحليل النفسى ، والاستنتاج ، واخيرا الى ان نقرأ ما بين السطور •

**ج - حرصها على المال والقصد فى انفاقه - ولعل من الطريف ما يذكر من توجيه المرأة لزوجها أنها كانت تحرص على القصد فى انفاق مال زوجها • قال كعب بن زهير يذكر لوم زوجته على بكر نحره وكساء وهبه :-**

ألا بكرت عرسى بديل تلومنى  
وأقرب بأحلام النساء الى الردى  
أمن أجل بكر قطعتنى ملامة  
لعمرى لقد كانت ملامتها ثنا  
ألا لا تلومى ، ويب غيرك عاريا

رأى ثوبه يوما من الدهر واكتسى (١)

والرجال يختلفون فى طبائعهم عن النساء فقال ان زوجته تعيد وتكرر  
لومها ، والاعادة والتكرار هى من أسلحة النساء فى التأثير على الرجال .  
فنجد فى شعر الصعاليك مثلا دعوات كثيرة للكرم الواسع ، ونجدهم  
يظهرون لزوجاتهم جهم للوجود ، وكثيرا ما عللوا لهن ، عن طريق الحس  
والتجربة ، كيف أنهم يقون على أنفسهم سمعتهم الطيبة ويدفعون بذلك  
المذمات . ولعل أحاديث لوم الأزواج أزواجهن فى شعر البدو على كثرة  
انفاقهم واسرافهم كان كثيرا ، كما أن لومهن على المهو والعكوف على الحسر  
كان كثيرا فى شعر أهل الحواضر ، لان الكرم من خلق البدوى ، كما أن  
المخاطرات والحروب من مستلزمات حياتهم ، فى حين أن الخمور والغانيات  
تكثر فى المدن والحواضر أكثر مما هى عند البداءة . فالصعاليك ، وهم بداءة ، كانوا  
محاربين مغامرين بأنفسهم ويتحلون بصفات الفروسية التى منها الكرم لهذا  
نجد ملامات نسائهم على مخاطراتهم وانفاقهم كثيرة فى أشعارهم قال  
تأبط شرا :

بل من لعذالة خذالة أشب حرق باللوم جلدى أى تحراق  
تقول أهلكت مالا لو قنعت به من ثوب صدق ومن بز وأعلاق  
عاذلتى أن بعض اللوم معنفة وهل متاع وان أبقيته باق

(١) كعب بن زهير - ديوانه ص ١٢١ « البستانى » ويب = ويل .

ابى زعيم لئن لم تتركى عدلى أن يسأل الحى عنى أهل آفاق  
لتقرعن على السن من ندم اذا تذكرت يوما بعض اخلاقى (١)

فقد صورها ملحفة فى لومها الى درجة اغاظته ، ولم يطق على لومها  
صبرا ، فهددها بأنها اذا استمرت على ذلك فانه يغيب نفسه عنها فى مجاهل  
الارض بحيث لا يستطيع الوصول اليه أحد . وان كان عالما بمجاهل  
الارض كلها . وقال لها انه لو فعل ذلك لقرعت على ما فعلها سن الندم .  
وهكذا نجد حاتما الطائى يشترك مع الصعاليك فى أكثر صفاتهم ومنها  
كرمه الواسع الذى يزهم فيه ، قال يرد على زوجته :

مهلا نوار أقلى اللوم والعدلا ولا تقولى لشيء فأت ما فعلا  
لا تعذلىنى على مال وصلت به رحما، وخير سبيل المال ماوصلا (٢)

ويصح أن نتخذ حاتما مثلا ساميا للجدود عند العرب . وكان يقول  
لزوجه ان الجود من عادته ولا يستطيع الافلاخ عنه ، فالإنسان معرض  
للموت وهو اذا مات لا ينفعه مال أبقاه ، فى حين أن ما أنفقه فى حياته فى  
سبيل الخير ووجوه البر يحفظ له سمعته . ومن الذين أكثروا من مخاطبة  
أزواجهم وتوجيه مثل هذه الافكار لهم : الاسود بن يعفر (٣) ، والمخبل  
السعدى (٤) ، وليبد (٥) ، وعمرو بن الاهتم (٦) . وكانت

---

(١) تأبط شرا - المفضليات ج ١ ص ٤ .

(٢) حاتم الطائى - شعراء النصرانية ص ١٢٧ - ١٢٨ الاشب =

اللائم او المختلط . اعلاق = جمع علق ، ما كرم من سلاح وثياب .

(٣) الاسود بن يعفر - نفس المصدر ص ٤٧٧ - ٤٨٠ .

(٤) المفضليات - ج ١ ص ٤٦ .

(٥) لببديوانه - القصيدة رقم ٤٦ .

(٦) عمرو بن الاهتم - المفضليات ج ١ ص ٤٩ .

نساؤهم تحسن لهم جمع المال وتصور لهم قيمته، ومنهن من بالغت في ذلك،  
كما قال الشاعر :

وتقولون عاذلتى وليس لها      بغد ولا ما بعده علم  
ان الثراء هو الخلود وان      المرء يكرب يومه العدم (١)

وذكر الشعراء الوقت الذى كانت تلومهم أزواجهم فيه فكان ليلا  
غالبا اذ قال حاتم « وعاذلة هبت بليل تلومنى » (٢) وكما ذكر ذلك عروة  
ابن الورد (٣) ، فيكون بعد هجعة من الليل (٤) . وهذا هو الوقت الذى  
يختلى فيه المرء بزوجه . وقد دلت العادة على أنه الوقت المناسب لمثل هذه  
الاحاديث الخاصة بشؤون الاسرة . ويحصل اللوم فى بكرة الليل كما قال  
كعب بن زهير « ألا بكرت عرسى بليل تلومنى (٥) » وكما قال المثلم بن  
رباح المري « بكر العواذل بالسواد يلمنى (٦) » وهذا هو طرف الليل  
وكما قال ضمرة بن ضمرة النهشلى : « بكرت تلومك بعد وهن فى  
الندى » (٧) والوهن الساعة من الليل . وقد يكون فى الغداة كما قال زهير  
ابن أبى سلمى وهو من آيات وصفه الرائع :

وأبيض فياض يدها غمامة      على معقفيه ما تغب فواضله  
بكرت عليه غدوة فرأيتنه      فعودا لديه بالصريم عواذله

- (١) المفضليات ج ١ ص ٤٦  
(٢) حاتم الطائى - شعراء النصرانية ص ١٢٠ .  
(٣) عروة بن الورد - ديوانه ص ٢٨ .  
(٤) حاتم الطائى - شعراء النصرانية ص ١١٨ .  
(٥) كعب بن زهير - ديوانه ص ١٢١ ( جمع فؤاد فرام البستانى )  
(٦) المثلم بن رباح المري - بلوغ الارب للالوسى ج ١ ص ٦١ .  
(٧) نوادر ابن زيد الانصارى ص ٢ ، اخبار النحويين البصريين  
للسيرافى ص ٥٧ « الكاثوليكية بيروت » .

يدينه طورا وطورا يلمنه وأعيا فما يدريين أين مخالته (١)  
ولم تكن نساء الجاهلية عامة تدعو الى الشح والبخل ، بل كانت بينهن  
الكريمة كأبنة حاتم الطائي • والواقع أنهن كن لا يرضين بالاسراف  
وعدم الاستقامة والتدبير في الانفاق وهذا سالم بن قحطان يخاطب زوجته  
تسائلا :

لا تمذنيني في العطاء ويسرى لكل بعير جاء طالبه جبلا (٢)  
فتجيبه :

حلفت يمينا يا بن قحطان بالذي تكفل بالارزاق في السهل والجبل  
الى قولها :

فاعط ولا تبخل لمن جاء طالبا فعندي لها خطم وقد زاحت العلل (٣)

وكثير ما نجد في الشعر النسائي مفاخرة لهن بالجوود والكرم وقد رثين  
الجواد باكيات جووده وعطاءه • والعرب رجالا ونساء كانوا يقدرون للمال  
قيمه ولكنهم كانوا يرتاحون للندى وللكرم وقضاء الحاجات ، ويكرهون رد  
السائل ومنع الخير عن الجار ، وحرمان الرفيق والصاحب والمعوز والصديق •  
ذلك لان حياتهم الخاصة واحتمال وقوع كل فرد منهم في أي حسين في  
مخالب العوز والحاجة بفعل الطبيعة أو بفعل العدو من الناس ، كل ذلك  
دفعهم الى أن يروا أن الجود خير من الثروة ، والسمعة خير من المال • في  
حين أنهم كانوا أهل تجارة ونقل بضائع ، فهذا عسرة بن الورد يصور  
لزوجه حالة الفقير ، كيف يجفوه الاقارب ، وكيف تسوء حاله فيقول  
مخاطبا :-

---

(١) زهير بن أبي سلمى - شعرا لتصرانية ص ٥٧٩ - ٥٨٠  
ديوانه ص ٣٠ - ٣١ •

(٢) سالم بن قحطان العنبري - بلوغ الارب للالوسي ج ١ ص ٥١-٥٢

(٣) المصدر السابق - حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١ •

دعيني للغنى أسمى فاني رأيت الناس شرهم الفقير  
وأبعدهم وأهونهم عليهم وأن أسمى له حسب وخير  
ويقصيه الندى وتزديده حيلته وبنهره الصغير (١)

وهذا التمازج الروحي الذي وصفناه بين الزوجة وزوجها في مختلف  
الميادين لا يعدم وجود التباين في الرأي ، والاختلاف أحيانا . فقد صور  
الشعراء النقاش والجدل الذي يشور بسبب اختيار النمط الاحسن في  
الانفاس (٢) ، والاقدام ، والسعي . فالمرأة تريد من زوجها أن يسلك  
سبيل الاعتدال وهو ما يريد الرجل ، الا أن وجهات النظر تختلف فيه ،  
وقد يؤدي الاختلاف الى سوء المشورة فتسيء المرأة الى زوجها أو الى أحد  
أفراد أسرته ، خاصة اذا لم تكن قريبة له ، كما حدث أن سبت زوجة  
دريد أخاه فطلقها . ومما قال :

اذا عرس امرىء شمت أخاه فليس فؤاد شائنه بحمض  
معاذ الله أن يشتمن رهطى وان يملكن ابرامى ونقضى (٣)  
وقد تدل على زوجها بفضل أهلها أو كفاية أبنائها فتغيبه بذلك كما  
قال علباء بن أريم :

زعمت تماضر اننى اما أمت يسدد أبنهوها الاصاغر ختى  
تربت يداك وهل رأيت لقومه مثلى على يسرى وحين تملتى (٤)

ومع كل هذا فلا يستطيع الباحث عن موقف المرأة في الشعر الجاهلي

(١) عروة بن الورد - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان

ج ١ ص ١٤٣ ، شعراء النصرانية ص ٨٨٨ .

(٢) حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١٢٠ .

(٣) دريد بن الصمة - المصدر السابق ص ٧٦٠ .

(٤) الاصمعيات - لوليم بن الورد ص ١٨ .

الإبن يلمس العواطف الصادقة عند العربي نحو زوجته ، وهذا ما أنه  
كثير من الباحثين (١) . فكم كان يحسن في ارضائها وملاطفتها . (٢)  
والازواج على ما فيهن من ضعف كن يثرن في نفوس رجالهن صفات ملاكية  
تدفع الى الخير والى الفضيلة (٣) .

#### ٤ - الزوجة في زواجها :-

النكاح والزواج والوطء وغيرها من الالفاظ الكثيرة متعددة اللفظ  
مقارنة المعنى ولعل اللفظ الاول من هذه الالفاظ أدلها على الفعل المادى .  
وخلاف الزواج الزنى أو العهر أو الفجور أو غير ذلك من الالفاظ  
المقاربة المعنى ايضا المتعددة اللفظ كذلك .

والشعر الذى بين أيدينا لا يصور أساليب الزواج المختلفة باختلاف  
العهود والقبائل فى بلاد العرب ، وجل ما فيه انما هو صور من الحياة  
الزوجية عند العرب قبل الاسلام بمدة قصيرة ، قرنين أو ثلاثة أو شىء  
قريب من هذا . فاذا أردنا معرفة انماط الزواج وأساليبه عند الجاهليين  
لأبد لنا من الاستعانة بمصادر اخرى كالأخبار والتاريخ وعلم الاجتماع  
والادب عموما .

قال ولكن " G. A. Wilken " الزواج عند أجدادنا كان فوضويا  
وغير محدود بشروط فى جميع بلاد المعمورة . أى أنهم كانوا يمارسون  
زواج الاختلاط أو المشاركة " Heterisme " وان الانتقال من هذه

---

Lane: Arabia Society in the Middle Ages (١)  
P. 207.

(٢) زهير بن أبى سلمى - ديوانه ص ٨٩ .

(٣) Ellis: Studies on the Psychology of Sex P. (٣)  
320 - 321.

الحالة الى الزواج الفردى حيث أصبحت الزوجة تخص زوجها معنا نقض للعادة القديمة<sup>(١)</sup> وقد تم في مدة طويلة .

ان الاخبار التى تتعرض لمسألة الزواج متشعبة ومضطربة اذا فهمت على انها تصور نمطا واحدا من الزواج شاع عند الجاهليين فى مختلف أزمانهم وديارهم وقبائلهم ومنازلهم الاجتماعية . ولكن هذا الاضطراب والتشعب سيزولان عن هذه الاخبار لو فهمنا ان أساليب الزواج كانت مختلفة وصوره متعددة ، وانه تطور بتقدم الظروف الاجتماعية وتبعاً لهذه الظروف والبيئات والأحوال الأخرى الاقتصادية وسياسية وطبيعية والنخ . . لا بد أن تدرس اخبار الجاهليين ايضا على ضوء الابحاث العلمية الحديثة . فقد حاول الكثيرون مثلا تصويرها بلون قاتم ، كما ذكرنا فى تمهيد هذا الكتاب ، فقالوا مثلا : انه لم يكن عند العرب قاعدة يتبعونها فى الزواج ، وان الاولاد كانوا يتزوجون الامهات فينسبون لونا من ألوان الزواج الذى عرف عند العرب أو عند طائفة منهم الى العصور والقبائل والطبقات كافة . وبهذا كانت رواية الاخبار بأسلوب يزيد الامر غموضا بدل أن يكون كاشفا للحقائق ، مقرررا للوقائع وبالاسلوب الذى وقعت فيه . ان الزواج بالامهات ليس لدينا دليل من الشعر على وجوده لا بل عندنا روايات تنفى وجوده فتعارض الروايات السابقة . قال محمد بن حبيب :- « وكانت العرب لا تنكح البنات ولا الامهات ولا الحلات ولا العمات » (٢) .

قال سمث "Smith" كان الزواج لدى الجاهليين على ثلاثة أنواع : زواج يكون بين أفراد القبيلة الواحدة ، فلا يتعدى حدودها . أى أن رجال القبيلة الواحدة لا يسمح لهم بالزواج من قبيلة اخرى ، ولا يسمح لبنات

(١) الامومة عند العرب : لـ « ولكن » ص ٣

(٢) المحبر لمحمد بن حبيب ص ٣٢٥ .

القبيلة الا أن يتزوجن من أبناء قبيلتهن • ويسمى بالزواج الالزامى من القبيلة "Endogamous" وزواج يفرض على الرجل فيه أن يتزوج من قبيلة اخرى وهو الزواج الالزامى من خارج القبيلة "Exogamous" وزواج ثالث يسمح فيه بجمع الطريقتين (١) •

وقد ذكرت الاخبار عددا من أنواع النكاح منها : زواج الحدن وهو اتخاذ الرجل امرأة تكون خليلة له (٢) ويسمى « زواج الخليلة » أو « زواج الصديقة » وفيه يقدم الرجل ما يسمى بالصداق ويعتقد جولدزيهر "Goldziher" ان الصديقة كانت في الغالب زوجة رجل آخر وليس لنا دليل من الشعر عليه • كما قد تتخذ المرأة خليلا لها (٣) • وهذا ايضا لم نجد له آثارا واضحة من الشعر الا مثل قول أبي ذؤيب الهذلي :-

فان تعرضي عني وان تبدلي خليلا ومنهم صالح وسميح (٤)

وزواج « البدل » وفيه يتنازل الرجلان كل للاخر عن زوجته • ويجوز أن يتخذ البيت السابق شاهدا عليه • ويحصل هذا بأن يقول الاول للاخر : « انزل لى عن امرأتك انزل لك عن امرأتى » (٥) • ومنها زواج « المتعة » وهو النكاح الذى يحدد أمدته منذ البداية ، وهو النكاح الموقت • ومنها نكاح « الشغار » وهو النكاح الذى يكون المهر فيه نكاح آخر يقابله من غير مهر من المال ، فيزوج الرجل من تحت ولايته من النساء الى آخر ، مقابل أن يتزوج هو امرأة تحت ولاية ذلك الرجل الاخر ، فلا يكون الشغار الا أن تنكحه وليتك على أن ينكحك وليته (٦) • وهو معروف

---

Smith : Kinship & Marriage etc., P 60 (١)

(٢) سورة المائدة ، الآية ٥ •

(٣) سورة النساء الآية ٢٥ •

(٤) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ص ١٧ •

(٥) اللوسى : بلوغ الارب ج ٢ ص ٥ •

(٦) لسان العرب ، تاج العروس • نهاية الارب ج ٢ ص ٢٤٥ •

لدى بعض الناس مع ورود النهى عنه (١) ويسمى فى العراق « زواج جين بجين » ومن أنواع الزواج عندهم نكاح « المقت » وهو أن يخلف على المرأة الابن الأكبر لزوجها (٢) وقد أشار إليه اوس بن حجر فى قوله :  
والفارسية فيكم غير منكورة فكلكم لآبيه ضيزن سلف (٣)  
والضيزن من يخلف على امرأة أبيه عندهم (٤) وكان الجاهليون يقبحون هذا النكاح (٥) والولد الذى يولد منه يسمى « مقتى أو مقيت » هذا الى أن الجاهليين حرّموا على أنفسهم بعض النساء فجاء الاسلام وأقر هذا التحريم (٦) .

ومن أنواع الزواج التى عرفت عند العرب زواج الرهط ، أو تعدد الأزواج "Polyandry" وفيه يجتمع رهط دون العشرة عادة فيطوون امرأة على اتفاق فيما بينهم ، فان ولدت جمعتهم ونسبت المولود الذكر الى أحدهم ، كما شاءت ، وعليه ان لا يرفض ، وان كان المولود اثنى فانها لا تعمل هذه المراسيم (٧) ويغلب على الظن ان هذا النوع من الزواج من

- 
- (١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٣٩ .  
 (٢) الاغانى ج ١ ص ٩ .  
 (٣) محمد بن حبيب : المحبر ص ٣٢٥ ، الملل والنحل للشهرستانى ج ٣ ص ٣١٧ - ٣٢٠ .  
 (٤) ابن منظور - لسان العرب ج ١٧ ص ١٢٢ .  
 (٥) الشهرستانى : الملل والنحل ج ٣ ص ٣١٧ ، الطبرى : ج ٣ ص ١٩٣ . أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ص ١٨٠ ( طبع اوربا ) .  
 السرخسى : المبسوط ج ٤ ص ١٩٨ . نهاية الارب ج ٤ ص ١٠٨ ، بلوغ الارب ج ٢ ص ٥٢ ، ٥٣ . تاج العروس ج ١ ص ٥٨٥ .  
 (٦) محمد بن حبيب : المحبر ص ٣٢٥ .  
 (٧) ولكن : الامومة عند العرب ص ٢٤ - ٢٥ . بلوغ الارب ج ٢ ص ٤ .

آثار الحياة القديمة عند العرب اذ كان كل شيء عند القبيلة مشاعا لافرادها كافة حتى النساء . وممن أشار الى هذا النوع من الزواج المؤرخ القديم « سترابو » فقد ذكر أن الاخوة كانوا يشتركون في كل شيء فالاخوة جميعا زوجة واحدة مشاعة بينهم فهو تعدد الأزواج من الاخوة "Fraternal Polyandry" والزاني في عرفهم من يعاشر امرأة من قبيلة اخرى وعقوبته الموت (١) . وقد أقر الاسلام الرجم .

أما معكوس زواج الرهط وهو جمع الاختين فأكثر في ذمة زوج واحد فكان معروفًا عندهم (٢) واسكنهم كانوا ينهون عنه (٣) كما نهى الاسلام عنه فيما بعد (٤) . ويسمى هذا الزوج الضيزن أيضا مثل المزوج من زوجة الاب بعد موته .

والنوع الآخر من الزواج هو زواج البعولة وهو الشائع في الجزيرة وقد أقره الاسلام لكنه نظمه ووضع له قيودا ، فاشتراط ان لا يزيد عدد الزوجات على الاربع والزم العدل بينهن . وهو أما زواج من امرأة واحدة وهو الزواج الوجداني "Monogamy" أو من أكثر من واحدة وهو تعدد الزوجات "Polygamy" وطريقته التراضي لقاء مهر أو الاسر ، اذ يملك الأسر الاسيرة بالقوة وله بيعها ، أو التزوج منها ، كما له ردها على اهلها منا أو فداء . أي بدون عوض من مال أو بقبول المال عوضا عنها . واذا

---

(١) وهذا الزواج موجود عند بعض القبائل في أفريقية . ورآه البعض عند العرب انه نتيجة للوآد الذي قلت به البنات . ورجم الزاني كان عند بعض الامم قديما كالعبرانيين .

(٢) الطبرى : تفسيره ج ٤ ص ٢١٧ . روح المعاني ج ٤ ص ٢٦٠ . الشهرستاني : الملل والنحل ج ٣ ص ٣١٧ - ٣١٩ .

(٣) ولكن : الامومة ص ٦٤ ، الشهرستاني : الملل ج ٣ ص ٣١٧

(٤) سورة النساء الآية ٢٣ .

ملك الاسيرة أسرهما فتزوجها ثم ماتت انتقلت الى ملكية ذويه من أبنائه والاقربين، فلمهم ان يخلفوه على زوجته أو يعضلوهما أى يمنونها من الزواج حتى تموت .  
وهذه العادة شاعت أيضا لدى امم كثيرة غير العرب .

والمرأة تخطب من وليها وأهلها وكانت تستشار فى الزواج ويؤخذ رأيها فى قبول الزوج أو رفضه . قال تابت شرا .

وقالوا لها لا تنكحيه فانه لاول نصل يلاقى مجعما (١)

وهذا يدل على حريتها فى اختيار زوجها ، وقد روى عن نساء كثيرات انهن رددن رجالا جاءوا يخطبونهن . فالحنساء ردت دريد بن الصمة على شرفه وسيادته وما استطاع اخوها معاوية ان يحملها على قبوله (٢) وهدى بنت عتبة بن ربيعة ردت سهل بن عمرو وآثرت عليه أبا سفيان ورضيت به ، والزباء بنت علقمة بن حفص الطائى خطبها الحارث بن سليل الاسدى فترددت فى قبوله حتى ائتمتها امها بالزواج منه (٣) وكل هذا من فواعد الزواج المعروفة عندهم .

وتروى الاخبار ان البنت كانت تزف فى السابعة أو الثامنة فى كثير من الاحوال ، اذ كان الابوان يخافان العار اذا ما تركاها بدون زواج بعد ذلك (٤)

---

(١) الاغانى : ج ١٨ ص ٢١٠ ، حماسة أبى تمام ج ١ ص ١٣٥ .  
(٢) الاغانى : ج ١٩ ص ١١ ، الامالى للقالى ج ٢ ص ١٦١ ، الشعر والشعراء ص ١٢٢ ، عيون الاخبار ج ٤ ص ٤٦ ،  
(٣) عفيفى : المرأة فى جاهليتها واسلامها ج ١ ص ٥٢ ويلاحظ :  
الاجانى ج ٩ ص ١٤٢ ، ج ١١ ص ١٠٤ ، الشعر والشعراء ص ٧٢ ، جمهرة الامثال لابن هلال العسكرى ص ٧٠ ، ١٥٤ ١٨٣ ، مجمع الامثال ج ١ ص ١١٠ .

(٤) Lyall : Arabian Poetry, (Introduction) XXXI

والمعروف أن من حق المخطوبة أن تجلس الى جانب خطيبها تجاذبه أطراف الحديث لتفهمه ويفهمها .

وقد عرف عن العرب أنهم كانت لهم مقاصد بعيدة فى الزواج قل ان توجد كلها عند امة من الامم الاخرى . فكان من مقاصدهم التناسل ونجابه الاولاد الاقوياء لا المتعة فحسب ، ومن مقاصدهم : اجتذاب البعداء ، وتأليف الاعداء لما فيه من مواصلة وتمازج . كما قصدوا من الزواج اعمار البيوت والاستعداد للقيام بخدمة الضيوف وتدير المنازل . وكان لذلك نتائج كثيرة فقد أكبروا الزوجة فقالوا : « الزوجة ربحانه وليست بقهرمانه » يشيرون الى المودة اللازمة وطيب العشرة . ولتشوقهم للولد قالوا : « من لا يلد لا ولد » وقالوا : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » . وقد وافق الاسلام على هذه الفكرة اذ يكره شرعا التزوج من عقيم (١) ولحرصهم على الاولاد الاصحاء الاقوياء تلمسوا الزوجة البعيدة ، وتحاشوا القريبة فى كثير من الاحوال وقد أيد علم الوراثة الحديث وجهة نظرهم قال الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة سخافة أن يضوى على سليلي (٢)

وقد قال الرسول الاعظم « تباعدوا لا تضووا » وهذا ليس بغريب عنهم لما كانوا يتمتعون به من دقة الملاحظة والعناية بالانساب . على أن منهم من آثر القريبة لاعتقاده بأنها تكون أصبر على ريب الزمان وأقرب خلقا ، وأسلس قيادا (٣) .

وقد لاحظوا الكفاءة فى الزواج اذ كان زواج المرأة من غير الكفء أمرا يمس الشرف ، ولا يحصل الا بشئ من الاكراه اذ روى عن المهلهل

(١) جعفر بن الحسن الحلبي : المختصر النافع ص ١٧١ .

(٢) الملل والنحل شرح أحمد فهمي ج ٣ ص ٣٢١ .

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ١ ص ١٩٧ .

ابن ربيعة أنه استجار بمذحج بعد انهزامه يوم « تحلاق اللمم » فجاءه بنو ضب فخطبوا اليه ابنته ليشرفوا بمصاهرته ، ولكنه أبى أن يزوجها لهم ، بيد أن مذحجا ساعدت الحاطب حتى اضطر المهلهل الى النزول عند ارادتهم ، وقال يكشف عن تأمله لذلك :

عز على وائل بما لقيت أخت بنى الاكرمين من جشم  
أنكحها فقدها الاراقم في جنب وكان الخباء من آدم  
ليسوا بأكفائنا الكرام ولا يغنون عن عيلة ولا عدم (١)

فمن العناصر التي كانوا يعدونها في الكفاءة التعادل في القوة ، والرغبة في المساعدة ، والثروة والجاه . وقد شاع بينهم المثل القائل : اذا لم تجد للمرأة كفتا فخير زوج لها القبر (٢) . وجرت العادة عندهم في عهد من العهود أن يكون لاهل البنت الحق في أن يشترطوا على الزوج أن ما تلده بتهم يكون لهم ، كما أن للزوج أن يرفض ذلك (٣) ، وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه القاعدة الفقهية ( الولد للفراش وللعاهر الحجر ) أي للفراش الذي يولد فوقه (٤) . وبانتشار الزواج الذي كان للرجل فيه السيادة ضاقت حرية المرأة وأصبحت خاضعة لسيادة الزوج ، وهذا هو السر في حديثه صلى الله عليه وسلم « أوصيكم بالنساء خيرا فانهن عوان » (٥) وظاهرة فقدانهن السيادة هي التي حملت كثيرا من المؤلفين الاوربيين

---

(١) المهلهل - الاغانى ج ٤ ص ١٤٥ ، حرروب بكر  
وتغلب ص ٩١ النوبرى - نهاية الارب ج ٣ ص ٦٧ .

(٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٢٤ .

(٣)

Robertson Smith : Kinship & Marriage P. 79, 128

(٤) الميدانى - مجمع الامثال ج ٢ ص ٣٢٧ . الفراش يستعار لكل

واحد من الزوجين .

(٥) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٢٣ .

والشرفيين على أن يحسبوا أن النساء أصبحن بعد ذلك كالتخاديمات في بلاد العرب (١) .

ولم يبغض العرب الزوجة حقها فكان لها أن تملك (٢) ، ولها سيادة البيت ، وان كان البعض منهم يضربها في الاحوال النادرة قال الاعشى :  
وبيني فان البين خير من العصا      والا تزال فوق رأسك بارقه (٣)  
كما قال الشنفرى الأزدي :

اذا ما جئت ما أنهالك عنه      ولم انكر عليك فطلقيني  
فأنت البعل يومئذ تقومى      بسوطك لا أبا لك ، فاضربيني (٤)

فقد جعل الشنفرى استعمال السوط لضرب الزوجة من أعمال الرجال .  
ويظهر أن بعضهم كان يضربهن ضربا مبرحا حتى جاء الاسلام فنهى عنه :  
الاتد الضرورة على أن لا يكون شديدا .

وبخلاف هذا فان الشاعر كثيرا ما كان ينادى زوجته في شعره باسمها ، ويكرر هذا الاسم ، اذ كان يحلو له سماعه ، وقد يصغره تحببا وحنينا .  
وكثيرا ما ذكرها بما هو من خاصة شأنها ، بأسلوب كرمها فيه ، قال مرة بن محكان التميمي :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة      ضمنى اليك رجال القوم والقربا (٥)  
ومنهم من تلتطف في نداؤها كما قال قيس بن عاصم المنقري يخاطب منقوسه بنت زيد الحليل زوجته :

---

Huart: Histor des Arabes, P. 14 (١)

(٢) حاتم . النصرانية ص ١٢٠ ، ديوانه ص ٨ .

(٣) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ٤١ .

(٤) عيون الاخبار ج ٤ ص ٨٠ .

(٥) المرأة في جاهليتها واسلامها ج ١ ص ٦٦ ، الحماسة ج ٢

ص ٩٩ - ١٠٠ الاغانى ج ٣ ص ١٠٥ .

أيا بنته عبدالله وابنة مالك ويا بنته ذى البردين والفرس الورد (١)  
ومنزلة الزوجة فى بيت زوجها تتوقف ، الى حد كبير ، على منزلة  
أهلها وقوتهم بين القبائل ، كما تعتمد على شخصيتها هى ومقدار جاذبيتها •  
والقبائل ما كانت ترغب فى زواج بناتها من أفراد القبائل البعيدة ، لأنها  
تفقد شيئا كبيرا أو قليلا من نفوذها ، فلا يتسنى لها بسط الحماية الكافية  
عليهن • على أنهم عموما كانوا يقدرون للزوجة قدرها ، لهذا نجد طائفة  
كبيرة من الشعراء يتوجهون إليها بذكر مفاخرهم ، وجليل أعمالهم ،  
ويستلهمونها الشجاعة والنخوة ويستبسلون من أجلها ومن أجل الدفاع عنها ،  
كما استلهموها الشعر • واستمعوا لدعواتها وخفوا لاجابة مطالبها والذود  
عنها •

وكان الزوج يشاور زوجته فى الامور البيتية والشؤون العائلية ويقدر  
لها رأيها ويستجيب لرغباتها عندما لا يجد فيها ضررا فادحا فقد أطاع أوس  
بن حارثة زوجته ، وأجاب الحارث بن عوف فى خطبته بعد أن كان قد رفض  
أن يزوجه من احدى بناته (٢) كما نجد الخطيئة يقعد عن السفر بعد أن صمم  
عليه اطاعة لزوج (٣) •

وقد روى عن كثير من الأزواج أنهم أجزن الهاربين وتوسطن فى  
فك الأسرى فقد أجات ربيعة بنت جذل الطعان دريد بن الصمة حين أسرته  
كنانة (٤) وأجات زينب بنت الرسول (ص) زوجها أبا العاص يوم

---

(١) المرأة فى جاهليتها ج ١ ص ٦٦ الحماسة ج ٢ ص ٢٤٤ ، المبرد:  
الكامل ج ١ ص ٣٤٥ •

(٢) الاغانى ج ٩ ص ١٤٢ ويلاحظ مجمع الامثال للميدانى ج ٢  
ص ٢٦٣ •

(٣) الاغانى ج ٢ ص ١٧٧ •

(٤) الامالى ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٣ •

بدر فأطلق ومن الرسول عليه (١) .

بل كانت بعض الزوجات تشارك في الحياة العامة مشاركة جدية فقد حضرت عائكة بنت مرة زوجة عبد مناف حلف الاحابيش (٢) بل فعلت الزوجة أكثر من هذا فقد روى عن بهيسة بنت أوس الطائي انها حملت زوجها الحارث بن عوف على أن يصلح بين عيسر وذبيان ، ففعل ما أرادت ، وتحمل ديات القتلى . وكان ذلك في ليلة زفافها وقبل أن يدخل بها (٣) أما من حيث التملك فكانت الزوجة تملك وتمتع بشخصية مالية مستقلة . قال حاتم الطائي يرد على زوجته عندما لامته على اعطائه المال وطلبت منه أن يمسك عن العطاء خشية أن يصبح معدما :

ذريني ومالي ان مالك وافسر وكل امرىء جار على ما تعودا (٤)

وقد أقر الاسلام هذا الحق لها . وقد سبقت الزوجة العربية اختها الرومانية في اكتسابها الشخصية المالية القانونية فالرومانية لم يكن لها هذا الحق بل كان زوجها هو الذى يقيم عليها وصيا ، ويتصرف بمالها (٥) وهكذا الحال بالنسبة للزوجة الانكليزية فان حقها فى التملك قد شرع لها عام ١٨٨١ م . وكان زوجها قبل هذا التاريخ هو الذى يملك أموالها ويتصرف بها مع انها كانت تقوم بالاعمال التى تكسب عليها اجورا ، أما الزوجة الانكليزية قبل زواجها ، وهى بنت ، فكان أبوها أو وليها هو الذى يستولى على اجورها ومالها فيتصرف به (٦) .

---

(١) الاصابة ج ٨ ص ٩١ .

(٢) اليعقوبى : تاريخه ج ١ ص ٢٠٠ .

(٣) الاغانى ج ٩ ص ١٤٣ .

(٤) ديوانه ص ٨ ، شعراء النصرانية ص ١٢٠ .

(٥) أحمد خاكي : المرأة فى العصور ص ٢٥ - ٣٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٩٤ .

٥ - الزوجة في طلاقها :

الطلاق مصطلح جاهلي قديم ويراد به تنازل الرجل عن حقوقه التي على الزوجة كافة<sup>(١)</sup> ومن أنواعه التي عرفها الجاهليون : الظهار وهو قول أحدهم « أنت على كظهر امي » وقد نهى عنه الاسلام<sup>(٢)</sup> واوجب الكفارة على مرتكبه<sup>(٣)</sup> ومن أنواعه الايلاء ، وهو تحديد أجل يتدى عنده الطلاق<sup>(٤)</sup> وهو طلاق مؤجل في الاسلام<sup>(٥)</sup> ثم طلاق الخلع وهو الطلاق على مال<sup>(٦)</sup> تدفعه الزوجة عادة ، ويشمل الخلع ما تدفعه المتوفى عنها زوجها ، عندهم ، الى ابنه الاكبر الذي له عندهم أن يتزوجها بدون مهر بعد وفاة أبيه<sup>(٧)</sup> كما له أن يتركها لا تتزوج حتى الموت وهو ما يسمى عندهم بالعضل ، وكان شائعا عند قريش بمكة فكان الرجل ينكح امرأة شريفة ذات يسار ، فإن لم توافقه عضلها أى فارقها وليس لها أن تتزوج الا برضاه فهي تضطر الى ان تدفع له مالا لارضائه ليسمح لها بالزواج والا ابقاها

(١) Smith : Kinship & Marriage, P. 112 ' Encyclo-  
paedia of Religion, Vol IV P. 636

(٢) بلوغ الارب ج ٢ ص ٥٠ ، السرخسى : المبسوط ج ٦ ص ٢٢٢ ، عمدة القارى ج ٢٠ ص ٢٨٠ .

(٣) سنن ابى داود ج ٢ ص ٢٦٥ . اللسان ج ٦ ص ٢٠١ . تاج العروس ج ٣ ص ٣٧٣ .

(٤) بلوغ الارب ج ٢ ص ٥٠ ، تفسير الطبرى ج ٢ ص ٢٥٦-٢٥٧ ، عمدة القارى ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٥) السرخسى : المبسوط ج ٧ ص ١٩ - ٢٠ .

(٦) بلوغ الارب ج ٢ ص ٤٩ . السرخسى ج ٦ ص ١٧١ .

(٧) Smith : Kinship & Marriage etc. P. 92

معضولة (١) وجاء الاسلام بتحريم العضل وبتحريم المضارة عامة (٢)  
اذ قال : « لا ضرر ولا ضرار » .

والاصل فى الطلاق أن يكون بيد الرجل فله أن يطلق زوجته اذا  
رأى ذلك ، وقد لا تكون الزوجة قد أجمرت أو فعلت ما يشين . وقد يكون  
بعد تفاهم يحصل بين الزوجين على الانفصال . وقد يحدث الطلاق عن  
اختلاف بين طبيعة الزوجة وطبيعة زوجها ، كما صوره الاعشى بقوله :  
أيا جارتى بينى فانك طائفة كذاك أمور الناس غاد وطارقه  
وما ذاك من جرم عظيم جنيته ولا أن تكونى جئت فىنا ببائقه  
وبنى حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فىنا كذاك ووامقه  
وذوقى فتى قوم فانى ذائق فتاة اناس مثل ما أنت ذائقه  
فقد كان فى شبان قومك منكح وفتيان هزان الطوال الغرائقه (٣)

وقد استدل بعض الباحثين من تكرار الاعشى للبيونة ثلاث مرات أن  
الطلاق الثلاث كان معروفا عند العرب (٤) . والظاهر أن ايقاع الطلاق كان  
لا يتطلب شروطا وقودا ، وكان فيه اجحاف بحقوق الزوجة فى أحيان كثيرة  
حتى جاء الاسلام ونظم أحكامه وجعل له شروطا (٥) محكمة مبسطة فى  
كتب الفقه . وعلى هذا فلا غرابة اذا كان الطلاق عندهم يعقب ندما فى أحوال  
كثيرة . يقول عروة بن الورد :-

- 
- (١) سنن ابى داود ج ٢ ص ٢٣٠ ، تفسير الطبرى ج ٤ ص ٢١٠ .  
(٢) عمدة القارىء ج ٢٠ ص ١٢١ - ١٢٤ .  
(٣) الاعشى : ديوانه القصيدة رقم ٤١ ، الاغانى : ج ٢ ص ٨٠ .  
البائقة - الداهية « تسلسل الابيات يختلف عما هو فى الديوان » .  
(٤) معجم البلدان ج ٨ ص ١٣٧ - ١٣٨ ، محمد بن حبيب : المحبر  
ص ٣٠٩ . « ينسب هذا الاستنتاج الى عبدالله بن عباس » .  
(٥) Scholl: L'Islam & Son Fondateur, P. 277.

أطعت الأمرين بصرم سلمى      فطاروا في البلاد اليستور  
سقوني النسء ثم تكنفوني      عداة الله من كذب وزور  
وقالوا ليست بعد فداء سلمى      بمغن ما لديك ولا فقير  
ولا وأبيك لو كاليوم امرى      ومن لك بالتدبر فى الامور  
اذآ للملكت عصمة أم وهب      على ما كان من حسك الصدور  
فيا للناس كيف غلبت نفسى      على شىء ويكرهه ضميرى (١)

واستمر يظهر حنينه لها وشوقه الكثير وهى بعيدة عنه وذلك فى قصائد كثيرة له • ويظهر من الابيات ان خلافاً كان بينه وبين زوجته ، أو أنه كان فى ضيق نفسى ولكن ذلك كله لم يكن ليستوجب طلاقها لكن البعض من المفرضين أو غيرهم زينوه له بعد أن سقوه خمراً ، أذهب بامتلاكه نقواه الفكرية ، وأخذ على يده فطلق ثم ندم أشد الندم •

والذين طلقوا وندموا من الشعراء كثيرون وشعر الندم هذا بجملته فيه عاطفة قوية صادقة وحرقة وعذوبة فى الاسلوب تستدر عطف السامعين • وهذه الظاهرة تدل دلالة قوية على مبلغ تأثير الزوجات العربيات فى نفوس ازواجهن •

ومن الذين تحرقوا حينئذ لزوجاتهم عبدالله بن العجلان القضاعى ، اذ طلق زوجته لان أباه أكرهه على طلاقها لانها كانت عاقراً ، وهو يريد الولد ، يريد وازناً يرث الرياسة والزعامة عنه ، فحزن عبدالله لطلاقها ، ومات جزئاً وكمدأ عليها (٢) • ومما قاله فيها بعد طلاقها :-

---

(١) عروة بن الورد : ديوانه ص ١٨ - ٢٠ • اليستور - بلاد لا يدخلها أحد ، المنسئ - المسكر • لو كاليوم امرى - لو كنت أملك مثل ما أملك اليوم • الحسك - الغل • فيا للناس - استغيت بالناس •  
(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٣٩ •

فارت هنداً طائماً      فندمت عند فراقها  
بالعين تدرى دمعته      كالدر من آماقها  
متحلياً فوق الردا      • يجول من رفاقها  
خود رداح طفلة      ما الفحش من اخلاقها  
ولقد ألد حديثها      واسر عند عناقها (١)

ومثل هذا التوجع واكثر أظهر عبدالله بن ابي بكر الصديق اذ أمره ابوه ان يطلق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وهي ابنة عم عمر بن الخطاب لانه احبها حبا شديدا حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازيه فغزم أبو بكر على عبدالله ان يطلقها حتى طلقها ومما قال فيها بعد الطلاق :-

أعاتك لا انساك ما ذر شارق      وما ناح قمرى الحمام المطوق  
أعاتك قلبى كل يوم وليلة      اليك بما تخفى النفوس معلق  
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها      ولا مثلها فى غير جرم تطلق  
لها خلق جزل ورأى ومنصب      وخلق سوى فى الحياء ومصدى (٢)

وكان الطلاق فى بعض الاحيان بيد الزوجة (٣) ويحصل ذلك فى اثناء العقد ، فتشترط ان يكون أمرها بيدها ان شاءت أقامت ، وان شاءت تركت معاشره زوجها أو أوقعت الطلاق • ويحصل ذلك فى زواج الشريقات أكثر • ومن هؤلاء النسوة سلمى بنت عمرو بن زيد الحزرجية ، وفاطمة بنت الحشرب الانمارية ، وماوية بنت الجعيد ، وعاتكة بنت مرة ، وأم خارجه التى ضرب بها المثل « اسرع من نكاح أم خارجه » وقد عرفن بكثرة الزواج،

(١) الاغانى ج ١٩ ص ١٠٣ • كما راجع أبياته فيها بعد طلاقها

ايضا • الشعر والشعراء ص ١٦٩ •

(٢) ابن الاثير - اسد الغابة ج ٤ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ •

Perron: Femmes Arabes, P. 14

(٣)

وبكثرة ما أنجبين (١) .

قال أبو الفرج : « كانت النساء في الجاهلية ، أو بعضهن ، يطلقن أزواجهن . وطريقة ذلك هي أن المرأة اذا كانت تسكن الحيام ويوت الشعر تغير جهة البيت ، فتغير ناحية الباب ، فيعلم الرجل أنها طلقته ، فلا يدخل (٢) . والظاهر أن هذا كان يقع عندما تكون المرأة متزوجة بين أهلها وتحت حمايتهم ، وهذه ميزة قاصرة على الخواص منهن (٣) .

أما أسباب الطلاق فمن الطبيعي أن تكون كثيرة ومعقدة وليس الشعر مجالا للاحاطة بها . لكنه لا يعدم أن يقدم صورا منها . قال عامر بن الطفيل يخاطب زوجته :-

طلقت ان لم تسأل أي فارس حليلك اذ لاقى صداء وختما  
اكر عليهم دعلجا ولبانه اذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحا (٤)

فهو يفخر لها ببطولته في هذه الموقعة التي قابل فيها فارسين أو حين وغلبهم . وانه كان مقداما بحيث أن جواده كلما أراد النكوص والتراجع صده هو ودفع به الى الامام وكر به على الخصم . ان هذا الشاعر لا يريد ايقاع الطلاق ، اما هو مسرور مما أبداه من شجاعة وبأس ويريد ان تعرف زوجته ذلك عنه وتطيب به نفسا .

---

(١) المحبر لابن حبيب ص ٣٩٨ ، ٤٣٥ ، نهاية الارب ج ٣ ص ٤٧ - ٤٨ . ويلاحظ الاغانى ج ١٦ ص ٩٩ - ١٠٢ ، مجمع الامثال ج ١ ص ٣١٨ ، معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٧ ، ذيل الامالى ص ١٥٣ ، أخبار النساء لابن قيم الجوزية ص ٥٤ .

(٢) الاغانى ج ١٦ ص ١٠٢ - ١٦٠ .

(٣) Levey: Sociology of Islam. Vol. I P. 134

(٤) طبقات ابن سلام ص ١٠٩ ، بلوغ الارب ج ١ ص ١١٧ .

وهناك أبيات تنسب الى زوجة أبي حمزة الصبي الذي هجرها على  
أثر ولادتها بنتا وأقام في خيمة جيرانها • فقالت :

ما لابي حمزة لا يأتينا ؟      يظل في البيت الذي يلينا  
غضبان ان لا نلد البنينا      بالله ما ذلك في أيدينا  
وانما نأخذ ما أعطينا      ونحن كالارض لزارعينا (١)  
نبت ما قد زرعه فينا

وهذا غضب ليس له مبرر وهجر سبه الهاجر نفسه • لكن هناك أسبابا جدية  
وعال جذرية للطلاق ومنها ما جاء في قول الشاعر :

لتعمدن مقعد القصي      منى ذي القاذورة المقبلي  
أو تحفني بربك العلي      انى أبو ذيانك الصبي (٢)  
فهذا زوج يتشكك ويطلب منها أن توثق دعواها باليمين • والشك وغير  
الشك ، اذا كان لهما مبرر وكانا في موقعهما ما كان صاحبها بماوم •

والطلاق بين الزوجين المتغايرين فى الاذواق والطباع كان من خير  
الادوية لاراحتهم فى نظر العرب • ويمثلة قول أعرابي :

رحلت اميمة بالطلاق      وعتقت من رق الوثاق  
بانت فلم يأل لها      قلبى ولم تبك المآقى  
لو لم أرح بطلاقها      لارحت نفسى بالاباق  
ودواء ما لا تشتهى      به النفس تعجيل الغراق  
والعيش ليس يطيب به      من اثنين فى غير اتفاق (٣)

- 
- (١) بلوغ الارب ج ٣ ص ٥١ ، البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤ •  
(٢) البيتان ينسبان الى رؤبة بن العجاج • وقال ابن برى : هما لاعرابي  
قدم من سفر فوجد امرأته قد وضعت ولدا فأنكره •  
(٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ١٢٥ ، العقد الفريد ج ٤ ص  
١٧٣ ، حماسة ابن تمام ج ٢ ص ٤١٤ • الابق - الهروب •

والذى نلاحظه كثيرا فى أخبار النساء فى الجاهلية أن المطلقات منهن كن يتزوجن فى الغالب بعد طلاقهن ، وقد تزوج الواحدة منهن مرات كثيرة حتى يستقر أمرها وتجد السعادة والراحة فى كنف الرجل الذى تريده . وحتى الشريقات ، بنات الاسر الراقية لم يكن يجدن فى ذلك بأسا . وكذلك اللاتى يتوفى عنهن أزواجهن كن فى الغالب يتزوجن من آخر بعد انتهاء عدة الوفاة وهذا مما يجعلنا نعتقد أنهن كن أسعد حالا وكن ينظرن الى الحياة نظرات أكثر ثقة وتفاؤلا من معظم الايامى والمطلقات اليوم . اذ العادة عندنا فى كثير من الاحوال أن تطلق المرأة التى يتوفى عنها زوجها لذائد الحياة ، فترتدى السواد مدى العمر ، اذ العرف يعتبر هذا وفاء منها لزوجها المتوفى ، وانه من الأفضل ألا تتزوج بعده ، الا اذا اضطرت الى ذلك اضطرارا . أما المطلقة فتكاد تشبه حالتها حالة الارملة فى الاعتكاف عن مسرات الحياة ، وهذه أمور تسبب فى الواقع كثيرا من الحزن والكدر ، وهى أقل جدوى على الحياة ويجدر بنساء اليوم أن يكففن عن هذه العادات ، ويقتصرن على القدر المعتول منها اقتداء بأخواتهن نساء العرب فى هذا العصر الذى ندرسه . وتدل الروايات على أن المرأة كانت تحتجر بعد وفاة زوجها فى حفش وهو خيمة صغيرة ، أو فى بناء لتقضى مدة العدة ، ولا تطيب أو تتزين مدة عام ثم تنهى عدتها بعد العام بمس الطيب أو بالتزين . ويظن البعض أن الجاهلية لم تكن لتعتد عدة الطلاق ، ولا عدة الوفاة ، انما العدة من وضع الاسلام .

أما من حيث الارث فلم تكن الزوجة ترث فى الجاهلية بل على العكس كانت تصير مملوكة للابن الاكبر لزوجها وهذا فى بعض الاحيان . وقد تغضب الزوجة ، اذا اسىء ، لها فتذهب الى أهلها وهم كانوا يحمونها ، ويعطفون عليها .

٦ - عصبية الزوجة مع قبيلتها :

والزوجة بحكم صلتها بزوجها وباهله كانت تطلع على احوالهم في حالة السلم وفي حالة الحرب وان لم يخبرها أحد بشيء فهي ترقب وتلاحظ، واذا أزدت الاضرار بهم استطاعت ويدل على ذلك ما حصل في « يوم الفروق » (١) ولان روح العصبية القبلية عندهم كانت قوية لهذا نجد الزوجة في الشعر الجاهلي يكون لها ضلع مع أهلها فتشعر بشعورهم ، وتميل ميلهم ، فاذا ما نشبت حرب بين حى أهلها وحى زوجها فهي برغم اخلاصها الشديد لزوجها كانت ، مدفوعة بدافع العصبية القبلية ، تميل مع قبيلتها وهذا هو موقف جلييلة أخت جساس في حرب البسوس ، (٢) وموقف امرأة من بنى النجار في حرب الاوس والخزرج ، (٣) فكانت هذه الخزرجية قد عرفت نية زوجها ، وقرار الاوس على غزو الخزرج فخرجت بعد أن نام القوم وبلغت قبيلتها ، فأخبرتهم باستعداد الاوس لغزوهم ، وبنيتهم على مداهمتهم وأخذهم على حين غرة ، فاستعدت الخزرج للامر ، فلم ينل منهم الاوس شيئا . واذا صعب على الزوجة في هذه المناسبات أن تتصل بقومها شخصيا ، كانت لا تدخر وسعا في تهيئة رسول ترسله اليهم يبلغهم الامر . وكذلك اذا ما تعذر عليها أن تعرفهم بنيات قومها بأسلوب صريح واضح ، كانت تستخدم ذكاءها العالى في اختيار الرموز حتى تفهمهم بالامر . فكثيرات منهن قد اتخذن الاشارات السرية في ايصال مقاصدهن . وعلى من يتلقى تلك الاشارات أن يحلها فيتوصل الى ادراك الغرض منها باستخدام فطنته وذكاؤه . وقد حصل في حرب

(١) النقائض ص ١٠٧١ ، ابن الاثير ج ١ ص ٤١٢ .

(٢) النقائض ص ٩٠٥ .

(٣) ابن الاثير ج ١ ص ٤٩٦ .

زهير بن جناب مع بنى القين بن جسر (١) أن أرسلت احدى أخوات زهير وكانت متزوجة فى بنى القين « فجاء رسولها الى زهير ومعه برد فيه صرار رمل وشوكة قتاد ، فقال زهير لاصحابه : أتكم شوكة شديدة وعدد كثير ، فاحتملوا ، (٢) فاحتاطوا لذلك واحتملوا له . ومثل هذا ما جاء فى الحماسة (٣) اذ روى عن بعضهن أنهن أنفقن المبالغ الكبيرة لا يصل أمثال هذه الاخبار . فقد أنفقت هند زوجة عبد الله بن العجلان النهديّة خمس عشرة ناقة فأعطتها الى رسول أخذ على عاتقه أن يخبر قومها بنى نهد بعزم عامر على عزوهم اذ أنها تزوجت فيهم بعد أن طلقها عبد الله (٤) وفى ذلك، قال عبد الله بن العجلان قصيدة منها :

ألم يأت هنداً كيفما صنع قومها      بنى عامر اذ جاء يسعى نذيرها  
فقالوا لنا انا نحب لقاءكم      وانا نجى أرضكم ونزورها (٥)

وكان أهل الزوجة بدورهم لا يقطعون صلّتهم بفتاتهم التى تزوجت نى قبيلة اخرى . هم يتفقدون أحوالها ، ويمدون اليها يد المعونة عند الحاجة ووقت الشدة . روى الاغانى عن الشماخ الذبىانى أنه تزوج من سليم فاساء الى زوجته فضربها وكسر يدها . فعرضت له امرأة من قومها يقال لها اسماء ، وهى لا تعلم انه الشماخ ، فسألته قائلة : ان الشماخ هذا الحبيث قد فعل بصاحبتنا كيت وكيت أفلا تعرف مكانه ؟ فتجاهل عليها وقال لا أعلم له خبرا . وقال فى ذلك قصيدة مطلعها :-

- 
- (١) ابن الاثير ج ١ ص ٣٧٠ .
  - (٢) الاغانى ج ٢١ ص ٦٧ .
  - (٣) الحماسة ص ٢٢٣ .
  - (٤) الاغانى - ج ١٩ ص ١٠٤ .
  - (٥) المصدر السابق .

تعارض أسماء الرفاق عشية تسائل عن ضغن النساء النواكح

وصادف أن دخل المدينة في بعض حوائجها فتعلقت به بنو سليم  
وطلبوه بظلامه صاحبهم ، فانكر . فقالوا له احلف فجعل يطلب اليهم  
ويغلظ عليهم أمر اليمين وشدتها عليه ليرضوا بها منه حتى رضوا ، فحلف  
لهم فقال في ذلك :

الا أصبحت عرسي من البيت جامحا بخير بلاء أى امر بدا لها  
على خيرة منها ام العرس جامع فكيف وقد سقنا الى الحى مالها  
الى قوله :-

يقولون لى فاحلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيما أنالها (١)  
وهذا يصور لنا شيئا من روح العصية القبلية العنيفة التى كانت ضاربه  
أطابها فى الجزيرة حتى جاء الاسلام ، فاستعاض عنها الناس بالترعة  
الاسلامية ، التى تجعل المؤمنين فى المعاملات اخوة أمام الله ودار الاسلام ،  
وهى خير من العصية التى كانت تستند الى الدم وليس فيه فضل لانسان  
على انسان بخلاف العقيدة والرأى .

على أن ميل الزوجة مع قومها وأهلها لم يكن مطردا عندهن كافة .  
فقد وجد بعض النساء ملن مع أهل أزواجهن وساعدنهم فى الحرب على  
قبائلهن . فقد روى أن امرأة كانت متزوجة فى بنى عيس فأتاها أهلها  
ليضموها اليهم وأخبروها بعزمهم على الحرب ضد عيس فأعلمت بدورها  
زوجها ، الذى أخبر قومه ، واستعدوا فحصنوا مواقعهم ، ولم ينل منهم  
الندو شيئا (٢) . وكل هذه الاخبار تدل على كره المرأة للعدوان .

ولعل من الطريف أن نذكر أن المرأة كانت فى كثير من الاحيان

(١) الاغانى ج ٨ ص ١٠٠ .

(٢) النقائض - ص ٤٢١ .

تساعد الأسرى الذين يأسرهم قومها فتمدهم بالغذاء والحاجيات ، وقد تهىء لهم وسائل الخلاص من الأسر كما أن من النساء من أحببت أسيرا أسره أهلها . فقد روى عن الحارث بن الأبرص أنه وقع أسيرا عند عمرو بن عمر ، فصارت عين ابنة عمرو تسمو الى الحارث ، الذي كان جميل الطلعة وضىء الوجه ، فشعر أبوها بذلك ، وأراد أن يصرفها عنه ، ليزوجها من رجل دميمة الخلق كان قد أعانه في حادثة مرت به ، فقال الحارث بن الأبرص :-

تعجبت من شواري بنت عمرو      وما أنا في تأسيسنا بغمم  
فكم من فارس لم ترزئيه      أخي الفتيان في عرف ونكر (١)

#### ٧ - تأثير الزوجة في وجدان الشاعر :

يصور الشعر الجاهلي التأثير البعيد الذي كان للزوجة في نفس زوجها ووجدانه لمكانتها في الأسرة ومنزلتها الاجتماعية فقد ذكر لها الشاعر فضائله وجعلها ذات كيان في نفسه وهذا يصور العناية الفائقة التي سعدت بها المرأة في كنف زوجها ، وتنعمت في ظلها . وكيف لا تنعم وقد كسبت قلب الرجل ، واستولت على كثير من مجهوده الفكري ، وشغلت طويلا من وقته . فكان يقدم لها في كل مناسبة من ثمار فكره يانعا وشهيها ، ومن سعيه ومجهوده كل عمل يدل على الاهتمام بشأنها والعناية بها .

ولان الزوجة كانت تمجد الفضائل وتكرم أهلها ، لهذا توجه الشعراء بأهم فضائلهم اليها توثيقا للصلات الزوجية وطلباً للاستزادة من تقديرها وعنايتها وأهم هذه الفضائل التي صورها الشعر : هو الكرم ،

---

(١) النقائض ص ٤٠٩ ، الاغانى ج ١٠ ص ٤٢

والشجاعة ، والابتعاد عن الدنيا<sup>(١)</sup> ، وصيانة العرض<sup>(٢)</sup> ، وحماية  
الجار<sup>(٣)</sup> وتحمل الشدائد في نصره الموالين<sup>(٤)</sup> ، واهانة اللئيم<sup>(٥)</sup>  
والعفة عند الطمع<sup>(٦)</sup> ، ولو لم تكن لهذه المزايا قيمة كبيرة في نفس  
الزوجة ، وتأثير بعيد في نظرتها الى الرجل ، لما توجه اليها الشاعر بها ، ولما  
أعطاها هذه العناية من شعره . أما كيف بسط لها الحديث فيها فنعرض  
لذلك في أهمها :

أ - الكرم - وقد عرض الشعراء لازواجهم صورا من كرمهم  
الواسع بأسلوب سهل ممتع واستخدموا في ذلك المعاني الواقعية ، والأفكار  
التي يصح أن نسميها أفكارا راقية وكل ذلك يدل على رقي المرأة العقلي  
من ناحية والى مشاركتها الرجل في أهم تصرفاته من ناحية اخرى ، فهي  
ركن أساسي في كيان الأسرة والمجتمع معا . قال حاتم الطائي يخاطب  
مأوى زوجته :-

أماوى ان المال عاد ورائح      ويبقى من المال الاحاديث والذكر  
أماوى انى لا أقول لسائل      اذا جاء يوما حل في منالنا نزر  
أماوى اما مانع فببين      واما عطاء لا ينهنه الزجر<sup>(٧)</sup>

(١) خفاف بن ندبه - الاصمعيات ج ١ ص ١٧ . نشرها وليم بن  
الورد ، الفضليات ص ٦٨ « السندوبي » .

(٢) حاتم الطائي - شعراء النصرانية لشيخو ص ١٢٠ .

(٣) الاسود بن يعفر - ديوانه . القصيدة رقم ٣ ، قيس بن عاصم -

الاصمعيات ج ١ ص ٣٠ - ٣١ ، المنخل البشكري - الاصمعيات ج ١ ص  
١٨ ، الاغانى - ج ١٢ ص ١٥٠ .

(٤) عروة بن الورد - ديوانه ص ٢٠ .

(٥) لبيد - ملحق ديوانه - القصيدة رقم ١ .

(٦) الحادرة - الفضليات ص ١١ .

(٧) حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١٠٨ - ١٠٩ .

وكانت الزوجة عنصرا أساسيا فعلا في هذا الكرم الذي عرف به العرب في الجاهلية وأشاد بذكره المقيم والظاعن • فالشعر يصور كيف أن أغلب الاجواد من العرب كانوا يستعينون بأزواجهم في البذل والعطاء وكيف أنهم كن يشاطرنهم فيه • قص هؤلاء الاجواد أحاديث كرمهم على أزواجهم يظهرها لهم مقدار كرمهم وليشدوا عزائمهم في المضي على الجود والكرم • فسألوهن أن يفتحن أبوابهن للسائلين والعافين ، وناشدوهن أن يوقدن النيران للمطابخ ويضعن قدورهن فوق أنافيها على التلال والمرتفعات عليها تجلب الاضياف اليهم ، وأسلوبهم في مخاطبتن قائم على الحس والتجربة والشعر الرقيق فاستخدموا العبارات العذبة والالفاظ الرشيقة في هذا ، خاصة امرأهم • وهذا يدل على اللطف والمودة التي كانت تتمتع بها الزوجة في الجاهلية<sup>(١)</sup> • وكانت تتغلغل في نفوسهن فضائل الكرم ولهذا نجد لحظاتهم أنارا بعيدة عندهن • قال قيس بن عاصم أحد أمراء تميم يخاطب زوجته منقوسة بنت زيد الفوارس الضبي بعناية فائقة :

أيا بنته عبدالله وأبنته مالك      ويا بنته ذى البردين والفرس الورد  
إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له      أكبلا فأنى لست آكله وحدى  
أخا طارقا أو جار بيت فأنى      أخاف ملامات الاحاديث من بعدى  
وانى لعبد الضيف من غير ذلته      وما بى الا تلك من شيم العبد<sup>(١)</sup>  
وكم كان يسحرهن هذا الاسلوب وهذه المعانى الجميلة الصادرة من  
دخيلة نفوسهم الكبيرة •

**ب - الشجاعة -** وهى من الصفات التي أعجبت بها الزوجة فكانت تلاحظها في زواجها من خطيبها ، وتتطلبها منه اذا أصبح زوجها لها •

---

(١) قيس بن عاصم - الاغانى - ج ١٢ ص ١٤٤ ، الحماسة لابى تمام ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، صاحب البردين عامر بن احيمر أعطاه المنذر بن ماء السماء بردين •

وترقب فعاله لتضع لها القيم • ولهذا نجد الواحد منهم يعرض لها أعماله  
ليحظى برضاها وعطفها • قال عامر بن الطفيل يخاطب زوجته :-

طلقت ان لم تسألنى أى فارس حليلك اذ لاقى صداء وخثعما  
اكر عليهم دعلجا ولبانه اذا ما اشتكى وفع الرماح تحمحا<sup>(١)</sup>

ولاجل أن يصور لها عظيم فعاله يلح عليها هذا الالحاح لتسأل عنه  
يوم لقي صداء وخثعما وقال لها أنه لم يسأم الحرب الشديدة الهول التي  
سُمها حتى حصانه الاعجم • وهذا النوع من الشجاعة يسحر ، ولا شك ،  
قلوب النساء ، ويستهوين وقد عرف عن الجاهليات أنهن كن يشهدن مع  
أزواجهن حروبهم ، ويراقبنهم عن كنب فيشجعنهم ويساعدنهم فان لم  
يكن حاضرات طلب أزواجهن منهن أن يسألن عنهم فيستقصين أخبار  
فعالهم •

ومما يلاحظ أن النساء كن يرغبن أن يعاملن في الحرب بشرف فاذا  
ما أسرت احداهن وعاملها الاسر بقساوة لامته ، ووبخته وهي في أسرها ،  
وشنعت عليه<sup>(٢)</sup> لهذا كان الفارس البدوي يتحاشى أن يمد يده فيسبى اليها  
أو يستلب ملبسها مهما كان حظه من الحسونة والفظافة<sup>(٣)</sup> • ولهذا كن  
بدورهن يطلبن من أزواجهن أن لا يغدروا في الحرب وأن يعفوا عنسند  
المقدرة وبهذا خاطب الحادرة زوجته مقتخرا :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في مجمع

---

(١) عامر بن الطفيل - طبقات ابن سلام ص ١٠٩ ، بلوغ الارب ج

١ ص ١١٧ •

(٢) أشار الهذليين لابي سعيد السكري ص ١١٧ - ١١٨ •

Lane - Pool : Studies in a Mosque, P. 8

(٣)

انا نغف فلا نريب حليفنا ونكف شح نفوسنا في المطمع (١)  
والنساء يعجبن بالقوة التي كثيرا ما تختلط عندهن بالحق ومع ذلك  
فقد سعين الى اخماد حروب كثيرة كما فعلت بنت أوس في حرب  
داحس (٢) .

ج - بعض الآراء السامية - وقد توجه بها شعراء لازواجهم لانهن  
أعجبين بها . منها انفة وترك الدنيا والتخلي بالخصال السامية . وهذا مما  
يدل على أن النساء أنفسهن كن على مستوى من الثقافة ، وربما كانت نساء  
المدن أكثر حظا من الثقافة بالنسبة للبدويات . ففي مكة ، والمدينة ، والطائف ،  
والحيرة كانت النساء تسمع أنصح الأفكار وأرقاها من هذا قول عدى يخاطب  
زوجته :-

أعاذل قد لاقيت ما يزع الفتى وأبمده منه اذا لم يسدد  
أعاذل قد لاقيت ما يزع الفتى وطابقت في الحجلين مشى المقيد  
أعاذل ما يدريك أن منيتي الى ساعة في اليوم أو في ضحي غد  
أعاذل من يكتب له الموت ياقه كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد  
أعاذل ان الجهل من لذة الفتى وان المنايا للرجال بمرصد  
أعاذل من لا يصلح النفس خاليا من الالب لا يرشد لقول المقند (٣)

فهذه الافكار وأمثالها انما كانت من نتائج الاختبارات الطويلة ،  
والتأملات الصائبة لما فيها من اتزان كثير . وهي تصور المستوى الفكري  
الترفع الذي وصلت اليه النساء وانتقت فيه مع الرجال ، وهو لم يكن بعيد  
على بيئات حضارية مثل هذه . وكان للمرأة قسط كبير من الفراغ أظهرت  
ميلها فيه الى تهذيب الاخلاق والعادات ، فان معاشره السيدات كما قال  
جوته ، أكبر مهذب للاخلاق (٤) .

- 
- (١) الحادرة - مفضليات الضبي ص ٦ ( لايبزج ) . هذا الكتاب  
ص ١٣٩ .  
(٢) الاغانى ج ٩ ص ١٤٢ - ١٤٣ .  
(٣) عدى بن زيد - شعراء النصرانية ص ٤٦٥ .  
(٤) المرأة وآراء الفلاسفة لحسين فوزى ص ١٢ - ١٥ .

## الفصل الرابع

# الأم في الشعر الجاهلي

١ - مكان الام في الشعر الجاهلي :

رأينا في الفصلين السابقين عناية الشعر الجاهلي الفاتحة بالمرأة الحبيبة وعناية تقرب من تلك بالزوجة • وسبب هذه العناية يرجع الى أن الشعر ميدان فسيح ، عند جميع الشعوب ، للتعبير عن العاطفة ، فكلما وجد المحب مثلا في نفسه حاجة الى مخاطبة حبيته وجد في الشعر الاسلوب الجميل لنقل شعوره واحساسه اليها ، فبالشعر كان يطلب رضاها ويحني ثمار نجواه • أما بالنسبة للام فان الام تحب ابنها بالفطرة وتحبه لذاته حبا صادقا يعتبر المثل الاعلى للحب الانساني كله • فحبها كماء النهر العذب ، ينساب من قلبها العطوف كما ينساب الماء من قلب الجبل الاشم الى الوادي الاخضر الخصب ، فهو يشبه ماء النهر في وداعته وهدوئه ، وفي تدفقه وعذوبته ، لا يتوقف ولا يني • كما ان حب الولد لامه ان هو الا رجح الصدى لذلك الحب ، ينغم على نغمة ويعود الى مصدره • انه مشتق من طبيعة البنية ، طبيعة اسجاسم الفرع مع الاصل •

والابن كثيرا ما يعبر عن حبه بأسلوب صامت عملي حينما وقلبي شعوري حينما آخر ، حتى انه ليرغب في بعض الاحيان أن يجعله سرا لا يكشف عنه ، ومن هنا ليس بغريب اذا ما وجدنا الشعر الجاهلي يعنى بتصوير الام عناية أقل من عناية بالمرأة الحبيبة أو الزوجة • ولعل في هذا شيئا من العدالة الطبيعية من وجهة من الوجوه ، ذلك لان الغالب أن تكون الامهات

في أول أمرهن من النساء الحيات يتغنى الشعراء بشمائلهن الحسنة ،  
ويتغزل بهن المحبون، ثم يصبحن بعد ذلك زوجات لغير عشاقهن ، في العادة  
عند العرب ، يلاطفن الأزواج ، ويخطبون ودهن . فإذا مر هذان العهدهان  
على المرأة تكون قد أخذت حظها من العناية بالشعر ، فإذا تقدم بها الزمن  
وانتقلت الى مرتبة الامومة كانت موضع الاحترام والطاعة ، ومناط التقدير .  
وهذه أمور أقل اتصالا بالشعر من الحب والهوى اللذين كان الشعر لغة  
لهما . ومع هذا فاننا لا نريد أن نقول ان صلات الام بابنائها ونظرة المجتمع  
اليها تنحصر في الحب والهوى فهناك علاقات كثيرة بينها وبين ابنائها وبيتها  
وبين أهلها واقربائها والمجتمع الذي تعيش فيه ، علاقات بها من حيث هي  
أم وربة بيت ومربية اولاد وغير ذلك . هذه العلاقات جدية بأن تصبح  
مجالا لنظم الشعر ، ونحن لم نستبعد الام من فسيح جناحه ومريع وديانه ،  
وقد أولاهها الشعر عناية ايضا وعلى مقدار تلك الروابط الذاتية والعلاقات  
الروحية والادوار التي كانت تقوم بها .

## ٢ - الام مناط النسب :

وهذه الصلة القوية بالام وأهلها يرجعها بعض الباحثين الى الاعصر  
الحالية ، حيث كانت الام مناطا للنسب ، اذ تدور حولها علاقات الافراد  
بعضهم ببعض (١) . وقد ذهب كثير من الباحثين الى أن النسبة للام كانت  
شائعة في بلاد العرب كلها اذ قال جيمس « وكان الرباط الدموي في بلاد  
العرب قديما من جهة الام . فهي ربة البيت ، ويولد اولادها في البيئة التي  
تعيش فيها ويحترمها الاولاد والزوج معا ، ويجونها . أما قبيلتها فكانت

(١) ولكن - الامومة عند العرب ص ٤٣ - ٤٤ .

على استعداد دائم لموتها<sup>(١)</sup> » وهذا ما يؤيده المشتغلون بتاريخ القوايين<sup>(٢)</sup>  
وقال جيمس ايضا • « والعلاقات الزوجية التي عرفت فيما بعد لم تكن  
لتعرف في تلك المجتمعات في العهد القديم • »<sup>(٣)</sup>

ولعل من أهم المراجع في دراسة النسبة في بلاد العرب قديما  
الكتاب الذي ألفه العلامة سميت بعنوان ( القرابة والزواج في بلاد العرب  
قديمًا ) وقد استدل على سيادة نظام القرابة من جهة الام بدلائل كثيرة منها  
ما يتصل بقواعد اللغة ، كعاملة اسماء الجموع معاملة المؤنث اذ يؤنث الفعل  
ملا مع تميم ، وتغلب • وينوب عنها ضمير مؤنث • وقد رأى العلامة  
نولدكه<sup>(٤)</sup> أن هذه القاعدة النحوية كافية وحدها لاثبات النسبة للام  
في العهود القديمة<sup>(٥)</sup> واستدل سمث على ذلك من تعابير وردت في كتاب  
الاغاني منها قولهم « قطع الرحم » و « أنشدك الله والرحم »<sup>(٦)</sup>  
وكذلك قولهم « ارحام تقطع »<sup>(٧)</sup> وقال :

« ومما يدل على طغيان النسبة للام عندهم أسماء كثير من القبائل

---

Bevan James: Woman in Islam, P. II (١)

Levey: sociology of Islam Vol I P. 135 ' Lane Pool :  
Studies in a Hosque, P. 23

(٢) عبد المنعم بدر - تاريخ الشريعة اللاتينية ج ١ ص ٢٨ ،  
٧١ - ٧٤ .

Bevan James: Woman in Islam, P. 12 (٣)

Noldeke: Geschichte der Perser und Araber (٤)

etc. zur zeit der Sassanichen

Smith: Kinship & Mrrriage in Early Arabia, (٥)

P. 32

(٦) الاغاني - ج ١٤ ص ١٦ .

(٧) ابن أبي أصيبعة - أخبار الحكماء ج ١ ص ١١٦ .

الموتة فيرجح أنها أسماء أمهاتهم نحو قبيلة خندف ، ومزينة ، وباهلة ،  
وبنى الطفاوة ، وبنى سلول ، وبنى جديلة ، وبنى بجيلة وغيرها  
كأنها نُسبت إلى أمهاتها وهي معروفة • فنحن لسنا اذن أمام قاعدة نحوية  
فحسب وإنما امام حقائق أقوى من تلك • وهكذا نقول عن قضاة وبنى  
العدوية وبنى ناجية الخ ••• (١) وقبائل اخرى كثيرة من مضر وربيعه  
وكهلان وحمير ، أى من العرب كافة عدنانيين وقحطانيين •

وقد ذكر نولدكه بعض الامثال التي تدل على شيوع هذا الامر حتى  
بين أمراء العرب فهناك بعض الآثار تدل على بقاء النسبة للام في أواخر  
العهد الجاهلي ، منه ما كان يحصل من المساومة أثناء اجراء عقد الزواج  
فيما يتعلق باتفاقهم على نسبة الاولاد ، هل ينسبون لأهمهم أو ينسبون  
لأبيهم • (٢) والنسبة للأم ليست أمرا خاصا بالعرب بل هي ظاهرة عامة،  
وجدت عند جميع الشعوب في عهد من تهودها التاريخية • قال ولكن :-  
« ثبت من تحقيق أخبار القدماء وأخبار السياح وأبحاث العلماء  
العصريين : أن النسبة إلى الام أمر يعم جميع الشعوب حتى لا نكاد نرى  
قوما الا وينسبون للأم في عهد من عهودهم ، اذ نرى آثارا حية بينة لا تزال  
بافية عند البعض منهم إلى هذا اليوم • وهذا النظام ليس أقدم نظام في تاريخ  
الأسرة عند البشر بل هو النظام الذي ساد في دور من ادوار حياتها •  
وهذا الدور قد ترك آثارا تدل على شيوعه وتقدمه على عهد النسبة  
إلى الأب (٣) ، فمن الملاحظ من الابانة مثلا أن صلة الرحم من جهة  
الام عند اليونان كانت أقوى منها من جهة الأب ومن هذا جاز عندهم

---

(١) ابن ابي أصيبعة : أخبار الحكماء ج ١ ص ١١٦ ، العقد الفريد  
ج ٣ ص ٢٩٠ - ٣٤٠ •

(٢) - العقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٢ •

(٣) الامومة عند العرب - لولكن ص ٦

الزواج من الاخت للاب ولم يجز الزواج من الاخت للام<sup>(١)</sup> . وقال ولكن فى تعليق هذه الظاهرة « من المقرر اليوم عند العلماء أن أصل الامومة عدم معرفة أب الولد ، وذلك ناتج عن عدم تمسك الهيئة الاجتماعية القديمة بالزواج الشرعى ، الذى يعد حديثا بالنسبة الى حالة الزواج الفوضوية ، التى كانت عليها الهيئة الاجتماعية قبل معرفتها للزواج الشرعى . اذ من المعلوم أن الزواج كان فى أول العمران وقتيا وغير مقيد أى أن المرأة لم تكن مربوطة مع الرجل برباط متين شرعى »<sup>(٢)</sup> .

أما سمث فانه يجزم بأن النسبة الى الام كانت هى القاعدة المطردة القديمة لدى الجاهليين فى بلاد العرب ، ثم تحولت بعد ذلك الى النسبة للأباء عن طريق تعدد الأزواج الذى حدث عندهم بسبب أسر النساء فى حروبهم وغزواتهم<sup>(٣)</sup> . والنسبة للام قد ذهب العلماء فى أسبابها مذاهب شتى<sup>(٤)</sup> وقسموها الى أدوار ولاحظوا آثار ذلك فى امور كثيرة<sup>(٥)</sup> .

والشعر الجاهلى كما يبدو لنا ليس ميدانا لتفصيل تلك الاحوال التى ترجع الى عهود قديمة ولان الشعر نفسه لا يعنى كثيرا بالشرح والتعليل مثل هذه المظاهر . ومع هذا فأنا نجد فيه بعض اللمحات والآثار الدالة على وجود عهد نسب فيه الابناء لامهاتهم كما نجد مثل هذه الآثار فى اللغة

---

C. Letourneau: La Condition de la Femme, (١)

P. 409

(٢) . الامومة عند العرب - لولكن ص ٧ .

Smith: Kinship & Marriage, P. 178 (٣)

Mac. Lennan: Studies in the Ancient His- (٤)

tory, Primitive Marriage P. 124

(٥) محمد جميل بيهم - المرأة فى التاريخ والشرائع ص ٨ .

والتاريخ وغيرها • أما في الشعر فنلاحظ هذه الأثار مثلا في قول لبيد بين  
يدي النعمان :

نحن بنو أم البنين الأربعة سيوف جز وجفان مترعة (١)  
فنسبت أنفسهم الى أمهم وهي أم البنين ولا تلقب بهذا الاسم إلاّ الحرة (٢)  
وكذلك جاء في لامية العرب :

أقيموا بنى امي صدور مطيكم فاني الى أهل سواكم لامليل (٣)  
فقد ناداهم بنسبتهم الى امهم ومن هذا قول بشر بن أبي خازم في عمرو  
بن الحارث اذ مدحه بقوله :-

فالى ابن ام اياس أعمل ناقتي عمرو فتنجح حاجتي أو ترجف (٤)  
وأم اياس هذه بنت عوف بن محلم الشيباني وبنتها هند زوجة المنذر بن ماء  
السماء •

### ٣ - الام تفقد ميزة النسبة اليها :

وفي عهد من العهود بدأ الانتقال من نسبة الاولاد الى امهم فصاروا  
ينسبون بصورة تدريجية لأبائهم لشيوع الروح العسكري (٥) أو لظهور  
ضرورة الزراعة وحصول الملكية أو لنشوء عبادة الاجداد (٦) حسب  
الآراء المختلفة التي ذهب اليها العلماء • والظاهر أن الشعر الجاهلي حديث

- 
- (١) لبيد بن ربيعة - الاغانى ج ١٤ ص ٩٥ ( وروى الاغانى عجز  
هذا البيت « ومن خيار عامر بن صعصعة » ج ١٦ ص ٢٣ ) •  
(٢) دائرة المعارف الاسلامية مادة ( أم ولد ) ص ٦٣٥ •  
(٣) تنسب للشنفرى الأزدي •  
(٤) بشر بن أبي خازم - الاغانى ج ١٥ ص ٨٧ •  
(٥) Spencer : Woman's Share, III P. 284 - 304  
(٦) G. Rechart : La Femme dans L' Histoire, P. 152

بالنسبة الى عهد الانتقال هذا على ما ذهب اليه أكثر الباحثين (١) .

وقبل أن نزول عادة النسبة للامهات القديمة تماما لابد أن نتوقع حالة مرت بها العرب كان يجوز فيها للابن أن يلتحق بقبيلة امه أو بقبيلة أبيه ، وهذا ما حصل بالفعل فقد روى سمث « أن النسبة للام أو للاب كانت تحصل في المراسيم التي تقدم فيها الضحايا والقرايين باسم الولد بعد ولادته عندهم ، وهذه خطوة الانتقال بين النسبة الى الام والنسبة للاب وما يدل على هذا رغبة زهير بن أبي سلمى في أن ينتمي الى قبيلة امه » (٢) وفي هذا الدور كانت القبائل لا ترغب في أن تزوج بناتها من القبائل الاخرى ، اذ ترغب أن تبقىهن ليلدن لهم الاولاد ، ومن هنا شاعت عادة البناء بالشريفات في قبائلهن ، ليحموهن من جهة ، وليكون اولادهن من أبناء قبيلتهم بالفعل وبتأثير التربية . أما القاعدة ذاتها فكانت قد تقرر بحكم العادة وهي أن ينسب أبناء البنات الى قبائل أزواجهن أى ينسب الابن الى أبيه كما قال الشاعر :

بنونا بنو أبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد (٣)

على أن النسبة بعد أن صارت للأباء لم تنعدم صلوات الابن بأقربائه لأمته . فان الواحد ، وان لم يترك قبيلة امه ، كانت تربطه بأخواله وقومهم علاقات وواجبات دموية متينة ، عليهم رعايتها كافة . وصارت مساعدة الاخوال لابن اختهم ومساعدة الولد لآخواله من الامور المرعية . حتى أن بعضهم كان يترك من أمواله نصيبا لابن اخته من بعد موته ، كما فعل بشامه بن الغدير مع ابن اخته زهير بن أبي سلمى . وكان بشامة ، كما

Blunt: The Seven Golden Odes P. 10 (١)

Smith: Kinship etc P. 129 - 132 (٢)

(٣) الحماسة - شرح التبريزي ص ٢٦٠ .

هو معروف ، مشريا وذلك بالاضافة الى ما تركه له من نروة  
شعرية عظيمة (١) .

وفى الشعر الجاهلى كثير مما يصور هذا الميل المزدوج من التعلق  
والنسبة لأهل الاب وأهل الام معا من هذا قول عنترة :

وإذا السكينة أحجمت وتلاحقت ألفت خيرا من معم مخول (٢)  
وقول عامر بن الطفيل :

فما سودتنى عامر من ورائة أبى الله أن أسمو بام ولا أب (٣)  
وقد روى أن سلمة بن الخرشب قال يخاطب قوما جاءوا يحاربون ابن  
اخته الربيع ابن زياد :-

أتيتم الينا ترجفون جماعة فأين أبو قيس وأين ربيع  
وذلك ابن اخت زانه ثوب خاله وأعمامه الاعمام وهو نزيح (٤)

فمن هذا يتضح كيف أن نظرة العرب فى النسب قد تغيرت بنقدم الزمن  
فلم يعودوا ينظرون الى صلة الام فحسب ، بل نظروا الى صلة الابوين معا .

قال فون كريمر Von Kremer

« ان آراء العرب القديمة فى شرف النسب فقدت أهميتها وسلطتها على  
العقول وذلك لان أفكارهم تغيرت تماما يوم صاروا ينسبون الاصل للابوين  
معا ، فكان من نتائج هذا التغير التدريجى الاستحالة على ابن الامة أو الجارية  
أن يرث عرش الملك حتى عصر الخلفاء الاسلاميين (٥) .

(١) الاغانى - ج ١٠ ص ١٥٧ .

(٢) عنترة - المرأة فى التاريخ والشرائع لمحمد جميل بيهم  
ص ١١٦٠ .

(٣) عامر بن الطفيل - تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان  
ج ١ ص ١٢٤ .

(٤) الاغانى - ج ١٦ ص ٢٢ .

(٥) فون كريمر - تاريخ العمران فى الشرق ج ٣ ص ١٦ .

وحالات التطرف بالنسب الى الامهات أعقبها ، بعد عصور ، حالات  
تطرف بالنسب الى الآباء حتى أنه روى عن رجل ازدي كان يطوف حول  
الكعبة ويدعو لآبيه فقال رجل يسأله « هلا دعوت لامك » فأجابه « ان  
امى تميمية » (١) ومما يصور تأخر صلة الام بالنسبة لصلة الاب قول  
غسان بن وعله :-

اذا كنت في سعد وامك منهم      غربيا فلا يغرك خالك من سعد  
فان ابن اخت القوم مصفى اناؤه      اذا لم يزاحم خاله باب جلد (٢)

#### ٤ - الام في صلات العصبية :-

تدل البحوث الادبية والتاريخية على أن الام كانت محورا تدور عليه  
كثير من الاحداث الخطيرة في الجاهلية حتى ان الرواة والاخباريين والمؤرخين  
يصعب عليهم تفهم تلك الاحداث من دون معرفة العلاقات بين الأفراد ، الذين  
يتصلون بها ، والقراية من جهة الام التي بينهم ، ذلك لقيمة هذه القراية في  
نفوسهم . وقد صور الشعر ما يدل على هذه القيمة وتأثيرها في علاقاتهم  
وصلاتهم المختلفة . قال غلاق بن مروان بن الحكم بن زنباع في حرب  
داحس والغبراء :-

هم قطعوا الارحام بيني وبينهم      وأجروا اليها واستحلوا المحارما  
فيا ليتهم كانوا لاخرى مكانها      ولم تلدى شيئا من القوم فاطما (٣)

كما أوضح أثر القراية في نفوس أبناء القبائل ، نابغة بنى جعدة بقوله :

---

(١) الكامل ج ١ ص ١٩١ .  
(٢) حماسة أبي تمام ج ١ ص ١٤٣ .  
(٣) حماسة أبي تمام : ج ١ ص ١٢٧ . أجروا اليها - اجروا  
فعلهم الى القطيعة .

وشاركنا قريشاً في تقاها      وفي أنسابها شرك العنان  
بما ولدت نساء بنى هلال      وما ولدت نساء بنى اiban (١)  
فأشار الى آمنة بنت اiban أم أبي معيط وكانت تحت أمية بن  
عبدشمس ، فلما مات خلف عليها ابنه أبو عمرو على قاعدتهم الجاهلية .  
نعم كان على الرواة أن يعرفوا هذه الصلات بين القبائل والأفراد اذ ان  
الأحداث يختلف تصورهما ومعرفة طبيعتها بادراك هذه الصلات العائلية  
التي تستند على القرابة من الام وكثيرا ما يغيب عنهم سبب العداوة أو الصداقة  
بين أبطال قصة من قصصهم ، ولهذا نجدهم اذا ما استبان لهم وجه القرابة  
من جهة الام، عنوا عناية خاصة بذكرها ثم بنوا أحكامهم عليها فهم يذكرون اسم  
الام وقبيلتها وصلتها بالأفراد الآخرين لايضاح قضية من قضاياهم (٢) .  
كان من الضروري جدا في البيئة التي شاع فيها نظام تعدد الأزواج معرفة الام  
وقوة صلة الأفراد بها وخاصة منهم الاخوة والاخوات ان كانوا من ام واحدة  
أو من امهات متعددة الامر الذي عنى به الرواة أحيانا (٣) فحسبوا للقرابة  
من الام حسابا . قال القتال الكلابي :-

نشدت زيادا والمقامة بيننا      وذكرته أرحام سحر وهيشم  
فلما رأيت انه غير متته      أملت له كفى بلدن مقوم (٤)  
لقد صور الشاعر بوضوح كيف كان تأثير الصلة من جهة الام في  
المهادنة التي انتهجها أولا مع خصمه زيادة كما صور مدى هذه الصلة في  
التأثير على استمرار المهادنة حتى القطيعة والحرب .

(١) الاغانى ج ١ ص ٩ .

(٢) النقائض ص ١٩٠ .

(٣) Ils Lichtenstadter: Woman in the Aiyam  
Al - Arabe P. 6

(٤) حماسة أبي تمام ج ١ ص ٤٩ .

٥ - صورة الام فى نفوس بنيتها :-

يفتح الطفل عينيه فى هذه الحياة فيرى انه معلق بامه، تلتف ذراعاها على عنقها، ويستريح فى حضنها، وينام على صدرها • فيعرف، من أول يوم يقدر فيه أن يحس ويدرك، أنه جزء من امه، وتقوى هذه المعرفة وتشتد كلما نما وشب • وشعور الابن العربى باتصاله بامه من أقوى أنواع هذا الشعور الذى لدى أبناء الشعوب كافة • انه يعلم انه يشارك امه حظها فى الوجود، يشاركها فى مجدها وقوتها وشرفها ويعلم انه منها واليها • والسر فى ادراك العربى لهذه المعانى أكثر بكثير من أبناء الامم الاخرى يعود الى محيطه وطبيعته • فمحيطه محيط عصية وتكلم وتفاخر وتناز • وطبيعته وتربيته بسيطة وليس لديه تعقيد فكرى وهو قوى الملاحظة شجاع جواد وفى، كل هذه الصفات جعلته يضع من كان سببا لوجوده نصب عينيه كل حين • والشعر الجاهلى يبين كيف كانت صورة الام فى نفوس بنيتها واضحة قوية • قال زياد بن واصل السلمى :-

عزتنا نساء بنى عامر      قسما الرجال هوانا مينا  
ونحن بنوهن يوم الصفا      ق، اذ تقبل القوم وعنا حزونا  
بضرب كولغ ذكور الذنا      ب تسمع للهام فيها رينا  
الى قوله :-

وكنا مع الخيل حتى استوت      شباب الرجال وسروا العيونا  
ولما تبين أصواتنا      بكين وفديننا بالايينا (١)  
يريد أنهن اتسبن الينا احتماعا بنا فأثرن النخوة فى نفوسنا فأوليننا  
الخصوم ظلما ومهانة، كيف لا ونحن يوم الحرب اذ تقابل الخصوم دفاعا

(١) الفصل للزمخشري ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٧ •

عنهن قابلناهم بضرب شديد ، فلما سمعن أصواتنا بكين وافتدينا بأبائهن •  
لتأمل مليا من أين تنبع هذه البسالة والفتوة الحققة ، من الذى الهم  
هؤلاء الابناء أن يسوموا الرجال ذلك الهوان المين ؟ ومن الذى أذكى فى  
نفوسهم القوة والجلد فضربوا الاعداء ضربا « كولغ ذكور الذئاب » فقرعوا  
هاماتهم وانشعبت بعد رنين والى آخر هذا اللون من الفروسية الصادقة ؟ من  
أين نبتت تلك الشهامة والنخوة لنجدة من دعونهم بالبنين ؟ انها ، ولا شك ،  
نبتت من قلب الام فسرت الى أفئدة الابناء ولاحت فى سواعدهم القوية •  
هذا ما يلمسه قارىء الايات بشكل واضح لا غموض فيه •

ومما يصور شدة اعتزاز الابناء بامهاتهم وتعلقهم بهن قول اياس بن  
قيصة :

فما ولدتنى حاضن ربيعة      لئن أنا مالات الهوى لاتباعها (١)  
فالشاعر يدعو على نفسه أن لا تكون الحاضن الربيعية قد ولدته اذا ما اتبع ما  
نهى نفسه عن اتباعه ، وكان قد نهاها عن اتباع النساء • وفى هذا الدعاء دلالة  
واضحة جدا على شدة تعلق المرء بامه وشعوره بالفخار لصلته بها • فهو يدعو  
على نفسه أن يفقد ذلك الفخار والجاه العظيم الذى جاءه منها اذا ما خالف  
عهده ، واذا كانت الام ممن عرفن بمقامهن الرفيع وشرف مكاتهن الاجتماعية  
كان تعلق الاولاد بها ومحافظتهم على تلك الصلات أمرا ملحوظا •

ومما يدل على مثل هذا الشعور تفديه جواد العرب المشهور بامه  
وخالته ، ولا يفدى الا بأعز ما لدى الانسان خاصة اذا كان مثل حاتم •  
فقد قال :-

فمهلا فداك اليوم امى وخالتى      فلا يأمرنى بالدية أسود (٢)

---

(١) حماسة أبى تمام ج ١ ص ٥١ ، شعراء النصرانية ص ١٣٧ •  
(٢) حاتم الطائي - شعراء النصرانية ص ١١٣ ، ( ومثله قول  
الاسود فى ديوانه القصيدة رقم ٣٣ « فدى لك امى يوم تضرب واثلا ••• »

فهو يحس بما جاءه من شرف عظيم من امه وخالته لان الام الشريفة تكسب ولدها من جاهها وشرفها . وهذا ما كان يحس به الافراد في تلك البيئة التي كانت تعنى أجل العناية بالعزة والجاه والشرف وتفخر بالانساب . وبمكس هذا الام الوضيعة المغمورة النسب فكانت ضعتها تؤثر في ابنها حتى وان كان من الاكفاء . فمن هذا يظهر كيف أن الام تشارك ابنها في شرفها وضعتها شاء أم أبي يرتفع برفعتها ويتضع بضعتها . يقول عروة بن الورد :-  
هم عيرونى أن امى غريسة      وهل فى كريم ماجد ما يعير (١)  
فهو يرى أن فضله وكرمه ينبغى أن يعنى عن النظر الى أصل امه ، ولكن الناس لا يرون ذلك وانما هو مجرد دفاع دافع به عن نفسه ولهذا نجده يخلطه بامور اخرى . وهذا اللون من الدفاع يدل على أن فى قرارة النفس شيئا من الشعور بالنقص اذ يحاول أن يوجه أنظار الناس الى نواح اخرى فى الايات التالية . ومن دفاعه أيضا :

أعيرومنى أن امى نزيعة      وهل ينجين فى القوم الا النزاع  
وما طالب الاوتار الا ابن حرة      طويل نجاد السيف عارى الا شجاع (٢)  
فيقول ان النزاع هن المنجات ، فليس من عار اذن أن يكن نزاع . ويعود يتحدث عن نفسه بأنه طالب للاوتار آخذ للحقوق ، والذي يجد فى طلب الثأر وينال حقه هو ابن حرة . فكأنه يريد أن يقول أن امه كالحرة وليس فى انتزاعها أى عار ما دامت قد انجبت ولدا طويل نجاد السيف ، فارسا ، خشنا صبورا يأخذ حقه بيده .

ومما يصور الشعور القوى بالصلة بالام ما روى من أن رجلا يمانيا من

(٢) عروة بن الورد - ديوانه ص ٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٤ ، شعراء النصرانية ص ٩١٤ ( ويقول

المثل العربى النزاع لا القرائب - الميدانى ج ص ٣٠٥ ) .

أم حنظلية قال لحصمه وهو يرميه بسهمه « خذنه منى فان امى حنظلية » فأجابه الحصم « ثكلتك امك ، لقد نازلتني كثير من أبناء الحنظليات فلم ينالوا منى شيئا » (١) ومن هذا يتضح أن كلا من المتخاصمين قد اعترف مبدئيا بأثر القرابة والصلة من جهة الام كأنها قاعدة أساسية مسلمة أى أن الانسان يكسب من امه بالوراثة ما عرف عنها من شجاعة وكرم وجاه وغير ذلك من الصفات .

وليست الام وحدها هي التي تؤثر في خلق الاولاد بنظر العرب ، انما كانوا يعتقدون أن صفات الحال تنتقل أيضا الى ابن اخته ولو بعد زمن طويل فمن أقوالهم الدالة على ذلك قولهم « نزعة عرق الحال » (٢) ولا زالت هذه الامثال وأشباهاها شائعة في دنيا العربية اليوم ، كلها تدل على أثر الخنولة في ابن الاخت . فنقول أمثالنا « مثلنا الولد لخاله » و « الاصيل يخول » (٣) وأهم من هذا أن النبي صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكرم سعد بن أبي وقاص قبض على يده وقال « هذا خالى » (٤) . ويستفاد مقدار اعتقادهم في تأثير الخنولة أيضا من كلام عمرو بن الاهتم عن الزبير بن بدر ، أحد شيوخ العرب المشهورين ، حين أراد أن يذمه عند النبي الكريم اذ وصفه بأنه « زمن المروآت ، ضيق العطن ، أحسق الولد ، لثيم الخال » (٥) قال الشاعر يمتدح خاله :

(١) النقائص ص ٥١ .

(٢) الطبرى ج ١ ص ٩٩ .

(٣) كثير من هذه الامثال نجدتها شائعة في العراق ومصر وسورية والحجاز والمغرب وغيرها من البلاد العربية .

(٤) ابن الاثير : أسد الغابة ج ٢ ص ٢٩١ . أم الرسول زهرية

بنت عم سعد يجتمعان في عبدمناف .

(٥) العقد الفريد ج ١ ص ١٤٤ .

خالى لانت ومن عويف خاله ينل العلاء ويكرم الاخوالا (١)  
وفى هذه الاقوال كلها وغيرها دلالة قوية على تأشير الأم وتأشير الخثولة  
عندهم (٢) . وقد تبين من الامثال التي جمعها « فريتاج » ان العرب اذا  
أرادوا أن يقفوا على حالة المرأ يسألونه عن خاله أولا ، لا عن أبيه ، كما  
تبين لهذا الباحث أن الشرف الحقيقي الاصيل عندهم هو الذي يأتي من  
المرأة لا الرجل (٣) . والظاهر عندنا ان هذا كان في اليهود المتغلغلة في  
القدم من العصر الجاهلي . هذا ويجدر بنا ان لا يغيب عن ذهننا أن علاقة  
الخثولة لا تقتصر على علاقة الخال أخ الأم وحده وانما هي علاقة قبيلة الخال  
كلها (٤) . فكثيرا ما يكون ارتباط رجل بأخر انما يرجع الى علاقة  
الخثولة ومن أجل ذلك يذكر الرواة الام الى جانب ابنها فيقال مثلا . ان امه  
مارية بنت نهشل بن دارم . (٥) ويكون هذا اذا كانت الام شريفة مشهورة  
وأغلب الظن ان لعهد الامومة القديم عند العرب اثر في تقوية هذا الرباط  
بين الرجل واخواله بحيث صار الخال احيانا أقرب من العم وهذه الظاهرة  
نجدها عند الساميين كافة (٦) .

ولهذه الصلة في نظرهم كانوا يعتبرون طلب المساعدة من الاخوال

- 
- (١) هذا البيت من شواهد سيبويه التي لم يعرف قائلها .  
ويروى جرير وتميم ج ١ ص ٢٢٨ .
- (٢) Bevan James: Woman in Islam P. 19
- (٣) Fereytaz: Einelintung in des Studium du Arabishen Sprache , P. 46
- (٤) Smith: Kinship & Marriage P. 71 Ils
- (٥) Lichtenstadter: Weman in the Aiyam Al-Arab P. 7
- (٦) النقااض ص ٩٤٥ .  
Encyclopaedia of Religoin Vol 8 P. 467

أمرا مقبولا ، وان كان من يعتمد منهم على نفسه ويستغنى عن مساعدة  
الايخوال يقدر في نظرهم . فقد روى أبو الفرج عن ابن الكلبي أن ريحانه  
بنت معد يكرب الزبيدي قالت لدريد بن الصمة ، بعد أن مر حول كامل  
على مقتل أخيه : « يا بني ان كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك فاستعن  
بخالك وعشيرته من زبيد » فأنف من ذلك وحلف لا يكتحل ، ولا يدهن ،  
ولا يمس طيبا ، ولا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا ، حتى يدرك ثأره .  
فغزا غزاته وجاءها بدؤاب بن اسماء فقتله بفنائها وقال : « هل بلغت ما في  
نفسك ؟ » قالت : نعم ، متعت بك <sup>(١)</sup> . وفي كلامها هذا معنى اللوم على  
طول مدة الاخذ بالثأر وكان دريد قد حزن حزنا عميقا على أخيه . ومم  
قاله في رثائه ، يذكر رابطة الامومة بينهما :-

اعاذلتي كل امرئ وابن أمه متاع كزاد الراكب المنزود <sup>(٢)</sup>  
وفي هذا ما يصور علاقة الاولاد بأمهاتهم وأقربائهن . ومع ذلك فقد روى  
على سبيل الاستثناء بعض الحوادث الدالة على ميل الولد مع أقرباء أبيه على  
أخواله ، فقد ثار بعضهم لآبيه من أخواله <sup>(٣)</sup> ومن هذا ما روى عن ابن جلييلة  
زوجة المهلهل من أنه قتل جساسا خاله مع أنه كان يعيش في كنفه وذلك  
ثارا لآبيه <sup>(٤)</sup> . وكما فعل أبو جدابة اذ انتصر لشييان على أخواله <sup>(٥)</sup> .

وقد صور الشعر الجاهلي اضطراب العلاقة بين الرجل وبين أخواله  
في بعض الاحيان اذ من الجائز أن تفسد الصلات بين الاقرباء بسبب بعض

---

(١) الاغانى ج ٩ ص ٦ ، ج ١٤ ص ٢٦ ، النقائض ص ٧١ ، ٥٨٣ ، ١٠٦١ .

(٢) دريد بن الصمة - الاغانى ج ٩ ص ٤ .

(٣) النقائض ص ٦٨٠ .

(٤) الاغانى ج ١٤ ص ١٥٠ ،

G. de Percival, Vol. II P. 336

(٥) شاعرات العرب لبشير يموت ص ٢٦ .

الامور ، وان كانت العادة أن يكون الأخوال مناصرين ومحبين لابن أختهم ، ولهذا لم نجد في الشعر الجاهلي ما يدل على أن العلاقة كانت تسوء الى درجة أن تنقطع جميع وشائج القرابة والصدقة بين الرجل وأخواله ، وكل ما هنالك أن الصلات قد تضطرب الى حد ما وتتكرر العلاقات الى حين الا أن شعور القربى يبقى على الدوام . هذا ما صوره شعر المثلثس في أخواله تصويرا واضحا . اذ عبره بعضهم بأمه فقال يرد عليه :-

يعيرني امي رجال ولن ترى      أخا كرم الا بأن يتكرما  
ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن      له حسبا كان اللثيم المذمما  
أحارث انا لو تشاظ دماؤنا      تزيلن حتى لا يمس دم دما

فكان بعض الافراد عيروه بأمه وقد غضب لذلك فقال ، انه كريم وعلى الكريم أن يحفظ كرامته وأن يدافع عن شرفه وحسبه ، وان لم يفعل ذلك كان لثيما مذمما . ثم يتوجه الى رجل سماه حارثا ، وهو الحارث بن التوأم الشكري ، وكان عمرو بن هند قد سأله عن نسب المثلثس ، فأراد أن يدعيه وهو من أخواله ، لان المثلثس ، كما هو معروف ، نشأ في أخواله بنى يشكر ، ومع ذلك لم يرض الا أن ينسب لقومه ، فقال له ان دمي ودمك لو أمكن أن يفصلا لانفصل أحدهما عن الآخر ، وتميزا منفصلين بحيث لا يقتربان ولا يتماسان . واستمر يرد عليه بقوله :

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى      جعلت لهم فوق العرانيين ميسما  
وهل لى أم غيرها ان تركتها      أبى الله الا أن أكون لها ابنا<sup>(١)</sup>

فهو يقول : لو ان الذين عابوه كانوا غرباء عنه لهجاهم وانتقم منهم . فهو اذن يشعر بأن أخواله منه فليس له أن يعيهم أو ينتقصهم ، ثم يقول انه ليس له أم غير امه هذه فلا يستطيع

(١) المثلثس : ديوانه القصيدة رقم ٢١ ، الاغانى ج ٢١ ص ١٨٧ .

أن يتركها ولا أن يكون لها الا ابنا بارا كريما • ويصور بعد هذا حاله لو  
 أراد أن يقتص من أخواله ، فيعبر عن حبه وصلته المتينة بهم أثناء ذلك :-  
 وما كنت الا مثل قاطع كفه      يكف له اخرى فأصبح أجذما  
 فلما استقاد الكف بالكف لم يجد      له دركا في أن تينا فأحجما  
 يدها أصابت هذه حنف هذه      فلم تجد الاخرى عليها مقدا  
 فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى      مساغا لنايه الشجاع لضمما  
 وقد كنت ترجو أن أكون لعقبكم      زنيما فما أجزرت أن أتكلما (١)

انه يقول : اننى ان قاصصت أخوالى أكون كمن له كف يقطعها بكفه الاخرى  
 ثم يشنى على هذه الاخرى الباقية فيقطعها جزاء لها على قطعها الاولى فيعود  
 بالتالى وقد فقد كفيه معا وتالم مرتين عند قطعه الكف الاولى ثم عند قطعه  
 الكف الثانية لان الجرم والجزاء معا قد وقعا فيه • ويقول اننى قد تصورت  
 هذه القضية بالنسبة لآخوالى فأحجمت عن مطالبتهم بالنار اذ لم أجد طعن  
 آخوالى بهجائى جائزا فهم منى وأنا منهم • وان مثلى واياهم كمثل الحية التى  
 تحمل فى أنيابها السم الزعاف ولكنها لا تجد موضعا تنفثه فيه فتظل مطرقة  
 حيرى • اننى مع آخوالى كهذه الحية فليس لى أن أنفث فيهم سم فصائدى  
 لاننى ان فعلت أكون قد هجوت نفسى •

ونجده يصور أخيرا الام باعتبارها صلة للمقاربة والعلاقات التى يرى  
 أن المحافظة عليها أمرا ضروريا • ويشبهها فى ربطها الافراد بعضهم بعض  
 بالحبل ، فان الحبل اذا ما زيد فى فتله لا بد أن يؤدى ذلك أخيرا به الى أن  
 ينقطع كما يشبه الصلات بالأديم الذى اذا ما كثر فيه الخرق فلا يفيد فيه  
 التكتيب ، والربط :-

(١) المتلمس - ديوانه - القصيدة رقم ١ ، الاغانى - ج ٢١ ص

١٨٧ ، مجموع اشعار العرب لوليم بن الورد ج ١ ص ٦٤ •

إذا لم يزل جبل القرنين يلتوى فلا بد يوما من قوى أن تجذما  
إذا ما أديم القوم أنهجه البلى تفرى وان كتبه وتخرما (١)  
فالملمس اذن يحب أخواله ، ويتولاهم ، وهذا لا يمنع صلته بأقربائه من  
أبيه ، وحبهم له ، فهو يرى كلا من هؤلاء له مكانته فلا ينبغي أن تطفى  
علاقته ببعضهم على علاقته ببعضهم الآخر يقول :

ألكنى الى قومي ضيعة انهم أناسى فلوموا بعد ذلك أو دعوا  
وقد كان أخوالى كريما جوارهم ولكن أصل العود من حيث ينزع (٢)  
فأعلمه فى نظره هم أصله الذى نزع منه وعليه أن يرجع اليهم وان كانت  
علاقته بأخواله كريمة ومحترمة فى نظره .

## ٦ - الام المريية :-

يدل الشعر والايخار والقصص على أن الام العربية كانت لها آثار  
بعيدة فى تربية ولدها وفى تكوين عاداته وأخلاقه . وكانت تترك لشخصها  
صورة واضحة جلية كأحسن ما يكون الوضوح والجلال فى نفس ولدها ،  
ولا يغيب عن باله ما نشأته امه عليه من العادات والاخلاق طرفة عين . وكان  
يجد فى امه مصدرا للقوة والبأس ، ومصدرا للعطف والحنان . وهى سراج  
الذى يهديه فى هذه الحياة وكهفه الذى آواه ففتح عينيه فى أحضانها ،  
مدرسته الاولى والمربي المخلص المطاع .

كان العرب يؤمنون بآثار التربية والوراثة ايمانا قويا واكثر ما ذهبوا  
اليه هو نتيجة تجاربهم وملاحظاتهم الدقيقة وقد أقر العلم الحديث كثيرا من  
أرائهم . والعرب عرفوا بحرصهم على تربية الطفل وكانت الامهات تغرس

(١) الملمس - ديوانه - القصيدة رقم ١ .

(٢) المصدر السابق .

في نفوس الابناء منذ نعومة أظفارهم حب الرجولة والفضائل الموروثة ،  
فقد روى عن منقوسة بنت زيد الحليل أنها كانت ترقص طفلها وتعني له  
بقولها :

اشبه أخى أو اشبهن أباكأ أما أبى فلن تنال ذاكأ

تقصر عن مناله يداكأ (١)

فهى تقوى فى نفس طفلها حب الاستطلاع وتوجه نظره الى معرفة أحوال  
جده لانه ليعرف ما أثره كما توجه نظره الى خاله وأبيه وكلهم فارس جواد .  
وروى عن أم عبدالله بن عباس أنها كانت ترقص ابنها وتناغيه قائلة :

تكلت نفسى وتكلت بكرى ان لم يسد فهرا وغير فهرا

بالحسب الوافى وبذل الكثر (٢)

وروى عن فاطمة بنت أسد أنها كانت ترقص عقيل بن أبى طالب وتقول :-

أنت تكون ماجد نبيل اذا تهب شمال بلبيل (٣)

فنبعث فى نفسه الامل والثقة وحب الكرم . والعرب منذ القديم كانوا يؤمنون  
بأن فى أحضان الكرىمات ينشأ الرجال الكرام والابطال العظام ، لان آثار  
الامهات وصور الوالدات تكون بادية فى نفوس الابناء . فقد رويت روايات  
وأشعار كثيرة تصور ما يعتقدونه من تأثير تربية الامهات واحوالهن على  
الاولاد . فذكروا مثلا أن الغيرى لا تنجب ، يقول عمرو بن معد يكرب :-  
ألست قصيرا اذا ما نسب - - - بين المغارة والأحمق (٤)

(١) عفيفى - المرأة فى جاهليتها واسلامها . ج ١ ص ٨١ ، المرتضى :

الامالى ج ٤ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) محمد البندارى - المرأة ومركزها الاجتماعى ص ١٧٧ .

(٣) المرأة فى جاهليتها واسلامها لعفيفى ج ١ ص ٨١ .

(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٥٢ ، عيون الاخبار ج ٢ ص ٦٥ .

المغارة التى أثار زوجها الغيرة فى نفسها بزواجه عليها .

ويعتقدون أن العربية يكون أولادها أقباء بخلاف القريبة ( وهذا ما أيده علم الوراثة الحديث ) قال شاعرهم :-

تنجيتها للنسل وهي غريبة فجاءت به كالبدر خرقا معصا  
فلو شاتم الفتيان في الحى ظلما لما وجدوا غير التكذب مسلما (١)  
فهى ولدته قويا يهابه أقرانه الفتيان فلا يغلبه منهم أحد . ومن الذين ظهرت  
فيهم آثار تربية امهاتهم الجواد المعروف حاتم الطائي فهو ابن عتبة بنت عفيف ،  
وكانت ذات يسار ، عرفت بأنها أسخى الناس ، وأقراهم للضيف حتى حجر  
عليها اخوتها فقالت لهم :-

فماذا عساكم أن تقولوا لاخنتكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعا  
وماذا ترون اليوم الا طبيعة فكيف بتركي يا بن أم الطبايعا (٢)  
وما أظهر هذا الروح في شعر حاتم وفي تصرفاته لانه غصن هذه الدوحة .  
ومن آرائهم التربوية التي توصلوا اليها بطريق تجاربهم وملاحظاتهم ما رواه  
المسعودى اذ قال :-

« ومما عرف عن العربية انها مثلا لا تنوم ولدها وهو يبكي خوف أن  
يسرى الهم في جسده ، ويدب في عروقه ، ولسكنها تنازعه وتضاحكه حتى  
ينام ، وهو فرح مسرور ، فينمو جسده ، ويصفو لونه ودمه ، ويشف عقله .  
والطفل يرتاح الى الغناء ، ويستبدل بكائه ضحكا » (٣) .

وعلاقة الولد عندهم بامه علاقة اخلاص وحب وهذا يستتج من  
مساعداتها له في الشدائد فقد صور نفسه عدى بن زيد كيف زارته امه في  
سجنه عند النعمان ملك الحيرة وصور اشتياقها له واستيائها الشديد لرؤيته  
مكبلا بالحديد :-

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) الاغانى ج ١٦ ص ٩٧ .

(٣) مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٠ « مطبعة الرجاء بمصر » .

ولقد ساءني زيارة ذي قر بي حبيب لودنا مشتاق  
ساء ما بنا تبين في الايدى واشتاقها الى الاعناق (١)  
وقد صور كذلك عروة بن الورد سعى الام لخدمة أبنائها وخدماتها العظيمة  
واخلاصها المنقطع النظير لهم فشبّه نفسه مع أصدقائه بها في قوله :  
فاني واياكم كذى الام أرهنت له ماء عينيها تغذى وتحمل (٢)  
كما عرض صخر أخو الخنساء صورة قارن فيها بين حب الام وأملها في  
ابنها وحب الزوجة له . قال :-

أرى أم صخر لا تمل عيادتي وماتت سليمانى مضجعى ومكاني  
وما كنت أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يغتر بالحدثان  
فأى امرىء ساوى بأم حليمة فلا عاش الا في أذى وهوان (٣)

وقيل من أمر هذه الايات أنه لما سمع زوجته ، يسألها البعض عنه وهو  
مريض ، تقول عنه « لا حيا فيرجى ولا ميتا فينسى » وكانت امه تقول « أصبح  
بحمد الله صالحا » فغضب وقال تلك الأبيات .

ولشدة حب الام لولدها كانت تحرص على ماله فنجدها تلومه على  
اسرافه قال الاسود يحكى قول امه :-

تقول ابنة العباب رهم حربتنى حطائط لم تترك لنفسك مقعدا  
اذا ما جمعنا صرمة بعد هجمة تكون علينا كأبن أمك أسودا  
فقلت ولم أعى الجواب تأملى أكان هزالا حنفت زيد وأربدا

---

(١) عدى بن زيد - الاغانى ج ٢ ص ٢٧ ، شعراء النصرانية

ص ٤٥٤ .

(٢) عروة بن الورد - ديوانه ص ٣٦ .

(٣) صخر أخو الخنساء - الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٣ ، ابن

خلكان - الوفيات ج ١ ص ١٣٢ ، عيون الاخبار ج ٤ ص ١١٩ .

أربنى جوادا مات هزلا لعلني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا (١)  
فهذا الشعر يصور أم الفارسين لائمة على كثرة الانفاق • ونظرة الام تختلف  
عن نظرة أولادها الابطال • اذ أن جمع المال والحرص عليه فيه شيء كبير من  
من الشعور بالنقص والضعف في رأيه وهذا مما يضير بالرجل ، وبخلاف  
المرأة لان الجمع والادخار من طبيعتها لهذا كان أولادها لا ينظرون الى المال  
الا على أنه وسيلة مؤقتة ، وان اعتمادهم الاساسي يجب أن يكون على الشجاعة  
والبطولة وحسن السمعة • فهذه الصفات هي التي يستطيعون بها في كل حين  
أن يحصلوا على المال بسهولة • وقالوا انهم يشترون بمالهم قلوب الرجال  
فيجعلون لهم من الاصدقاء والمناصرين قوة تضاف الى قوتهم • ولهذا ترى  
الاجواد في الجاهلية أكثرهم من الشجعان وكذلك نجد الشجعان أكثرهم  
كراما • فقد اقترنت الفروسية بالكرم في الجاهلية اقترانا واضحا واظن انها  
كذلك في جميع الاحوال • ولهذا يسأل الاسود انه أن تريه جوادا مات  
جوعا ، اذ كيف يموت الفارس جوعا ، واناس ترهب جانبه وتخطب وده  
وكيف يعز عليه شيء والاموال ترمى بين يديه • أما الام فتسلك مسلك ربة  
البيت ، التي من زيتتها التدبير ومن أسلحتها الادخار •

وقد لقيت الام في الجاهلية طاعة من أولادها في الغالب فقد روى أن  
بشر بن أبي خازم الاسدي ، وكان من قدماء الشعراء في الجاهلية وعبدا من  
العبيد ، هجا يوما أوس بن حارث بن لام فعمل أوس حتى اشترى بشرا  
فأراد أن يقطع لسانه ، لكن أمه علمت بذلك فقالت له : « يا بني مات أبوك  
فرجوتك لقومك عامة ، فأصبحت أرجوك لنفسك خاصة ، وزعمت أنك  
قاطع لسان رجل هجاك ، فمن يمحو من يقوله غيره ؟ » قال « ما أصنع ؟ »  
قالت « تكسوه حلتك ، وتحمله على راحلتك وتأمر له بمائة ناقة » ففعل

(١) الاغانى - ج ١١ ص ١٣٩ ، شعراء النصرانية ص ٤٧٧ •

ما قالت فملاً بشر بعد ذلك الآفاق بمدائح أوس (١) .

وكانت الام مناط اخلاص ابنها يتألم لألمها ويفرح لفرحها فقد ذكر  
السليك بن السلكة السعدي كيف كان يتألم لحالة الاماء لان أمه أمة  
منهن (٢) . ومن أجل ذلك كان العرب لا يعززون بالمرأة عند الوفاة  
الا اذا كانت أمماً (٣) وكان هذا شأنها عند اليونان ايضا .

والام العربية كانت تطبع في نفوس بنينا من أخلاقها وروحها ما كانت  
تمتاز به من شعور بالفخر وثقة بالذات (٤) ، واننا لنلمس مكائنها الممتازة  
التي احتلتها من نفوس أبنائها وعند قومها لا في الفروسية والتضحية من  
اجلها فحسب ، بل في الشعر والتاريخ والاساطير ، الى درجة أن العرب  
يلقبون الامهات بألقاب . فمن تنجب ثلاثة أولاد فأكثر من النابهين الممتازين  
تسمى ( بالمنجبة ) (٥) اعلانا لتفوقها في أداء رسالتها الاجتماعية . فالمنجبة  
اذن هي من يدرج في حجرها الاطفال النجباء . والمنجبات كثيرات في الجاهلية  
منهن فاطمة بنت الحرشب الانمارية ، وكان لها سبعة أولاد مشهورون ،  
منهم الربيع بن زياد العبسي (٦) . ومما روى عنها انها كانت تسير في طعائن  
من عبس فعرض لها زهير بن قيس واقتاد جملها يريد أن يرتهنها بدرع من  
الدروع حتى ترد اليه فقالت له : « ما رأيت كالיום قط فعل رجل ، أين  
ذهب حلمك ، أترجو أن تصلح أنت وبنو زياد ابدا ، وقد أخذت امهم

(١) بلاغات النساء ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) المرأة في جاهليتها واسلامها لعفيفي ص ٨١ - ١١٤ .

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٤) النقائض ص ٩٠ .

(٥) الميداني - مجمع الامثال ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٦) Nicholson : A Literary His. of the Arabs, P. 88

Bevan James : Woman in Islam, P. 6

وذهبت بها يمينا وشمالا ، فقال الناس في ذلك ما شاؤا ، وحسبك من شر  
سماعه ، فعرف قيس بن زهير ما قالت فخطى سبيلها • وقال في ذلك :  
ألم يبلغك والانباء تنمى بما لاقى لبون بنى زياد  
ومجسها على القرشى تشرى بأدراع وأسياف حداد (١)  
وكان العرب اذا أرادوا تكريم الام كنوها بأسم بنيتها كما خاطب  
عروة بن الورد زوجته وكان يحبها كثيرا :-

ذرينى ونفسى أم حسان انى بها قبل ألا أملك البيع مشتري (٢)  
هذا وهناك بعض الاحوال النادرة رأينا صورها فى الشعر، كانت الام فيها  
موضع سخط بنيتها فقد هجا الخطيئة أمه ، لأنها تزوجت من رجال كثيرين •  
فلما سألتها عن أبيه خلطت عليه وقالت له : « انك لست من أب واحد ،  
وانما انت من آباء كثيرين فغضب وتبرم فهجاها (٣) وكذلك كان العجيف  
يكره أمه فدعى عليها بالموت (٤) • وهذه صورة نادرة وهى لا تؤثر فى  
الصورة العامة التى نجدها فى الشعر للام المحترمة المطاعة التى تربي فتحسن  
التربية •

#### ٧ - الام وزوجة ابنها :

وقصة الام وزوجة ابنها قصة قديمة طويلة معقدة • وربما رجعت  
الى اليوم الاول الذى شعرت الزوجة فيه بحقها على الزوج ، وبانفرادها  
فى هذا الحق وبعبارة اخرى من اليوم الذى وجدت فيه الزوجة الى جانب  
الام • وأساس هذه المنافسة بين الام والزوجة يرجع الى الحرص والانانية

(١) النقائص ص ٩٠ •

(٢) عروة بن الورد - ديوانه ص ٢٨ • وتلاحظ ص ٢٩ •

(٣) الخطيئة : الاغانى ج ٢ ص ٤٤ - ٤٦ ، مجمع الامثال ج ١  
ص ١٣٧ •

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٢٢٩ •

فقالم تشعر بأنها أحق بولدها ، لأنعابها الجسمية السابقة ، التي لا تقدر •  
والزوجة تعتبره شريك حياتها ، وتريد أن يخلص لها كما خلصت له •  
وهي الشعر نجد تصوير هذه المنافسة المستحكمة بينهما قال عروة :

فانى وإياكم كذى الام أرهنت له ماء عينيها تفدى وتحمل  
قلما ترجت نفعه وشبابه أتت دونها اخرى جديد تكحل  
فبات لحد المرفقين كليهما توحوح مما نابها وتولول  
تخير من أمرين ليسا بغبطة هو الثكل الا أنها قد تجمل (١)

فقد رأى عروة في حب الام شيئا من الانانية ، اذ قال : انها ترجى  
النفع بعد الشباب • فهي تحزن لأن أملها فيه قد خاب بوجود زوجته وقد  
صور شدة تألم الأم لذلك وما كانت تمناء •

والأم قد تحرم في بعض الاحيان من خير ولدها ، فتال منه غلظة  
وخشونة ، وهذا مما يحز في قلبها ، ويؤلمها أشد الالام • وهذا ما صوره  
قول أم ثواب الهزانية في ابن عقبا :

ربينه وهو مثل الفرخ ، أعظمه أم الطعام ، ترى في جلده زغباً  
الى قولها :

أنشأ يمزق أثوابى يؤدبنى أبعد شيبى عندى يتغى الأدبا  
انى لابصر فى ترجيل لمتنه وخط لحيته فى خده عجبا  
قالت له عرسه يوما لتسمنى مهلا فان لنا فى امنا اربسا  
ولو رأتنى فى نار مسعرة به استطاعت لزادت فوقها حطبا (٢)

(١) عروة بن الورد - ديوانه ص ٣٦ • لحد المرفقين = مكبة • هو  
الثكل الخ = أى أن يموت ابنها أو تتحمل وتصبر •  
(٢) حماسة أبى تمام ج ١ ٢٢٧ - ٢٢٨ •  
الكامل للمبرد : ص ١٣٦ ( باريس ) •

فالحصام ينشأ بين الام والزوجة ، من تطرف كل منهما فى رغبتها  
بالانفراد بالرجل ، فيعجز هو عن التوفيق بينهما ، وقد يميل مع أحد الجانبين الام  
أو الزوجة • وفى الشعر تصوير للام بسلاحها الضعيف أمام الزوجة ، اذ من  
الناس من ينسى الحقوق عليه سريعا بل قد يججدها • ولكن حقوق الام  
وذكر جميل أعمالها من الصفات الانسانية الحق ، ومن اسس العدالة  
القويمة الواجبة الرعاية ، لهذا نجد القرآن الكريم قد فصل فى ضرورة ذلك  
تفصيلا حارا مؤثرا فى النفوس خاصة فيما جاء فى وصية لقمان لابنه وهو  
يعظله (١) •

## الفصل الخامس

# الفتاة في السمر الجاهلي

١ - وصفها وتربيتها :-

نعنى بالفتاة هنا البنت المخدرة قبل زواجها وهى الشابة غالبا التى ذكرها الشاعر البكرى الحارث بن عباد وجعلها نظير ذات البعل فى قوله :-  
أسلموا كل ذات بعل واخرى ذات خدر غراء كالتمثال  
فيتناول هذا الفصل وصف الفتاة والدور الذى تقوم به فى الحياة المنزلية والقبيلة . وكثير من الحبيبات هن من الفتيات بنات البيوت المخدرات لكن هذا الفصل لا يتعرض لهن من حيث أنهن حبيبات لانا سبق أن خصصنا الفصل الثانى من الكتاب للمرأة الحبيبة .

صور الشعر الجاهلى الفتاة ، ولكن عنايته بها لم تبلغ عنايته بالمرأة الحبيبة ولا بالام ، لان دورها فى الاسرة وفى الحياة الاجتماعية والقبيلية هى أقل من أدوار تلك النساء لهذا اقتضى البحث تأخير الفصل الخاص بها عن فصليهما والفصل الخاص بالزوجة .

فقد صور هذا الشعر الفتاة وهى تنعم بالجاه ، والتربية العالية ، والعيش الرغد فى كنف أبيها ، وفى دارها التى تروح وتسرح فيها . وقال المرار ابن منقذ :

واعمتها ام صدق برة	وأب بر بها غير حكر
فهى خذوا بعيش ناعم	برد العيش عليها وقصر
لا تمس الأرض الا دونها	عن بلاط الأرض ثوب منعفر

تطأ الحز ولا تكرمه      وتطيل الذيل منه وتجر  
وترى الريط مواديع لها      شعرا تلبسها بعد شعر (١)  
قد أوضح ذلك الرخاء والعناية اللذين تنعمت بهما هذه الفتاة ،  
والسخاء الذى يتصف به أبواها اذ أسبغا عليها بروود العيش الرغد ، والحياة  
الهائثة ، فكان من مظاهر شرفها وبذخها أنها ترتدى الالبسة الطويلة من  
الحز وهو لباس غال تلبسه بنات الاسر الراقية التى منها هذه الفتاة ، ومع  
ذلك فهى ليست حريصة عليها ، فهى لا تعنى بها اذ تركها تنفر . وهى  
تجمل حتى شعارها من الريط وهو نسيج ثمين ولها من الشعر عدد كثير  
تلبس واحدا وتترك واحدا .

فهذه صورة واضحة لفتاة جاهلية ، عنى أهلها بأمرها واسترخصوا  
الغالى من أجل اسعادها وراحتها فحرصوا على تنشئتها فى الحز ، والحزير ،  
والحلى الغالية ، وتحت ظلال النعمة والجاه العريض . كما عرض النمر بن  
تولب بدوره لوسائل الزينة والطيب والغذاء الحسن الذى تنعمت به الفتاة  
من الطبقات الممتازة عندهم قال :

أناة عليها لؤلؤ وزبرجد      ونظم كأجواز الجراد المفصل  
يربتها الترعب والمحض خلفه      ومسك وكافور ولبنى تأكل  
يشن عليها الزعفران كأنه      دم قارت تعلى به ثم تغسل  
سواء عليها الشيخ لم تدر ما الصبا      اذا ما رأته والالوف المقتل (٢)

(١) المرار بن منقذ - المرأة العربية فى جاهليتها واسلامها - لعفيفى  
ج ١ ص ١٣ المفضليات ج ١ ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) النمر بن تولب - الجمهرة لابی زيد ص ١٠٩ . أناة - بطيئة .  
أجواز الجراد - أوساطها . يربتها - يغذوها . الترعب قطع السنام . خلفه -  
واحد بعد واحد . لبنى - شجر منه الطيب . يشن - يصب . قارت - جامد .  
تعلى - تطلى الالوف - من الف النساء . المقتل - الغزل .

فهو يصفها ببطء الحركة دلالة على نعمتها ، ويقول انها تتحلى باللؤلؤ ،  
والزبرجد ، والسموط المكونة من الاحجار الكريمة ، وقد رصفت بعضها  
فوق بعض رصف حلقات بطن الجرادة • وقال أنها تغذى بقطع السنم وهو  
أكرم اللحم في الجمل وهذا دليل العناية بها • ثم ذكر كثرة طيبها من مسك  
وكافور ولبنى • فهى لغناها يصب عليها الزعفران صبا وكأنه الدم القارت  
أى المتخثر • ثم صور فتوتها وصغر سنها وعدم تجاربها فى ميدان الحب  
والغرام بقوله انها لا تميز الشيخ العفيف الذى لا شغل له باللهو والتصايب ،  
من الشاب الذى يألف النساء ويحب مجالستهن وينعكف على مغازلتهن •  
فكلاهما سواء فى نظرها وفى معاملتها لهما •

والافراط فى الحياء والمبالغة فى العفة من الصفات التى تميز بها الفتاة  
عن غيرها من النساء • وهذه من القيم الاخلاقية التى توارثتها الاجيال العربية ،  
فاذا فقدتها الفتاة خرجت عن سيرة الفتيات من أمثالها • ومن هذا نجد الحفر  
والحياء من أهم الصفات التى ذكرها لها الجاهليون فى أشعارهم • ومن ذلك  
ما قاله السليك بن السلركة فى فكيتها ، وكانت فتاة من بنى عوار بن مالك ،  
وقد استجار بها فأجارته وهى مع حياؤها وخفرتها قد اخترطت السيف ،  
وقامت دونه تمنع الأعداء الذين لحقوا به • ولما اشتد بها الموقف كشفت  
خمارها عن شعرها وصاحت باخوتها فأسرعوا اليها ، ودافعوا عن السليك  
تلبية لدعوة اختهم ، حتى نجوا فقال :-

لعمر أيبك والانباء تنمى	لنعم الجار اخت بنى عوار
من الخفريات لم تفضح أباهـا	ولم ترفع لاختوتها شنارـا
كأن مجامع الأرداف منهاـا	نقا درجت عليه الريح هـارا
يعاف وصال ذات البذل قلبى	ويتبع المنعة النوارـا

وما عجزت فكيفة يوم قامت  
بنصل السيف واستلبوا الحمارا (١)  
فهي رغم تدرعها بالعفة ، واعتصامها بالحياء سارعت الى الوقوف في وجه  
أعدائه واستلت السيف لنجدته • اذ النجدة خلق عربي صميم في رجالهم  
ونسائهم ، على السواء ، فلا تحفل المحجبة المنعة بسقوط خمارها اذا ما  
قامت لنجدة • وهذه الصورة التي صورها السليك من الصور الظريفة  
الجميلة المحببة ، وقد روي عن مبلغ تأثيرها في النفوس فيما بعد أن فتاة  
متبذلة سمعتها ، فتابت بسبب ما خلفته في نفسها من روعة خاصة قوله  
« من الخفرات لم تفضح أباه » (٢) •

والشعر يصور البنت موضعا يستدر الرحمة وجميل الشفقة فكانت  
الفتاة تدعو الى عطف والديها والى أن يسعوا للكسب من أجلها ويحرصوا  
على الحياة لحمايتها • فكانت الفتاة اذن عنصرا فعلا من عناصر العمران يؤدي  
الى السعي في الحياة • قال اسحق بن خلف يصور ذلك :-

لولا أميمة لم أجزع من العدم	ولم اقلس الدجى في حندس الظلم
وزادنى رغبة في العيش معرفتى	ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
احاذر الفقر يوما أن يلم بها	فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا	والموت أكرم نزال على الحرم
أخشى فظاظة عم أو جفاء اخ	وكنت ابقى عليها من أذى الكلم (٣)

(١) السليك بن السلكة - الاغانى ج ١٨ ص ١٣٣ ، المرأة فى  
الشرائع لمحمد جميل بيهم ص ١١٧ ، ومثل هذا دفاع بنات ام غيلان وامهم  
عن ضرار بن الخطاب ابن مرداس « طبقات ابن سلام ص ٦٢ - ٦٣ »

(٢) الاغانى : ج ١٨ ص ١٣٣ •

(٣) حماسة ابى تمام ج ١ ص ٧٥ ، المرأة فى جاهليتها واسلامها  
لعفيفى ج ١ ص ٨ - ١٠ لم اقلس الخ • • لم أرحل لطلب المال • احاذر  
الخ • • أخشى أن يكشف الفقر سترها • • وكنت الخ • • ما كنت اسمعها  
كلمة تؤذيها •

فالشاعر يصور ما تبعه بنته في نفسه من روح قوى نشيط يدفعه الى الرغبة في الحياة والسعى للكسب والابتعاد عن الفقر والعوز • وتحمل الصعاب في هذا السبيل :

صور الشاعر الروح القوى النشط الذي بعته بنته في نفسه فدفعه الى الرغبة في الحياة والسعى في سبيل كسب خيرها والاجتهاد للابتعاد عن مباءة العوز والفقر ، فصار يستطيب المصاعب في سبيل الاصابة من خير الحياة ويدأب على الكد • كما صور حبه العنيف لابنته اذ قال : يهوى موتها اشفاقا عليها من نوائب الدهر وغير الحدثنان فهو يخشى ان يقعد بها الزمن فلا تجد من يعينها أو تمدّ يدها الى الاقرباء فيجفونها وهكذا صور الشعر ما كانت تلقاه البنت من الرعاية والحذب المنقطع النظير • واستمرت الفتاة تلقي مثل هذا العطف في العهد الاسلامي فيما بعد ومنه ما صورده حطان ابن المعلى بقوله :-

لولا بنيات كزغب القطا      رددن من بعض الى بعض  
لكان لي مضطرب واسع      في الارض ذات الطول والعرض  
وانما أولادنا بيننا      أكبادنا تمشى على الارض  
لو هبت الريح على بعضهم      لامتعت عيني من الغمض (١)

وبالرغم من هذا العطف ، الذي رأيناه ، على الفتاة وبالرغم من حرصهم على الا يدعوها تتعرض للحاجة أو الفقر ، فان من عاداتهم الا يورثوها ، كما لم يكونوا يورثون الا اولاد الا حملة السلاح منهم فحسب (٢)

---

(١) حماسة ابي تمام ج ١ ص ١٠٢ ، المرأة في جاهليتها لعفيقى  
ج ١ ص ٨ - ١٠ ، دولة النساء لعبد الرحمن البرقوقي ص ٢٣٨ •  
(٢) تفسير الطبرى ج ٤ ص ١٨٥ ، الكشاف ج ٤ ص ٢٤٨-٢٤٩ ،  
عمدة القارى ج ٢٣ ص ٢٢٩ ، ٢٣٧ - ٢٣٨ •

فالصغار والبنات لا يصيبهم شيء مما ترك الآباء • وكان الاخوة يرثون الرجل ان لم يكن له اولاد قادرون على القتال مع وجود الصغار أو البنات له ، فقد روى أنهم اغتاضوا حين نزل الوحي بانسراك البنات في الميراث فذهب بعضهم الى الرسول قائلا : « يا رسول الله أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها ، وليست تترك الفرس ولا تقاتل القوم ، ونعطي الصبي الميراث ، وليس يفنى شيئا؟ (١) » ولم تكن القبائل كافة تحرم البنت من الارث انما هذه هي القاعدة الشائعة (٢) • ويزعم الاخباريون ان أول من جعل لها نصيبا من الميراث « ذو المجاسد » الشكري اذ جعل لولده ماله وخص الذكر بمثل حظ الانثيين (٣) •

## ٢ - الفتاة في الحرب :-

وحروب العرب ، كما نعلم ، حروب الكل ضد الكل • فكانت القبيلة تشترك كلها في الحرب ، وحتى البنات عند الحاجة • خاصة في حروبهم الطويلة الدائمة فلا نستغرب الا تنجو الفتيات من ويلات الحروب وآثارها المروعة • وكان الفرسان يتغنون بذكرهن كما كانوا يتغنون بحيياتهم وأزواجهم طلبا للاسبسال واثارة للنخوة والحمية في نفوسهم الحية الطرية • والفتيات كن يقمن بمظاهر التشجيع بأناسيدهن الحلوة ، وكن يقعن في الاسر شأنهن شأن غيرهن من النساء كما في النهاية يشتركن في البكاء على القتلى ، كما سنرى ذلك في الفصل الاخير من هذا الكتاب •

وقد تشترك الفتاة في الاثارة للحرب وطلب الثأر كما فعلت اميمة بنت

---

(١) تفسير الطبري ج ٤ ص ١٨٥ - ١٨٦ •

(٢) الامومة عند العرب • ولكن ص ٦٥ - ٦٦ •

(٣) المحبر لابن حبيب ص ٢٣٦ •

كليب التغلبي اذ كانت تتودد الى عمها المهلهل وتحرك في نفسه الاشجان على  
قتل أخيه كليب . فقال في ذلك :-

تسألني أميمة عن أبيها      وما تدرى أميمة عن ضميري  
فلا وأبي أميمة ما أبوها      من النعم المؤئل والجزور (١)  
ومن الفرسان من كان يتغنى بذكر ابنته وهو في حومة الوغى ، كما كانوا  
يتغنون بذكر الحبيبات ليشجعوا وليستبسلوا . قال جحدر بن ربيعة البكري  
يوم تحلاق اللحم ، اذ حلق كل بكري رأسه ، الا جحدرا منهم فقد تركوا له  
لمته على أن يكون أول منازل للخصوم غداة الحرب ، وما أن تقابل الجيشان  
الا ظهر يتغنى قائلا :-

قد يتمت بنتي وآمت كنتي      وشعثت بعد الرهان جمتي  
ردوا على الحيل ان ألت      ان لم اناجزها فجزوا لمتي (٢)  
والعذارى كن سببا لاثارة بعض الحروب ، وكانت المحافظة عليهن من صميم  
الاخلاق العربية . فقد ثارت حرب عامر وكنانة لتحرش فتيان من بني عامر  
بفتاة كنانية في عكاظ . وكان اذا استمر القتال ، وتأزمت الحرب ، وكلت  
الفرسان ، تظهر الفتيات للمحاربين وهي تشد من عزائمهم ، وبهذا تؤثر  
في امالة كفة الحرب . قال طرفة :-

ونحن اذا ما الحيل زايل بينها      من الطعن نشاج مخل ومزعف  
وجالت عذارى الحى شتى كأنها      توالى صوار والأسنة ترعف

(١) المهلهل - ديوانه ص ٧ (سلسلة الروائع)

(٢) جحدر بن ضبيعة البكري - حماسة أبي تمام ج ١ ص ١٤٠

آمت - فقدت زوجها . الكنة - امرأة الابن أو الاخ . الجمة - مجمع شعر  
الرأس . اناجزها - أعاجلها - اللمة - الشعر .

ولم يحم فرج الحى الا ابن حرة وعم الدعاء المرهق المتلفه<sup>(١)</sup> وقد روى عن ابتي القند الزماني أنهما لما رأتا أن النصر أخذ يتردد يوم تحلاق اللحم خرجت احدهما وخلعت ثيابها فرمتها وسط المعمة ، وتقدمت بين الصفوف منسدة تحمس المقاتلين ، ولم تلبث اختها أن اقتدت بها ، فهاج عملها الفرسان وتطاعنوا مستميتين حتى انتصروا<sup>(٢)</sup> . فلهذا كن يقعن فى الاسر اذ كن يتصلن بالمحاربين ويتقلن بينهم . قال الحارث بن عباد البكرى عند مقتل أخيه بُجير ، وذكر الفتيات الأسيرات :

أسلموا كل ذات بعل واخرى ذات خدر غراء مثل الهلال<sup>(٣)</sup>  
فالبنات هن ذوات الخدور اللائي مثل الهلال وغير ذوات بعولة . وقد وصفهن النابغة وهن فى الاسر ، اذ أسر من بنى ذبيان عدد منهن . فقال :-

فآب بأبكار وعون عقائل أوانس يحميها امرؤ غير زاهد  
يخططن بالعيدان فى كل مقعد ويخبآن رمان الندى النواهد  
ويضربن بالايدي وراء براغز حسان الوجوه كالظباء العواقد  
غرائر لم يلقين بأساء قبلها لدى ابن الجلاح ما يثقن بوافد<sup>(٤)</sup>  
وكان قد أغار النعمان بن وائل بن الجلاح على بنى ذبيان فأسر منهم فتيات ونساء كانت بينهن ابنة النابغة واسمها عقرب فاطلق سبيلها اكراما لايها . والعادة عند العرب أن يمنوا على الفتيات الاسيرات بردهن الى أهلهن فى كثير

---

(١) العقد الفريد - ج ٣ ص ١٠٩ زایل - فرق . ينشج بالدم -  
يصوت الدم عند خروجه منه . مخل - يضعف المنزوف . المزغف - القاتل .  
الصوار - اواخر قطيع البقر . ترغف - تقطر دما . الفرج موضع المخافة ،  
المرهق - المدرك .

(٢) طرفة بن العبد - ديوانه ص ٤٤

(٣) الحارث بن عباد البكرى - شعراء النصرانية ص ٧٩ .

(٤) النابغة الذبياني - ديوانه ص ٨٩ .

من الاحيان صيانة لشرفهن وتفضلا عليهن وكانوا يقابلون هذه الاعمال بالمثل .  
وفك الاسيرات عندهم من كريم خلالهم ومن صفات الفروسية والشهامة ،  
ومن هذا ما قاله زهير بن جناب الكلبي في حرب غطفان يذكر فكه أسيراتهم  
مفتخرا :-

ولولا الفضل منا ما رجعتن الى عذراء شيبتها الحياء (١)  
والفتيات العربيات اذا وقعن في الاسر ما كن يسمحن لانفسهن بالتنازل عما كن يشعرن  
به من فحار وسمو وخاصة اذا كان أسرهن من غير العرب . فقد روى عن  
ليلى بنت لكينز أنها كانت ذات جمال بارع ، وحسن فائن ، فعلم بذلك كسرى  
ملك الفرس فاغتصبها من أبيها وأراد الزواج منها فأبت وامتنعت عليه ،  
وأرسلت تستنجد بأهلها شعراً ، هو عنوان للكرامة عند الفتيات العربيات . اذ  
قالت :-

ليت للبراق عينا فتري ما ألقى من بلاء وغنا  
يا كلييا وعقيلآ اخوتي يا جنيدا أسعدوني بالبكا  
عذبت أختكم يا ويلكم بعذاب النكر صبحا ومسا  
غللوني قيدوني ضربوا ملمس العفة منى بالعصا  
يكذب الاعجم ما يقربني ومعى بعض حشاشات الحيا  
قيدوني غللوني وافعلوا كل ما شئتم جميعا من بلا  
فانا كارهنة بغيركم ويقيني الموت شئ يرتجى  
الى قولها :

احذروا العار على أعقابكم وعليكم ما بقيتم في الدنا (٢)

---

(١) زهير بن جناب الكلبي - شعراء النصرانية ص ٢٠٨ .  
(٢) ليلى بنت لكينز - المرأة في الشرائع والتاريخ لمحمد جميل بيهم

فألهمت هذه الايات السامية شعور أبناء قومها وكانت سببا لحرب بين العرب والفرس . أما بعد انتهاء الحرب فكانت الفتيات تشترك في البكاء على القتلى وتظهر حرارة وحرقة شديدة وقد وصفهن المهلهل وهن يبكين ويندن القتلى وصفا دقيقا وذلك بعد مقتل أخيه كليب اذ قال :-

فخرجن حين نوى كليب حسرا      مستيقنات بعده بهوان  
فترى الكواعب كالظباء عواطلا      اذ حان مصرعه من الاكفان  
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا      من بعده ويعدن بالازمان (١)  
فالمصائب الفادحة والاحزان كانت تخرجهن من خدورهن حاسرات عن رؤوسهن ، نادبات هول المصيبة ، يخمشن الوجوه ، ويبكين القتلى ، فيذكرن السامعين بفضائلهم ، وجليل فعالهم ، ويصورن عظيم مصابهم ، وكل هذا له شديد الوقع في نفوس السامعين ، يثير فيها الحماس لاختذ الثأر . وبهذا صورت هند بنت معبد بن خالد حالة الفتيات يوم مقتل أخيها حبيب بقولها :-

اذ تخرج الكاعب من خدرها      يومك لا تذكر فيه الحيا (٢)  
وبالاضافة الى اشتراك الفتاة في تحميس المقاتلين في الحرب فانها كانت تعنى بالاسلحة وحفظها وكانت تسرج الخيل وتلجمها وتهيؤها للحرب . قال الكلجة اليربوعي العرنى :-

فقلت لكأس الجميها فانما      حلت الكتيب من زرود لافزعا (٣)  
وكأس اسم جارية (٤) وهي ابنته . فهو يطلب منها ان تلجم فرسه

(١) ديوانه ص ١١ ، الاغانى ج ٤ ص ١٤٧ .

(٢) المرأة في الشرائع : لجميل بيهم ص ١٥٨ .

(٣) الكامل : للمبرد ج ١ ص ٣ (التجارية ١٣٥٥ هـ) .

(٤) الجارية فتية النساء . قاموس المحيط .

ليتها للقتال وينتصر لمن استغاث به • والعرب لا تنق بأحدٍ في أسلحتها  
وخيلها الا بأولادها ونسائها (١) •

وقد رأينا أن من عادة العرب قديما أن ينصرف الفرسان عن أزواجهم  
ولهوم وطيبهم وتنعمهم عندما يصابون بمصيبة أو يسعون لاختد النار وهكذا  
صورهم الشعر ينصرفون عن مداعبة بناتهم اللاتي هن لانفسهم لهو وسلوة ،  
ومن هذا حديث المهلهل لنفسه اذ يجدها تميل الى مداعبة بنته وهو يصرفها  
لانشغاله بأخذ الثأر لاخته ، قال :-

طفلة ما ، أبنه المهلهل بيضا • لعوب لذيذة للعناق  
فاذهبي ما اليك غير بعيد لا يؤاتي العناق من في الوثاق  
ضربت نحرها اليّ وقالت يا عديا لقد وقتك الأواق (٢)

### ٣ - المؤودة :-

صوّر القرآن الكريم حالة الجاهلي ، تولد له البنت ، تصورا نفسيا  
رائعا • قال تعالى : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ،  
يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في  
التراب ؟! الاساء ما يحكمون • » (٣)

كان من يبشر منهم بالانثى يحزن ويسود وجهه فيبتعد عن الناس  
ليختلي الى نفسه ، ويقلب النظر في أمر المولودة ، التي هي مصيبة على  
زعمهم • يسائل نفسه أيحفظ بها ويحتمل مذلتها ، كما يزعم الناس ، من  
حوله ، أم يدسها في التراب ويدفنها حية ؟! وهذا ما حمل القرآن على أن

(١) المفضليات للضبى ج ١ ص ٣٠ •

(٢) ديوانه ص ٢٠ ، شعراء النصرانية ص ١٧٧ - ١٧٨ •

(٣) القرآن الكريم ١٦/٥٨ ، ٥٩ •

ينمى عليهم سخف رأيهم وسوء صنيعهم •

روى ان احدهم كان مسافرا ولما عاد الى اهله أخبر بأن زوجته قد وضعت اثنى ، فغضب عليها ولم يذهب الى داره ولما علمت الزوجة بأمره استنكرت فعلته ، وأعلنت أنها ليست مقصرة فلام لأنها لم تختار ان تكون المولودة بنتا ، ولم يكن لها يد فى جعلها اثنى •

انهم كرهوا المولود ان يكون اثنى وفضلوا الذكور لكننا لا نعلم على التحقيق هل كرهوا فوآدوا أم وأدوا فكرهوا ؟ ذلك لان الاخبار والروايات وابحاث الباحثين ذهبت مذاهب كثيرة فى بيان سبب الوأد • فمنهم من أرجع الوأد الى خوفهم من العار ، ومنهم من أرجعه الى خوفهم من الاسر ، كما ان منهم من جعل سببه عادات دينية ، ومنهم من عزاه الى اسباب اقتصادية وآخرون عزوه الى اسباب اجتماعية •

والذين ارجعوا سبب الوأد الى الخوف من العار قد اختلفوا فى القبائل التى نشأ عندها الوأد اولا فمنهم من قال ان تميما أول القبائل التى نشأ عندها الوأد ، ومنهم من قال انه اول ما نشأ فى ربيعة ومنهم من قال انه نشأ اولا عند كندة •

روى الاغانى ان وأد البنات بسبب الخوف من العار بدأ عند رؤساء تميم كقيس بن عاصم السعدى ، اذ يروى ان المشمرج اليشكرى أغار على بنى سعد ، فسبى منهم نساء ، واستاق أموالا وكان فى النساء رميم بنت أحمد السعدية ، وامها اخت قيس ، فرحل قيس اليهم ليسألهم ان يهبوها له ، أو يفدوها ، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفأها لنفسه • فسأله فيها فقال قد جعلت أمرها اليها ، فان اختارتك فخذها ، فخيرت فاختارت عمرو ابن المشمرج ، فانصرف قيس فوآد كل بنت له • وجعل ذلك سنة ، يثدكل بنت تولد له ، واقتدت به العرب فى ذلك فكان كل سيد يولد له بنت يثدها

خوفا من الفضيحة<sup>(١)</sup> . وذكر النويري أن البنت التي أسرت انما هي بنت قيس نفسه لا بنت اخته<sup>(٢)</sup> . وتذهب الروايات الى أن قيس وأد كل بناته الا واحدة استطاعت أمها ان تخفيها ، لانها كانت قد ارسلتها الى قومها . اما حكاية وأد هذه البنت فقد رواها قيس نفسه لما جاء في وفد تميم ، ومثل بين يدي الرسول الكريم . قال : « دخلت فرأيت البنت ، وكانت قد ربّتها أمها ، فسألتها من تكون هذه ؟ فبكت أمها وقالت : انها ابنتك ، وقصت عليّ كيف انها استطاعت ان تنقذ حياتها ، فانتظرت ، وفي ذات يوم انتهزت فرصة انشغال أمها ، فاخذتها وحفرت لها قبرا ، ووضعتها فيه ، وصرت أهيل عليها التراب وهي تقول : ماذا تصنع بي يا أبي ؟! حتى غطيتها بالتراب ، وهي تقول : أتريد أن تدفني يا أبي ؟! ، هل أنت ستركني وحيدة وتذهب عني ؟! حتى غطيتها بالتراب ، ولم أسمع صوتها . وهذه هي المرة الوحيدة التي آلمني فيها وأد البنات<sup>(٣)</sup> .

وارجع آخرون الواد الى ربيعة فرعموا أن بنتا لاحد ساداتها وقعت أسيرة ، فلما عقد الصلح لم تشأ البنت ان تعود الى أهلها واختارت أسرهما فاستن هذا الرئيس سنة الواد وقلدته بعض القبائل<sup>(٤)</sup> . كما ترجع بعض الروايات الاخرى الواد الى كنده وتذكر قصة الحارث بن عمرو الكندي وأبيات له في شأن الواد<sup>(٥)</sup> ولا نعلم مبلغ صحة هذه القصة .

---

(١) الاغانى ج ١٢ ص ١٤٤ ( الساسى ) ، بلوغ الارب ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣ ، منهاج اليقين للماوردي ص ٨٧ .

Smith: Kinship & Marriage, P 279.

(٢) نهاية الارب ج ٣ ص ١٢٧ .

(٣) الاغانى ج ١٢ ص ١٥٠ .

(٤) بلوغ الارب ج ٣ ص ٤٣ .

(٥) العقد الفريد ج ٢ ص ٨٨ ، محمد كمال الادهمي : مرآة النساء

ومن أرجع الوأد الى خوفهم من الاسر وما يتبع الاسر من العار قال :  
ان النساء كانت تؤسر أكثر من الرجال ، وذلك لانهن أضعف منهم في  
الدفاع عن أنفسهن ، وكثيرا ما يكون أمر الدفاع عنهن عبئا ثقيلا على  
الرجال . ولم يكن الأسر يطلق سراح الاسيرة في كل حين . فربما لا يكون  
عند اهلها المال الكافي ليفتدوها به ، كما قد يعجزون عن استردادها بالقوة ،  
لهذا كانت الاسيرات ، اذا أراد الاسر ، ترسل الى أسواق النخاسين ، في  
المدن التجارية ، مثل مكة ، والمدينة ، وخيبر<sup>(١)</sup> . وكان في مكة سوق  
نظامية كبرى لتجارة الرقيق ، تجلب اليها السبايا من القبائل المجاورة ومن  
غيرها ، عندما لا يقتديهن اقرباؤهن<sup>(٢)</sup> . ومن الطبيعي أن من تباع في  
هذه السوق يصيب أهلها عار كبير وخشية الوقوع في الاسر وما يعقبه من  
عار مثل هذا كان السبب لوأد البنات عند طائفة من الباحثين<sup>(٣)</sup> .

وارجمت طائفة اخرى الوأد الى سبب ديني . قال السيد امير علي  
« انهم كانوا يقدمون بناتهم قربانا للالهة اقتداء ببعض الامم الاخرى »<sup>(٤)</sup>  
كما كان يفعل الناس في عهد الفراعنة ، اذ يختارون فتاة جميلة عذراء كل  
عام ، يهدونها للتيل ، وكان عندهم أنها اذا ماتت فيه كان ذلك امارة على أن  
الالهة قد قبلت الهدية . ومثل هذا كان يحصل في بلاد الصين قديما اذ  
يزوجون البنات من النهر الاصفر<sup>(٥)</sup> . وعلى هذا فالذين أرجعوا الوأد

---

Wellhausen: Mohamed in Madina, P.221. (١)

Bevan James: Woman in Islam, P. 44. (٢)

« ولكن » : الامومة عند العرب ص ٥٠ . (٣)

Smith: Kinship etc. P 279.

السيد امير علي : مركز المرأة في الاسلام ص ٤٥ . (٤)

Sir James George Frazer: The Golden (٥)

الى عامل ديني رأوا أنه كان اثرا من آثار تقاليد وشعائر دينية كانت معروفة وهو يشبه الضحايا والقرايين المعروفة لدى كثير من الامم ، تقدمها لألهتها . بيد ان الضحايا فيها اراقه للدماء في سبيل الالهة بالاضافة الى ازهاق الارواح ، في حين أن الواد فيه ازهاق من غير سفك دم . وكان ازهاق روح آدمي وسفك دمه على طريقة الضحايا للالهة معروفا في جزيرة العرب ويؤيد وجوده ما جاء في القرآن الكريم وما ذكرته الاخبار من قصة رؤيا سيدنا ابراهيم ، واقdamه على ذبح ابنه اسماعيل ، واطاعة سيدنا اسماعيل لأبيه . ولكن الله تعالى أوحى اليهما بفكرة الفداء (١) . ولعل هذا الايحاء يعتبر نقطة تحول هامة من ازهاق روح آدمي وسفك دمه الغالي الى الاستعاضة عنه بروح الحيوان وسفك دمه ، من الضأن أو الماشية التي لها ثمن ويؤكل لحمها . ومثل قصة سيدنا ابراهيم قصة عبد المطلب تقريبا ان اقدم على قتل ابنه عبد الله بسبب النذر الذي أخذه على نفسه . انه ان ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة ، لانه كان قد لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم . (٢) وهي قصة ممتعة تظهير سخاءهم العظيم في نذورهم وأنهم يجودون بالنفوس في سبيلها وهذا أقصى غاية الجود . وضحايا الاولاد Infanticide موجودة لدى شعوب كثيرة كما كانت موجودة لدى العرب (٣) وهكذا نجد الفراعنة واليونان والرومان وشعوب استرالية قد وأدوا البنات وقتلوا الاولاد لأسباب دينية (٤) كإظهار الشكران على النعم أو لاعتقادهم بالتناسخ والحلول أو لمعتقدات وافكار اخرى .

(١) سورة ابراهيم .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٤ ، بلوغ الارب ج ٢

ص ٤٦ - ٤٧ .

Encyc. of Relig., V. I P. 669 ' Smith: Kinship, (٣)

P. 370

Encyc. Brit. Vol. I2 P. 329

(٤)

ومن الباحثين من أرجع الوأد الى عوامل اجتماعية ومنها ما يتعلق بالصحة كقتل من يولد ضعيفا ، أو مريضا أو قتل من يتلى بعاهة جسيمة مستديمة بحيث يكون عالة كبيرة مدى حياته ، أو من يتلى بمرض عضال لا يرجى شفاؤه (١) . والبنات والاولاد سواء في قتل ذوى العاهات .

ومن الامور الاجتماعية التى قد يرجع اليها البعض وأد البنات هو زيادة عددهن عن الذكور . قال « ولكن » :

«ان عدد البنات كان دائما ولا يزال يزيد كثيرا على عدد الاولاد فى الاحوال الاعتيادية ، لكن ما ترسله الارحام من الذكور سنويا أكثر من الاناث ، الا أن الاحصائيات عند الامم الاوربية متضافرة على أن عدد الوفيات فى الذكور أكثر بكثير منه فى الاناث . ويضاف الى هذه الظاهرة أن الرجل فى عفوان شبابه وفى سائر أطوار حياته عموما أكثر تعرضا للخطر من المرأة » (٢) .

واعتقد «ولكن» ان الوأد لم يكن بصورة أوسع مما يتطلبه هذا التوازن بين عدد الرجال والنساء ومن الباحثين من جعل سبب الوأد الاحوال الاقتصادية وقد أيد القرآن الكريم هذا الرأى فقد ذكر فى مواضع عادة الوأد وقتل الاولاد ، وبين أنهم كانوا يقتلون اولادهم من املاق (٣) أى خشية الفقر . ومن هذا أنه روي عن صعصعة جد الفرزدق أنه سعى لمنع الوأد بشراء المؤودة (٤) وبه افتخر الفرزدق قائلا :-

---

(١) المصدر السابق ، ولكن . الامومة ص ٥٠ .  
Smith: Kinship. P. 279

(٢) المصدر السابق .

(٣) القرآن الكريم ٦/١٥١ .

(٤) الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٨٩ ، الاغانى ج ١٩ ص ٣ .

ومنا الذي منع الوائدا  
ت وأحيا الوئيد فلم يواد<sup>(١)</sup>  
كما افتخر قائلا :

أجار بنات الوائدين ومن يجبر  
على حين لا تحيا البنات واذ هم  
أنا ابن الذي رد المنية فضله  
وفارق ليل من نساء أت أبي  
فقالت أجز لي ما ولدت فاني  
رأى الارض منها راحة فرمى بها  
فقال لها فيني فاني بدمتي  
على الفقر يعلم أنه غير مخفر  
عكوفاً على الاصنام حول المدور  
فما حسب دافعت عنه بمعور  
تمارس ريحا ليلها غير مقمر  
أتيتك من هزل الحمولة مقتر  
الى جدد منها الى شر مخفر  
لبنتك جار من أبيها القنور<sup>(٢)</sup>

وقد افتدى صعصعة ، على ما ذهبت اليه الروايات ، ستا وتسعين  
موؤدة في الجاهلية حتى ظهور الاسلام كان فداء كل موؤدة بعيرا وناقتين  
عشراوين<sup>(٣)</sup> .

وروى المبرد أن صعصعة افتدى مائتين وثمانين وليدة<sup>(٤)</sup> . كما روي عن  
عمرو بن نفيل القرشي أنه كان يتجول بين مضارب العرب ، فان رأى من  
يهم بواد بنته أخذها منه ، وكفلها حتى تكبر ، ثم خير والدها بعد ذلك ،  
ان شاء أخذها وان شاء كفاه مؤوتتها<sup>(٥)</sup> .

وكانت بلاد العرب قليلة الزراعة ، تعتمد في كثير من غذائها على

---

(١) ديوانه ص ٢٠٣ ، نهاية الارب ج ٣ ص ١٢٧ « وفي الاغاني  
والكامل ومعاهد التنصيص : وجدى »  
(٢) الاغاني ج ١٩ ص ٣ - ٤ .  
(٣) المصدر السابق ص ٣ . ناقة عشراء - مضى لحمها عشرة أشهر  
« اللسان » .

(٤) الكامل ج ١ ص ٢٨٩ .  
(٥) تيسير الوصول الى أحاديث الرسول ج ٣ ص ١١٣ .

البلاد المجاورة ، وكثيرا ما اتابتها المجاعات ، والقحط ، واضطرت قبائلها الى الهجرة . وكانت أحيانا تقوم بعض الموانع على الهجرة . وفي هذه الحالة كانت قبائلها تسعى لتجد لها مخرجا بانقاص الاستهلاك ، فتأخذ بأبسط الوسائل كقتل الاطفال أو بيعهم . وذكر العلامة « دارون » أن شعوبا كثيرة كادت تنقرض من ممارستها لعادة قتل الاطفال ، حتى أتى على هذه الشعوب وقت لم تجد الرجال فيه نساء بنسبة عددهم ، فاضطر كل بضعة منهم الى المشاركة في امرأة واحدة ( زواج الرهط ) . أما قتل البنات أكثر من الاولاد فذلك لأن الاولاد أكثر انتاجا عادة وأقدر على الاكتساب في مجتمعهم .

ومن استعراض الاسباب المختلفة التي يعود اليها الوأد عند العرب نجد أن السبب الرئيس هو الفقر والحاجة في أكثر الاحوال . وهو السبب الذي ذكره القرآن في أكثر من موطن (١) . والواقع ان العامل الاقتصادي ذو أثر بعيد في حياة المجتمع وهو الذي يفسر لنا سعة انتشار الوأد مثلا ومتى انتشر وعند أي القبائل عرف .

قال الميداني : ان عادة الوأد كانت شائعة لدى العرب عامة ولكنها اختفت قبيل الاسلام الا في تميم (٢) . ولم يكن كل الافراد يئدون . (٣) وكانت هذه العادة منتشرة في تميم وقيس وأسد وهذيل وكندة وبكر وائل (٤) وقريش (٥) ولم تكن مقصورة على الطبقات الفقيرة اذ توجد بين الاسر

(١) القرآن الكريم ١٥١/٦ ، ٣١/١٧ ، ٣٣ ،

(٢) ابن قيم الجوزية : أخبار النساء ص ٥٩ ، بلوغ الارب ج ٣

ص ٤٢ .

(٣) بلوغ الارب ج ٣ ص ٤٢ .

(٤) Smith. Kinship & Marriage, P. 281

(٥) Thomas Patric Hughes: Dictionary of Islam

Art.: "Woman"

الممتازة فقد روى ابن قتيبة عن امرئ القيس الشاعر المشهور انه كان لا يولد له ولد ، وكان شديد الغيرة ، فاذا ولدت له بنت قتلها فلما رأت نساؤه ذلك غيبن بناتهن في احياء العرب<sup>(١)</sup> كما روى الاغانى أن ليلي بنت مهلهل التغلبي ، وهى أم عمرو بن كلثوم ، كان ابوها قد أمر بها أن تدفن ولكن أمها اخفتها عنه فخلصتها من الوأد<sup>(٢)</sup> .

ومن العرب من كان يسفه رأى الوائدين<sup>(٣)</sup> ويحارب عادة الوأد ، التى هى على الرغم من ذلك يبدو أنها امتدت الى العهد الاسلامى لهذا نجد النبى صلى الله عليه وعلى آله يأخذ من المؤمنات ، حين جئن بياعته ، عهدا جاء فيه : ان لا يقتلن أولادهن • وهو يخص به النساء كافة • ويرى بعض أن وأد البنات كان يعتبر فى الجاهلية من الفضائل ومن الاعمال المشرفة عند جماعة من الناس • وقد يدون البنت اذا ولدت من زواج غير شرعى بالنسبة للقواعد المرعية • وربما استعاضوا عن الوأد بالقاء البنت بعيدا للتخلص منها ومن وأدها ، الذى هو من المشاهد المؤلمة ، كيفما تكون الاحوال ، فيلتقطها من يشاء ويقوم بتربيتها ، ومن هذا يرجح أن يكون اسم « اللقيطة » الذى جاء فى قول الشاعر :

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا<sup>(٤)</sup>  
وكذلك « لقيط » وهو ما سموا به الذكور •

أما كيفية الوأد فقد ذكر الزمخشري ان الوالدين كانا يريان البنت حتى السنة الثالثة ثم تغطس فى العطور فيأخذها الوالد ويلقيها فى حفرة

(٦) ابن قيم : أخبار النساء ص ٥٩ •

(٧) الاغانى : ج ٩ ص ١٧٥ •

(٨) الاغانى : ج ١٩ ص ٣ - ٤ ، بلوغ الارب ج ٣ ص ٢٤٥ •

تيسير الوصول الى احاديث الرسول ج ٣ ص ١١٣ •

(٩) قريط بن انيف : حماسة ابى تمام ج ١ ص ٣ •

يحفرها لها في الصحراء (١) ويحشو عليها التراب • ومنهم من كان يخنقها  
أو يذبحها (٢) •

#### ٤ - عواطف الفتاة وآراؤها :

وبعد أن ذكرنا الوأد وأنه كان في بعض القبائل ، وأنه لم يحصل  
الا لعوامل وأسباب خاصة يجدر بنا أن نتصور أن العطف ، والحب كانا  
متبادلين على العموم بين الفتاة وبين ذويها • فلم تكن البنت لتحرم من  
عطف أبيها ، وهذا ما نلمسه في الشعر الجاهلي بصورة واضحة •

لقد صور الاعشى حزن ابنته العميق عندما رأته يستعد للسفر ،  
واشفاقها عليه من أخطاره • وذكر أنها كانت تتوسل اليه ليصرف رأيه  
عن الرحيل ، وبين كيف أنها كانت تشعر بالامن والراحة والعطف عندما  
يكون هو مقيما بين أهله وكيف أنها كانت تحس بجفاء الناس من حولها  
وابتعاد الاقرباء عنها عندما كان أبوها بعيدا عنها حتى لكأنها كانت تلمس  
أن صلات القربى والرحم يصيبها الفتور والضعف ولربما تكاد تنقطع •  
قال :

تقول ابنتي حين جد الرحيل      أرنا سواء ومن قد يتم  
أبانا فلا رمت من عندنا      فانا بخير اذا لم ترم  
أرانا اذا أضمرتك البلا      د نجفى وتقطع منا الرحم (٣)  
وكانت بنت الاعشى تدعو الله أن يدفع عن أبيها أتعاب السفر وأوجاعه اذ رأته  
مرة يستعد للرحيل فأشفقت عليه كثيرا ، وألحت على أن يعدل عن سفره ،

(١) الزمخشري ج ٤ ص ١٨٨ ، تاج العروس ج ٢ ص ٥٢٠ ، بلوغ

الارب ج ٣ ص ٤٢ - ٤٣ •

(٢) بلوغ الارب ج ٣ ص ٥٣ •

(٣) الاعشى : ديوانه القصيدة رقم ٤ •

فلم تفلح ، حتى أنها استشفعت برجل شريف من قومها ، ولما كلم هذا الرجل الاعشى رده ، ولم يقبل شفاعته . وفى ذلك قال لها انه يحمل فى دخيلة نفسه غرضاً يريد الوصول اليه . وطلب منها بعد أن دعا لها دعاءها له ، أن تكون مطمئنة النفس وأن عليها أن ترقب أوبته على كل حال ان آجلا وان عاجلا . وأن من اللائق بها أن تودعه وداع من يرجو أوبته ، فتحية تحية طيبة . ثم حذرهما اليأس والقنوط وهذا ما صوره الاعشى فى قوله :

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا      يا رب جنب أبى الاوصاب والوجعا  
واستشفعت من سراة الحى ذا شرف      فقد عصاها أبوها والذى شفا  
مهلا بنى فان المرء يبعثه      هم اذا خالط الحيزوم والضلعا  
عليك مثل الذى صليت فاغتمضى      يوماً فان لجنب المرأ مضطجعا  
واستخبرى قافل الركبان وانتظرى      أوب المسافر ان ريثا وان سرعا  
كونى كمثل التى اذ غاب وافدها      أهدت له من بعيد نظرة جزعا  
ولا تكونى كمن لا يرتجى أوبته      لذى اعتراف ولا يرجو له رجعا (١)

والفتاة كانت ، ولا تزال ، تظهر لاهلها فى كل مناسبة خالص حبها وعطفها . والمعروف أن البنت بحكم جنسها تميل الى أبيها أكثر من ميل الولد له ، فالشعر الجاهلى يصور لنا ألوانا من هذا الميل والعطف الذى نجده حتى فى أقدم ما وصل اليانمته ومن ذلك قول أعصر بن سعد بن قيس عيلان :

قالت عميرة ما لرأسك بعدما      نفذ الزمان أتى بلون منكر  
أعمير ان أباك شيب رأسه      كر الليالى واختلاف الاعصر (٢)

وتحدث ذو الاصبع العدوانى عن شعور ابنته أمامة وجزعها اذ رأته اضطر الى استخدام العصا فى مشيه فرأته قد نهض وسقط فبكت فقال :

---

(١) الاعشى - ديوانه - القصيدة رقم ١٣ ، المحبر لمحمد بن حبيب ص ٣٢١ . فاغتمضى - نامى وقرى مضجعا .  
(٢) أعصر بن سعد - طبقات ابن سلام ص ١٩ التجارية ، الاغانى ج ١٤ ص ٨٨ « وهو أحد جدود طفيل الغنوى » .

جزعت أمانة اذ مشيت على العصا وتذكرت اذ تحن ملتقيان  
فلقبل ما رام الآله بكيده ارما وهذا الحى من عدوان  
واستمر يذكر لها ، على عادته فى شعره كيف يغير الله الملوك وهم فى عروشهم  
ويدد أتباعهم وأبناءهم ويجعل الارض العامرة بهم جذباء قاحلة ، ويبدد أهلها  
الى أن يقول :

لا تعجبن أمام من حدث عرا فالدهر غيرنا مع الازمان (١)

وخطب ليبد بتيه اذ رأهما حزبتين عليه ، تمنيان أن يقيه الله لهما  
فأوصاهما ألا تخمشا عليه وجها ولا تحلقا شعرا بعد وفاته ، وانما طلب منهما  
أن تكفيا بذكر فضائله وأفعاله الكريمة فحسب ، قال :

تمنى ابتأى أن يعيش أبوهما وهل أنا الا من ربيعة أو مضر

فان حان يوما أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذى لا حليفه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يلك حولا كاملا فقد اعتذر (٢)

وهناك كثير من الروايات تدل على أن علاقة الاب بابنته كانت علاقة مودة  
ومحبة ، وكان الاب يسمع نصحتها فى بعض الاحيان (٣) . ومع هذا فقد  
رويت فى بعض الحوادث أخبار بخلاف ذلك منها أن بنتا من البنات ضحت  
ب حياة أبيها من أجل الوصول الى رجل أحبته ، وهى ابنة ملك الحضرم (٤)

---

(١) ذو الاصبع العدواني - الاغانى ج ٣ ص ١١ ، رياض الادب

لشيخو ص ٧١ .

(٢) ليبد بن ربيعة - الاغانى ج ١٤ ص ١٠١ بلوغ الارب ج ٣

ص ١١ .

(٣) النقائض ص ٣٣٥ .

(٤) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ١١٩ - ١٢٠ ، الاغانى

ج ٢ ص ٢٧ .

كما روى عن قصة ابنة الساطرون مع أردشير<sup>(١)</sup> بيد أن البنت بصورة عامة كانت تقوم بدورها النسوي من اخلاصها لاهلها عامة ، فنجدها مثلاً تنهى والدها عن الاسراف والانفاق الكثير شأنها شأن سائر النساء في الاسر . كما صورنا ذلك في الفصول السابقة . وقد ذكر الاسود بن يعفر عن ملامة ابنته سلمى على مبالغته في الكرم ، واعتبارها ذلك منه اضاءة لماله . لانه اعتاد أن ينفق كثيراً على ما كان يحل بقومه من نوايب ، وكان يعين فقراءهم عند الحاجة فقال عنها :-

وقالت لا أراك تليق شيئاً أتهلك ما جمعت وتستفيد  
فقلت بحسبها يسر وعمار ومرتحل اذا رحل الوفود<sup>(٢)</sup>

كما يصور الشعر الجاهلي الفتيات يقفن في وجوه آبائهن أحياناً فيمنعنهم عن دخول الحرب والاشتراك في القتال ويظهرن في ذلك حرصاً عليهم . وكان كثير من الآباء لا يتقادون الى رأيهن في الغالب ، ويقنعونهن بأن الخوف والحذر لا يردان الموت المحتم عن حينه ، وفي ذلك يقول سلامة بن جندل :  
تقول ابنتي ان انطلاقت واحداً الى الروح يوماً تاركى لا أباليا  
دعينا من الأشفاق أو قومي لنا من الحدثنان والمنية واقيا<sup>(٣)</sup>

والشعر الجاهلي يصور النساء خاصة في الطبقات الراقية ، على درجة كبيرة من الانفة والكبرياء ، فكانت الفتيات اللاتي تدرج في أحضانهن تنشأ تلك النساء . فقد روى أن الشنفرى الأزدي وكان مملوكاً في بني سلامان عند رجل منهم ، وقد سأل ابنة هذا الرجل يوماً قائلاً : «اغسلي رأسي يا أختي» فأنكرت أن يكون أخاها ولو في القول فقط ، فلطمته . وهذا كان مما أغاظه

(١) ابن قيم الجوزية - اخبار النساء ص ٨٦ .

(٢) الاسود بن يعفر - الاغانى ج ١١ ص ١٣٨ .

شعراء النصرانية ص ٤٨٠ .

(٣) سلامة بن جندل - ديوانه ص ٢١ ( الآباء اليسوعيين ) .

وأغضبه على بنى سلامان كلهم وقال فى ذلك :

ألا ليت شعرى والتلهف ضلة بما ضربت كف الفتاة هجينها  
ولو علمت تلك الفتاة مناسبى ونسبتها ظلت تقاصر دونها  
أنا ابن خيار الحجر بيتا ومنصبا وامى ابنة الاحرار لو تعرفينها (١)  
فأدت ضربة هذه الفتاة الى حقد عميق سبب الفتك بكثير من رجال هذه القبيلة  
اذ كان الشنفرى يغير عليهم فى كل مناسبة بسبب ما يحمله لهم من هذا  
الشعور العدائى .

#### ٥ - خطوبة الفتاة :

ذكرنا فى الفصل ، الذى عقدناه للزوجة ، زواجها وطلاقها ، ونذكر  
هنا مقدمات الزواج كالمعاشرة والخطوبة وما يتصل بهما .

لم تكن فى البيئة الجاهلية حواجز وموانع بين الفتيان والفتيات ، خاصة  
عند البدو ، ففتيان القبائل يرون الفتيات ومن المسموح لهم مكالمتهن  
ومجالستهن فى الظروف الاعتيادية البعيدة عن الريب ، ولهذا فكثيرا ما ينمو  
الحب بين فتات وفتى منهم . وهناك شواهد كثيرة على الحب الناشئ عن هذا  
النمط من الاختلاط (٢) كما قد ينشئ الحب عن طريق الاتصال أثناء  
السقى أو الرعى ، أو الرحيل والاسفار ، أو أثناء الحروب ، أو فى أوقات  
الحج أو الطواف حول الآلهة ، أو فى الاعياد أو فى الاسواق أو غير ذلك  
قال امرؤ القيس :

فعلن لناسرب كأن نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل (٣)

(١) الاغانى ج ٢١ ص ٩٢ .

(٢) يلاحظ : الاغانى : ج ٥ ص ١٨٠ ، ج ٢٠ ص ١٥٢ ، ج ٢١

ص ١٦٠ ، الشعر والشعراء ص ٣٣٧ ، الامالى ج ٣ ص ١٥٧ ، تزيين  
الاسواق ص ٩١ .

(٣) ديوانه ص ٣١ .

والدوار صنم معين أو هي حفلات الرقص والصلاة للاصنام • وكانت  
الفتيات ترتدي الحلل الجميلة وتدور حول الصنم مغنية راقصة له • قال قيس  
ابن الخطيم :-

ترامت لنا كالشمس تحت غمامة      بدا حاجب منها وضنت بحاجب  
ولم أرها الا ثلاثا على منى      وعهدى بها عذراء ذات ذوائب  
ومثلك قد أصيبت ليست بكنته      ولا جارة ولا حليلة صاحب (١)

وإذا مال الفتى الى فتاة وأراد الزواج منها فالزواج لا بد أن تسبقه الخطوبة •  
وقد روى محمد بن حبيب : أن المرأة تخطب الى أخيها أو عمها أو  
بعض بنى عمها (٢) • ومراسيم الخطوبة تختلف باختلاف الافراد والطبقات  
والقبائل من حيث اطالة المراسيم وقصرها • فمن المتعارف عندهم ان تبدأ  
بتبادل التحايا بين ذوى الحاطب وذوى الخطيبة • ثم يتحدثون عن مناقب بيت  
الفتاة وعن رغبة الحاطب الاكيدة فى التصاهر مع بيت الفتاة • ثم يبدأ رأس  
الوفد الحاطب بالتحدث عن كفاءة الفتى الذاتية ، وعن مزايا بيته وملائمة هذه  
المزايا وموافقته لمزايا الفتاة وبيتها ويذكرون وجود الكفاءة بين البيتين ثم يرد  
ولى أمر الفتاة على المتكلم من أهل الفتى بالطريقة نفسها • فيتحدث عن بيت  
الفتاة ثم عن الفتى ويثنى عليه وعلى بيته وبين أوجه الكفاءة بين البيتين ويعلن  
عن موافقته على زواج الفتاة على المهر المتفق عليه سابقا (٣) •

وقد تكون الخطوبة بأسلوب موجز جدا ، فيوجه الحاطب بنفسه الايجاب  
الى الخطيبة فيقول « خطب » فتجيبه بالقبول بذاتها فتقول « نكح » وبهذا  
تم المراسيم (٤) •

- 
- (١) طبقات ابن سلام ص ٩١ •  
(٢) المحبر ص ٣١٠ •  
(٣) نهاية الارب : ج ١ ص ٣٣٧ ، عمدة القارى ج ٢٠ ص ١٣٤ •  
(٤) محمد بن حبيب : المحبر ص ٣٩٨ ، ولكن : الامومة الخ • ص ٢٠ ، الميدانى مجمع الامثال ج ١ ص ٣٥٦ ، تاج العروس ج ١ ص ٢٢٧ •

وقد يحدث الا يكون الخاطب قد رأى الخطيبة أو خالطها فيستعين عند ذلك بالاقرباء أو الجيران من النساء يخبرنه عما يريد أن يعرفه عنها • وقد يتعدد الخاطبون للفتاة فتنشأ بينهم المفاخرات والمباهلات ، فيذكر كل منهم ما فيه من المزايا ومواطن الشرف ، التي كان منها الحسب والنسب والشجاعة والنخوة (١) وتختار الفتاة من تفضل من هؤلاء ، لأنهم كانوا يستشيرون الفتاة في أمر زواجها • ويدل على ذلك قول هند بنت عتبة بن ربيعة لابيها : « يا أبت ، انك زوجتني من هذا الرجل - تريد الفاكهة بن المغيرة المخزومي - ولم تؤأمرني في نفسي ، فعرض لي معه ما عرض ، فلا تزوجني من أحد حتى تعرض على أمره وتبين لي خصاله • » فخطبها سهل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاك سهل وابن حرب وفيهما رضا لك يا هند الهنود ومقنع  
وما منهما الا يعاش بفضله وما منهما الا يضر وينفع  
الى قوله :-

فدونك فاختاري فانت بصيرة ولا تخدعي ان المخادع يخدع (٢)

فأختارت أبا سفيان • ومن هذا وغيره يتضح لنا أهمية رأى الفتاة في زواجها • أما ما كان يدور بخلد الفتاة عندما يخطبها خطيب فيجدر بنا أن نذكر نسودجا في حادثة رواها صاحب الأغاني ، وتتخلص في أن الحارث بن عوف بن أبي حارثة قصد أوس بن حارثة بن لام ليخطب إحدى بناته وكان الحارث سيديا جليلا من سادات العرب • فدعا أوس بأكبر بناته ليستشيرها في الامر وليعرف رأيها • فقالت « لا تفعل » قال « ولم » قالت « لانني امرأة في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العهدة • ولست بابنة عم فيرعى رحمى ، وليس بجارك في البلد فيستحى منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره

(١) بلوغ الارب ج ٢ ص ١٥ •

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٤ ص ١٤٩ •

فيطلقني ، فيكون علي في ذلك ما فيه « قال « قومي بارك الله فيك » فدعا  
بالوسطى فأجابته بمثل ذلك حتى دعا بهيسه ، وهي الصغرى ، فقالت « أنت  
وذاك . لكنى والله الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسبية أبا .  
فان طلقني فلا أخلف الله عليه (١) » وكثيرا ما كانت آراء الفتيات معتبرة  
وناضجة في هذا الموضوع .

أما الصفات التي كانت الفتيات ترغب في توافرها عند الأزواج فقد  
صورها الشعر في مواطن ، منها ما جاء في حكاية بنات ذي الاصع العدواني  
فقد روى أنه كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه ، فيعرض ذلك عليهن  
فيستحجن منه ، فلا يزوجهن اعتقادا منه أنهن لا يرغبن في الأزواج ، وكانت  
أمهن تقول له « لو زوجتهن » فلا يفعل . فاستمع عليهن ذات ليلة فقالت  
الكبرى -

ألا ليت زوجي من اناس ذوى غنى      حديث شباب طيب الريح والعطر  
طيب بأدواء النساء كأنه      خليفة جان لا ينام على وتر  
وقالت الثانية :-

ألا هل أراها ليلة وضجيمها      أشم كنتصل السيف غير مبلد  
لصوق بأكباد النساء وأصله      اذا ما اتمى من سر أهلى ومحتدى  
وقالت الثالثة :-

ألا ليته يملا الجفان لضيفه      له جفنة يشقى بها النيب والجزر  
به محكمات الشيب من غير كبرة      تشين ولا القانى ولا الضرع الغمر  
وقالت الصغرى « زوج من عود خير قعود » فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن (٢)  
والظاهر أن هذه الصفات التي رغبن في توافرها في أزواجهن تكاد تنحصر

(١) الاغانى ، ج ٩ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٢) الاغانى - ج ٣ ص ٤ ، ٥ الكامل للمبروج ج ١ ص ٣٢٩ :

« بين الروایتين اختلاف فى اللفظ » .

في التعقل ، ومضاء العزيمة ، والاخذ بالنار ، والكرم والغنى ، والشباب ،  
والقراية . ومن ملاحظتها نجد أنها الصفات التي تستدعيها طبيعة الفتاة في  
نلك البيئة العربية ، تلك البيئة التي تتطلب الفتوة والكرم والعزم ، وهي  
الصفات التي تجعل الرجل قادرا على حماية المرأة وكفالتها . والمرأة لا تريد  
من الرجل غير الحماية والكفاية في كل زمان ومكان ، وان كانت عناصر  
حمايتها وكفالتها تختلف باختلاف المواطن والازمان . والشعر الجاهلي يصور  
رغبة الفتاة مثلا في الثروة في مناسبات كثيرة ذلك لان الثروة كانت ولا تزال  
من عناصر الكفاية والحماية ، بل هي من أسهل الوسائل لمعرفة القدرة على  
الحماية والكفاية . والظاهر أن سكان المدن كانوا أكثر طلبا للقدرة المالية في  
الرجل في حين أن أهل البادية كانوا أكثر منهم رعاية للشجاعة والكرم .  
فقد روى الاغانى أن مسافر بن أبي عمرو بن أمية خطب هند بنت عتبة بن  
ربيعة ابن عبد شمس وكان يهواها ، خطبها الى أبيها بعد أن فارقها الفاكه بن  
مغيرة ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على النعمان يستعينه على أمره ، ولكنه  
لما عاد كان أول من لقيه أبو سفيان فأعلمه بزواجه منها (١) . وآراء الفتيات  
في الأزواج مبثوثة في كتب الادب وهي بجملتها لا تخرج عما صورناه (٢)  
وكانوا يزوجون الشريف منهم اذا جاء خاطبا وقد لا يأخذون منه مهرا  
فقد روى أن لقيط بن زراره خطب الى قيس ذي الجدين ، فقال له قيس ومن  
أنت ؟ قال لقيط بن زراره . قال وما حملك أن تخطب الى علالية في هذا  
المجلس ؟ قال لاني عرفت أنني ان عالتك لم أفضحك وان ساررتك لم  
أخذعك . فقال كفاء كريم ، لا تبئت والله عندي عزبا . فزوجه ابنته  
وساق عنه (٣) . وبمعكس هذا اذا كان الخطيب غير كفاء فلا يزوجه الا

(١) الاغانى ج ٨ ص ٤٧ .

(٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ٤٧ - ٤٨ ، الاغانى ج ٨

ص ٢١٠ - ٢١٨ .

(٣) الاغانى ج ١٩ ص ١٣١ ، العقد الفريد ج ٤ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

لظروف قاسية كما حصل لبنت مهلهل •

وقد تبين مما أسلفنا أن عقد الزواج يسمى فيه مهر يتفق عليه الطرفان، قد يكون ابلا أو أعيانا أو نقدا أو غير ذلك • والرجل هو الذى يدفعه بخلاف ما كان عند اليهود واليونان والرومان الامر الذى استرعى نظر الرومان (١) • والمهر أو الصداق حق من حقوق الزوج يسترجعه عند الفرقة بالطلاق أو الموت ولهذا كانت الزوجة تدخل فى ملكية الرجل يرثها عنه بنوه والاقربون ولهم ، كما أسلفنا أن يتزوجوا منها بدون مهر ، كما لهم أن يزوجوها ويأخذوا مهرها ، كما لهم عضلها أى ابقاؤها من غير زواج بدى الحياة • وقد أبطل الاسلام هذا كله • فصار المهر حق للزوجة ، لا يورث لا بالموت ولا بالطلاق • لكنه أجاز موافقة الرجل على طلاق زوجته لقاء مال وهو « الخلع » كما أن هذا المال لا صلة له بالمهر مطلقا ، انما هو لقاء تنازله عن حقه فى النكاح ، لان الزوج لا حق له فى الاسلام على رقبة الزوجة بخلاف ما كان فى الجاهلية ولفظ « الصداق » كان يطلق على ما يقدم الى العروس ، أما المهر Dowry فكان ما يقدم الى الوالدين (٢) •

وكانوا يعنون برعاية الكفاءة فى زيجاتهم • وقد أشرنا الى الحزن الشديد الذى كان يحز فى نفس مهلهل التغلبى عندما اكره على زواج بنته من رجل ، غير كفء لها ، من اليمن • ومن هذا قول الشاعر فى امرأة زوجت من غير كفء :

لقد فرح الواشون ان نال ثعلب شبيهة ظبي مقلتها وجيدها  
أضر بها فقد الولى فأصبحت بكف لثيم الوالدين يقودها (٣)

Encyclopaedia of Religion, Vol. 8 P. 447 (١)

Smith. Kinship & Marriage, P. 76 (٢)

(٣) الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٨١ •

وكان ميل الفتيات ، فى الغالب ، أن يزوجن فى أقربائهن ليكن قريبات  
من أهلهن وذويهن • وكم نجدهن يشكين من الزواج فى الديار البعيدة  
والقبائل النائية • قالت امرأة من عامر كانت قد تزوجت فى طىء :-  
لا تحمدن الدهر أخت أختها ولا ترئين الدهر بنت لوالد  
هم جعلوها حيث ليست بحرة وهم طرحوها فى الأقصى الأبعد<sup>(١)</sup>  
وذلك لأنها بعيدة عن أهلها فهى لا تلقى مساعدتهم حين تحتاج إليها  
وكذلك كانوا يميلون عموماً الى أن يزوجوا بناتهم من الأقربين فى النسب  
والدار •

#### ٦ - التفزل بالفتاة للأغراض السياسية :-

ذكرنا فى الفصل الحاص بالمرأة الحبيبة الغزل الحقيقى ودواعيه والذى  
كان غاية فى فنون الشعر ، يترجم فيه الشاعر عن احساس خفى صادق  
فيشير فى النفوس المحبة شعوراً صادقاً كذلك • أما هذا اللون من الغزل  
فليس حقيقياً ولا صادراً عن شعور صادق ولهذا أفردنا له هذا القسم •  
الفتاة عنوانها الحشمة ، والحياء ، والحُفْر ، والترفع عما قد يكون فى  
المجتمع من التناحر والكيد العنيفين • فهى لا بد أن يكون لها منزلة خاصة  
ودقيقة تتأثر بالمؤثرات كافة ، وان كانت طفيفة • فهى فى المجتمع العربى  
يصدق عليها التشبيه الذى تضمنه قول الرسول « رفقا بالقوارير » فهى  
القارورة التى يظهر فيها اللمس والحُدش ، وهى التى تنسحب بسهولة •  
وكل تلب أو منقصة تسب الى الفتاة تكون واضحة للعيون • وما ينسب الى  
الفتاة من منقصة ، مهما كان لونها ومقدارها ، يعود بحكم العادات والتقاليد ،  
على أهلها وبشكل أوسع وأبلغ • فشرفها شرفهم وحصانتها حصانة لهم •

(١) الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ •

ولما كان العرب شديدي الغيرة على قبياتهم ، شديدي العمل على حفظ سمعتهم لذا اتخذهن الشعراء وسيلة لينالوا من خصومهم ومنافسيهم . وكان هذا السلاح ذا حدين اذ يتخذة الخصم لنفس الغرض . وهكذا اتخذت الفتاة مادة للنقائض بين الشعراء وموضوعا لنوع خاص من الغزل هو الغزل الكيدى وهكذا امتدت هذه النقائض التي فيها هذا اللون من الغزل الى العصر الاموى .

والتغزل بالفتيات للاغراض الكيدية الذي ليس فيه حب صادق عرف عند سكان المدن في الجاهلية وقول أن يوجد لدى أبناء القبائل اذ أن طبائعهم لا تتحمله . وشأن هذا الغزل شأن الغزل الجاهلي عامة . وهو غزل عفيف لا ابتذال ولا اسفاف فيه . ولكنه لم يكن مع ذلك خفيف الوقع على النفوس لان العربي مرهف الحس ، شديد التأثر ، قسوى الادراك لكل ما يتصل بمواطن الشرف والاعراض ، وفي مقدمتها التعرض للفتيات رمز الطهر والعفة عندهم .

ومن هذا الغزل السياسي تغزل قيس بن الخطيم بأخت الشاعر عبدالله بن رواحة وهي عمرة ، وذلك في حرب بعات ، التي دارت بين الاوس والخزرج وانتصرت فيها الاوس قوم قيس بن الخطيم على قوم ابن رواحة الخزرج فقال :-

أتعرف رسما كاطراد المذاهب	لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على منى	تحل بنا لولا نجاء الركائب
تراءت لنا كالشمس تحت غمامة	بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ولم أرها الا ثلاثا على منى	وعهدى بها عذراء ذات ذوائب
ومثلك قد أصيبت ليست بكنه	ولا جارة ولا حليلة صاحب (١)

ثم يستمر يصور كيف أنه لم يكن له مندوحة عن الحرب ولما تبين له ذلك  
استعد استعداداً كاملاً لها وجالد بشجاعته • وهذا الغزل عفيف خال من  
الاسفاف ولهذا نجد الرسول « ص » وفي الجامع في المدينة ، وليس حوله  
الا خرجي ، يستشهد بهذه القصيدة التي هي في بنتهم ، ثم استشهدهم على  
صحة بعض دعاوى قيس فيها ، فشهدوا له (١) .

ولم يسكت أخو عمرة عبدالله فتغزل بليلي بنت الخطيم وهي أخت  
قيس أيضاً في القصيدة التي مطلعها :-

أشافتك ليلي في الخليلت المجانب نعم فرئناش الدمع في الصدرغالبى (٢)  
ومن الجدير أن نلاحظ أن كلا القصيدتين من بحر واحد هو الطويل  
ومن قافية واحدة وهي الباء ، وان فيهما تجانسا من حيث الروح العامة ورقة  
اللفظ ونقضا في المعاني ، فهما من النقااض الجاهلية التي كانت اساسا لفن  
النقااض ، الذي شاع واتسع ، في العصر الاموى •

---

(١) الاغانى ج ٢ ص ١٥٧ •

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٦ •

## الفصل السادس

### المرأة الامة في السمر الجاهلي

١ - الامة في التاريخ والشعر :-

تاريخ العرب وأدبهم القديمان مثل التاريخ والادب العالمي بعامة ، انهما تاريخ أشخاص وأدب أشخاص ، لا تاريخ جماعات وأدب جماعات ، كلا ولا تاريخ أمة وأدب أمة . فطابعهما الاول والاخير طابع فردي استقراطي . ذلك لانهما يعنيان بالافراد الممتازين وما يصدر عنهم أو يتصل بهم فحسب . اما ما يصدر عن الجماعات ، أو الطوائف ، أو الفرق ، أو سائر الافراد ، فلما ينسب الى أولئك الافراد ، ويختلط بتاريخهم وأدبهم الخاص ، ولا يكون الدافع لتدوينه أو حفظه وتناقله الا خدمة تاريخ الشخصيات تلك . فالمؤرخ يذكر الحوادث لا لشيء الا لصلتها بتاريخ فرد معين ، فهو يعني ويختار منها بالمقدار الذي يتصل بالفرد وتاريخه . فالفتوحات والحروب والصناعات والديانات والنخ . . . كلها تدون باسم الافراد ، وتتطور وتغير باسمهم . اما تاريخ الجماعات وآدابها وتطورات حياتها وتقدمها كل ذلك وغيره فمبثوث هنا وهناك ، ومفروق في تاريخ الممتازين من الافراد وآدابهم . فقد نجد اشارات عابرة أو نستشف لمحات نادرة من بين السطور لتاريخ الجماعات وآدابها واذا اردنا ان نؤلف من هذه الاجزاء المتناثرة والاوصل المفارقة صورة متسقة مترابطة لحياة الجماعات عز علينا ذلك في العادة واحتجنا الى جهد موصول وتوفيق وتأتي ظروف .

ومن الجماعات التي كانت تحيا في المجتمع العربي في الجاهلية وتؤلف طبقة متميزة من طبقاته هي طبقة الاماء . فما هي منزلة هذه الطبقة في ذلك

المجتمع ؟ وما العوامل التي دعت الى تكوينها ؟ وما هي أعمالها في المجتمع وتأثيرها فيه ؟ هذا وغيره ما نريد أن نكشف الستار عنه وتلمس أخباره هنا وهناك علّنا نرسم صورة ولو كانت تقريبية لمعالم هذه الطبقة . واننا لنحس منذ البداية باننا لا نستطيع تحقيق كل ما نصبو اليه لندرة المصادر ، وضياح أكثر التاريخ والشعر والقصص والأخبار لهذه الفترة الأساسية في دراسة حياة الشعب العربي يوم كانت الجزيرة وحدها على وجه التقريب هي الموطن الأصلي له .

والأمة في عرف ذلك المجتمع هي المملوكة (١) خلاف الحرة أو هي المملوكة ذات العبودية (٢) أو هي الجارية التي تمتن الخدمة والقينة أو المغنية التي تمتن الغناء . وتسمى المغنية كرينة أيضا (٣) . فكونها مملوكة اذن من أهم صفات الأماء تلك وكان التملك يحصل عندهم بطرق أهمها : النهب والاسر والشراء . والنساء كن يجتلبن بطريق من هذه الطرق من البلاد المجاورة ، كما يؤخذن سبيات من القبائل العربيات نفسها فيمتلكن ، فأصبحن يؤلفن طبقة كبيرة في المجتمع الجاهلي ، لشيوع الحروب والغزو عندهم وكثرة النهب . وانتشرت أسواق النخاسة في المدن الكبرى بخاصة ، يتجر الناس فيها بالاماء والعبيد الذين كانوا يعتبرون سلعة ، ومن أهم السلع .

## ٢ - منزلة الاماء الاجتماعية :

والاماء طبقة مهانة محترقة ، تلقى على عاتقها الاعمال المرهقة التي

(١) الفيروزبادي : القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج ١٨ ص ٤٧-٤٨ ، ج ١٧ ص ٢٣١-

٢٣٢ .

(٣) حبيب الزيات : المرأة في الجاهلية ص ١١ . ويسمى العود كراانا والكرينة صاحبة العود . قال لبيد :

بصبوح صافية وعزف كرينه بموتر تآتاله ابهامها

تحتاج الى مجهود مادي وبدني كبير • وهذه الاهانة والاحتقار ينتقلان الى الابناء ، فابناء الاماء يرثونها بالولادة • قال السليك بن السلكة ، أحد صعاليك العرب المشهورين والعدايين الممتازين الذين قيل عنهم : انهم لا تعلق بهم الحيل وكانت امه حبشية وهو منسوب اليها (١) :

أسباب الرأس أني كل يوم أرى لى خالة وسط الرحال  
يشق على أن يلقيين ضيما ويعجز عن تخلصهن مالي (٢)

وابن الامة لا ترغب فيه الحرائر وان كان من قبلتهن • فهو ليس بكفء لهن ، فاذا صادف أن طلب الواحد منهم يد احدهن سرعان ما ترفضه • فقد روى ان شقيق بن سليك خطب امرأة من قومه فردته فلم يستطع أن يفعل شيئا الا أن يدعو لها بالنصب في حياتها وبالعقم اذا تزوجت من غيره • بعد أن رده فقال والم يحز في قلبه :

ونبتها أحرمت قومها لتنكح (٣) فى معشر آخرينا

فما نكحت فلا بالرفسا • اذا ما نكحت ولا بالبينا (٤)

وبالاضافة الى احتقار ابن الأمة فان بيته لم يكن مصونا مكرما كسائر بيوت الناس ، بل كانت امرأته تزار رضى بالزيارة هو أم لم يرض • فيلج الناس عليه بيته من دون أن يحسبوا له حسابا وهو ان أراد أن يزور بيتا للناس لا يسمح له الا اذا شاء أهل البيت وبالطريقة التى يرونها • ويتحدث الناس الى زوجته رغم ارادته • قال السليك بن سلके وقد وجد قوما يتحدثون الى زوجته وهم من بنى عمها :

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٣٤ •

(٢) المبرد : الكامل ص ٢٢٩ ( باريس ) البرقوقى : دولة النساء

ص ٥٥٢ •

(٣) لتنكح أى لتتزوج •

(٤) البرقوقى : دولة النساء ص ٧٥ •

يزورونها ولا أزور نساءهم ألهمنى لاولاد الأماء الحواطب (١)

والزواج من الأماء غير مرغوب فيه عند البدو وأهل الحضر وقد استمرت هذه النظرة للأماء حتى بعد الاسلام فكان أهل المدينة مثلا لا يرغبون في الزواج من الاماء حتى نشأ فيهم ثلاثة من الامائل الاشراف ، هم : علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله فبزوا أهلها علما وورعا ، منذ ذلك ، فحسب ، تبدلت نظرة المجتمع الى الزواج من الاماء ثم تطورت الحال فصار الكثيرون منهم يرغبون في الزواج بالاماء أملا في أن يتجنن مثل هؤلاء الاعلام الثلاثة (٢) .

والهجين لا تورثه العرب في جاهليتها ولا تعده ولو وجد (٣) وتستعبده من أنسابها الا اذا أنجب فهي عند ذلك فحسب تعترف به . فقد بقي عنترة عبدا يعرف بابن زبيبة الى أن أغار بعض أحياء العرب على قومه من بني عيس فقاتلوهم وفيهم عنترة فقال له أبوه : كُـرْ يا عنترة فقال : العبد لا يحسن الكـرّ انما يحسن الحلاب والصرّ . قال : كرّ وأنت حرّ . فقاتلهم عنترة وأبلى في قتالهم واستنقذ ما في أيديهم من الغنيمة المنهوبة فأدعاه أبوه عند ذاك وحرّره فألحقه قومه بهم في النسب فصار عنترة بن شداد العيسى ، أما اخوته من امه فقد بقوا عبيدا (٤) .

والأمة ان ولدت سميت عندهم « أم ولد » أما الحرة فانها ان ولدت

---

(١) الاغانى : ج ١٨ ص ١٣٧ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٧٩ . ويلاحظ كامل

المبرد ج ١ ص ٣١١ .

(٣) المصدر السابق . الهجين غير كريم الام والمقرف غير كريم الاب .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٧٥ . ومثل عنتره خفاف بن

ندبه السلمى الذى كانت امه سوداء نسب اليها .

سميت « أم البنين » (١) .

على أن الاماء لم يكن كافة في مستوى اجتماعي ومنزلة واحدة فهن يختلفن باختلاف أجناسهن وأشكالهن واستعدادهن العقلي والفني فمنهن السوداوات من افريقية وغيرها ، ومنهن الروميات والفارسيات والهنديات . فكان منهن الكادحات المجهودات اللاتي تلقى على عواتقهن الاعمال المضنية ، والخدمات المنزلية ، ورفع الاحمال وانزالها ، والطبخ وجمع الاحطاب والنخ . . . كخالات السليك اللاتي وصفهن في البيتين السابقين وقال بانه يراهن بين الاحمال ووسط الرحال ، يرفعن الاثقال ويضعنها . ومن الاماء : اللاهيات العابئات ، والمغنيات والراقصات والعاذفات على آلات الطرب ، وعشيرات الامراء والاثرياء العابئين اللاهين ، كعشيرات امرئ القيس وطرفة بن العبد وغيرهما ، الذين صوروا بعض عبثهم ولهوهم معهن في اشعارهم ، وأمثال أبي سفيان وأبي جهل وعتبة بن ربيعة وغيرهم من أغنياء مكة أم القرى ، وأمثال غير هؤلاء من المرابين الذين يأخذون الربا أضعافا مضاعفة والذين يأكلون الحرام فيذهب ناراً في أجوافهم وزبدا جفاء لا ينفعهم ولا ينفع الناس .

### ٣ - الاماء والحالة الاقتصادية والحلقية :

تميزت في المجتمع العربي في الجاهلية طبقتان : الاغنياء الموسرون والفقراء المعوزون وانعدمت ، أو كادت تنعدم ، الطبقة المتوسطة . وهذا مظهر طبيعي في الجماعات القبلية التي يسودها رؤساؤها بالقوة والغلبة ، وتشسن القبائل الغارات فيما بينها ، ولا حكومة منها ترعى صلاحها ، وحتى التجارات ونقل البضائع ما كانت تستقيم لولا الحماية الدائبة لها وكان من الطبيعي أن يجد الاثرياء لكاسبهم الواسعة مصرفاً وهم يعيشون في بيئة صحراوية قليلة

(١) دائرة المعارف الاسلامية مادة ( أم ) .

الصور والمناظر • فقد حظيت المرأة بعناية الرجل وبدل فلي ذلك ما كانت تفتح به قصائدهم من الغزل والنسيب الذي صار تقليدا شعريا في ذلك العصر • فكانت النساء ملهى للرجل وأى ملهى • وكان وجود الاماء اللاهيات العابثات أمرا طبيعيا عند هذا الشعب العاطفي الذي طغت عليه فرديته وغلبته نزعة المادية ، وقلت في بلاده الملهمات من الالوان والصور • فيئته رمال واسعة ممتدة وسما زرقاء مصحية • والمرأة ، بطبيعتها ، ملهم قوى للمعاني والاخيلة • قال المسعودى : لم تكن أمة من الامم بعد فارس والروم أولع باللاهى والطرب من العرب (١) •

واللاهون العابثون بخاصة ، الذين كان الاختلاف الى دور اللهو والغناء مما يالفون ، والاسراف فى العبث مما يحسنون فريقان : فريق متحلل من قواعد الدين والاخلاق المرعية ، وأكثرهم من سكان الحواضر وبخاصة المدن الكبرى مكة والمدينة والطائف ، المدن التى كانت مراكز هامة للدين والعبادات • هذه المدن كان من مصلحتها أن تحافظ على ما أقيم فيها من معابد وما تعارفوا عليه من شعائر دينية لتحتفظ بمركزها المالى والاجتماعى ، لان أهم أسواق التجارة والرقيق كانت فيها • وكان سكان هذه المدن أسبق من غيرهم فى ميدان الثقافة وقد تعرض فريق منهم لهذا السبب الى النفور من الطقوس الدينية المتبعة ونتيجة الى الاشباع الذى حصل فى نفوسهم من معالم الدين ومراسيمه فانصرفوا نحو المادة ونحو المال بخاصة • وقد ساعدهم على التحول ما تعرضت له الجزيرة العربية بعامة من أزمة اقتصادية أخذت بخناقها ، وذلك فى القرن السادس الميلادى بسبب التطورات السريعة التى كانت تطرأ على فن الملاحة البحرية التى كان من أهم نتائجها أن صار الملاحون أقدر على ركوب البحر ، فصاروا يخاطرون بنفوسهم وبتجارتهم أكثر من

---

(١) مروج الذهب : ج ٤ ص ١٥٩ •

ذى قبل • فأخذت التجارات تنقل من الموانئ وبالطرق البحرية أكثر مما سبق • ومن المعروف جيدا أن التجارات في الجزيرة كانت تسلك الطرق البرية بحيث كان أهم اقتصادياتها قائماً على نقل هذه التجارات •

وكان لهذه الازمة الاقتصادية التي شملت الجزيرة آثار بعيدة في معايير الاخلاق والمعاملات بين الناس فتبدلت مقاييس الحشمة السابقة ، واضطربت موازين العدل الاجتماعي ، وهزلت الذمم ، وتزعزعت العقائد ، فصار كثير من التجار اذا اکتالوا على الناس يستوفون • وأخذوا الربا الفاحش أضعافاً مضاعفة • والى غير ذلك مما وصفه القرآن الكريم • وكثر النهب والغارات وانحطت الاخلاق في المدن فأخذ بعض شبان مكة مثلاً يتعرض لنساء البدو عندما يفدن للحج أو لقضاء الحاجات والمصالح ، وقد يؤدي ذلك الى المشاحنات والحروب أحيانا كما حصل في حرب الفجار (١) • وصار بعضهم يكره اماءه على البغاء طلباً للمال (٢) • وصارت بعض القبائل البدوية تئد البنات • وهذا التفسخ الخلقى هو الذى سهل لبعض الشخصيات المعروفة في مكة وفي غيرها من المدن أن يتخذ دورا للعبث واللهو يختلف إليها العابثون ومتفسخو الاخلاق من أهل الثراء على ما سنوضحه فيما بعد •

أما الفريق الثانى من العابثين فأكثرهم من سكان البادية وهم دون العابثين من أهل المدن خطراً وأقل عدداً وجلهم من أبناء الامراء وهم يقلدون المدنيين فى لهوهم وعبثهم وان كانوا يختلفون عنهم بما يجمعون الى اللهو من صفات الحشونة البدوية • وقد صور الكيرون منهم أساليب حياتهم فى أشعارهم • قال قيس بن الحدادية :

فيوماى : يوم فى الحديد مسربلا      ويوم مع البيض الاوانس لاهيا (٣)

(١) السيد أمير على : المرأة ومركزها فى الاسلام ص ١٠٥ •

(٢) القرآن الكريم : النور ٣٣ •

(٣) الاغانى ج ١٣ ص ٨ •

وقال طرفة بن العبد :

فان تبغنى فى حلقة القوم تلقنى وان تلمسنى فى الحوائت تصطد (١)

والاماء من العابثات وبخاصة المغنيات منهن ، وان أسأن الى الاخلاق بما  
تشرن من الاسفاف والانوثة المزرية الا أنهم أثرن فى الروح الشعري ، فكم  
كن ملهمات بالمعاني الرقيقة والاخيلة البديعة والالفاظ العذبة والاوزان  
الرافضة الرشيقة كما انهن ضبطن الاوزان وكن سببا فى احكام القوافى .  
فقد روى مثلا عن النابغة ، مع علو مكانه فى الشعر ، انه كان يقوى فعب  
ذلك عليه فأسمع شعره فى غناء فظن الى عيبه ولم يعد الى الاقوياء بعد ذلك (٢) .  
هذا بالاضافة الى أن تصويرهن وأوصاف مجالسهن وغير ذلك مما يتصل  
بأحوالهن كان مادة للشعراء فى الوصف ومن هذا قول عمر بن الاطابية ،  
وكان قد برع فى وصف القيان وغنائهن وحلّيهن وزيتهن ومنه :

ان فينا القيان يعزفن بالد ف لفتياتنا وعيشا رخيا

يتبارين فى النعيم ويصيب من خلال القرون مسكازكيا

انما همهن ان يتحلي من سموطا وسنبلا فارسيا (٣)

أما الطبقات المحافظة والمتسكة بمبادئ الدين وعرى الاخلاق فابتعدت  
عن اللهو وامائه وأوصت ذويها بذلك فقد روى فى وصاياهم قول دريد بن  
الصمة لقومه « اياكم وفضيحة النساء » (٤) . اذ كانوا يرون بيوت اللهو بما  
فيها من غناء ورقص وشراب وعبث ذلك انما هو مفسدة للمرء واضاعة  
للكرامة . قال عفيف بن معدى كرب الكندى :

(١) معلقته .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٣٨ .

(٣) الاغانى ج ١٠ ص ٣٠ ، ج ١٦ ص ١٤ .

(٤) ابن قيم الجوزية : أخبار النساء ص ٩٦ .

وقالت لى هلم الى التصابي فقلت عفتت عما تعلمينا  
وودعت القيداح وقد ارانى بها فى الدهر مشغوفاً رهينا (١)  
وسمى عفيفاً لذلك . وقال الاسلوم اليماني :  
وتركت شرب الراح وهى اثيرة والمؤمسات وترك ذلك انصرف  
وعفتت عنه يا اميم تكرما وكذلك يفعل ذو الحجا المتعفف (٢)  
ومن المتعفين صفوان بن امية ، وقيس بن عاصم التميمي (٣) ومقبس بن  
قيس السهمي ، وحاتم الطائي (٤) .

#### ٤ - الاسيرة :

والاسر من اوضح الموارد التى تمد هذه الطبقة وتعمل فى تكوينها  
وادامتها وكثيرا ما ذكر الاسر مقرونا بالوقائع وهو ظاهر فى الشعر الجاهلى .  
وكان مقام المرأة الممتاز يحمل المدافعين عنها والطالبين الطامعين فيها معا على  
الاستبسال . فكان وقوعها فى الاسرة خسارة وأية خسارة بالنسبة للمغلوبين  
وكسب وأى كسب بالنسبة للغالبين . وكان الذين يتخذون النهب والغزو  
وسيلة للكسب والارتزاق أمثال الصعاليك وغيرهم انما يوجهون همهم الى  
النساء بالدرجة الاولى والى الشريقات منهن بخاصة ، لانهن أفضل من سائر  
الاموال والمتاع . قال طرفة يصرح بهذا :

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح  
فالهم بيضات الخدو ر هناك لا النعم المراح (٥)

(١) محمد بن حبيب : المحبر ص ٢٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، الملل والنحل للشهرستاني ج ٣ ص ٣٠٨ -

٣٠٩ .

(٣) أسد الغابة ج ٤ ص ٢١٩ ، الاغانى ج ١٢ ص ١٤٣ .

(٤) المحبر لمحمد بن حبيب ص ٢٤٠ .

(٥) حماسة أبى تمام : ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

ونجد الاسيرات يوصفن في شعر الجاهليين في الغالب بالشرف والنعمة  
وشدة التعلق بالازواج وغير ذلك مما يدل على رفعة منزلتهن الاجتماعية (١)  
ليدللوا على شدة الدفاع عنهن وعلى بسالة آسرهن ومغامراته . ذلك لان  
الشريفة الناعمة تكون أعزّ نفرا وأكثر ناصرا وحاميا ، ومن تكون كذلك  
تكون أكثر طامعا وأشد طالبا .

قال زهير بن جناب :

وسيينا من تغلب كل بيضا . رقود الضحى برود الرضاب (٢)  
وقالت جنوب في رثاء أخيها عمرو :

المخرج العاتق الحسنا مذعنة في السبي يفتح من أردانها الطيب (٣)  
والشريفة اذا أحست بأنها توشك أن تقع في الاسر كشفت عن وجهها  
وتظاهرت بمظهر الاماء عسى أن يؤدي ذلك الى خلاصها .

وكانت القبائل المختلفة تبذل وتخاطر في سبيل جلب العدد الاكبر من  
النساء الى حظائرهما ليلدن المحاربين (٤) لها فتزاد منعة . وجعل غلاء المهور  
الحرب عندهم وسيلة فعلية دائمية للحصول على الزوجات . فالاسيرة في  
الغالب تصبح زوجة للأسر اذا لم يمن عليها . وهذه الظاهرة وأمثالها لتدل  
على قلة عدد النساء ويؤيد هذا غلاء المهور عندهم . أما قلة نسبة النساء فترجع  
الى عوامل ربما كان الواؤد من أهمها (٥) وكان من نتائجها بالاضافة الى

---

(١) يلاحظ الاغانى ج ١٣ ص ٣ ، شعراء النصرانية ص ٧٤٥ ، ديوان  
الناطقة ص ٩٨ ، ٥٨ .

(٢) الاغانى ج ٢١ ص ٧٨ .

(٣) رياض الادب في مرآتي شواعر العرب ص ٧٨ .

(٤) الاغانى ج ٨ ص ١٣ .

(٥) Robertson Smith: Kinship and Marriage, (٥)

غلاء المهور أننا نجد أن زواج الرهط كان معروفا عندهم (١) .  
أما العدد الذي بأسرونه في كل واقعة حربية أو حادثة نهب وغزو  
فمختلف ، فقد تبلغ السبايا مئة سبية في الواقعة الواحدة (٢) . وإذا ذكروا  
اسم سبية بين الأسرى فإنما يدل ذلك في الغالب على شرفها وعلو منزلتها (٣)  
فمن ذلك مثلا أن الحصين بن حمام أغار على بنى عقيل وبنى كعب فأصاب  
أسماء بنت عم سيدهم ثم من عليها ، فقال :

فأبنا بالنهاب وبالسبايا وبالبيض الخرائد واللقاح  
واعتقنا ابنة العمري عمرو وقد حطنا عليها بالقдах (٤)  
فهم إذا أخذوا الأسيرة استوضحوا منها عن أقرباتها وأبناء عشيرتها (٥)  
ويجبلون على الأسيرات القдах لأقسامهن عندما لا يهتدون إلى قسمة  
يرتضونها . قال زيد الحيل :

وسائل بنا جار ابن عوف فقد رأى حليلته جالت عليها مقاسمي (٦)  
وكثيرا ما نارت حروب طويلة لاسترجاع الأسيرات الكريمات شأنهم  
في ذلك شأن غيرهم من الأمم التي تشبههم في جاهليتها . فحروب طراوة  
Troie عند اليونان كان السبب المباشر لها استرجاع هلين (٧) Heline

- 
- (١) «ولكن» : الامومة عند العرب ص ٣ ، ٩ ، محمد بن حبيب :  
المحبر ص ٣٤٠ .  
(٢) بيفان : نقائص جريير والفرزدق ص ٨٤ ، ١٤٥ ، ٣٢٦ ،  
٤٠٥ و ٤٧٣ ، ٦٠٠ ، ٧٠٣ .  
(٣) النقائص ص ٤٧٣ ، ٧٠٣ ، العقد الفريد ج ٣ ص ٦٢ .  
(٤) لويس شيخو ، شعراء النصرانية ص ٧٤٥ .  
(٥) النقائص ص ١٠٦١ .  
(٦) الاغانى ج ١٦ ص ٥٤ .  
(٧) Perron : Femme Arabe, P. 75 - 77 .

لان السكوت على أسر النساء ، عند اليونان كما عند العرب ، مجلة لعار كبير . وقد أظهر فرسان العرب بطولات نادرة مصبوغة بالغرام والحب لاسترجاع الفتيات الاسيرات فى مناسبات تفوق الحصر (١) . وكان الحب فى نظر العرب نعمة يبعث الشعور الصادق ، والعاطفة النبيلة ، ويوقظ صفات الرجولة والبسالة . فكان لكل فارس حبيته توحى اليه بأمثلة الشجاعة فكانت فروسية العرب فروسية حقة تمتاز بالاخلاص والجمال . وقد انتقلت هذه الفروسية ، كما هو معروف ، الى الغرب ، ولكنها لم تنتشر بكامل صفاتها ، لانها فى بلاد العرب كانت ضرورة ، لمجانستها لمقتضيات النظم الاجتماعية والاخلاقية والحياة عامة بيد أنها فى الغرب كانت تقليدا يعوزه كثير من المقومات الخلقية والاجتماعية، لهذا سرعان ما انهارت تحت تأثير المقومات . والعرب عرفوا فن الحب *L'Art d'Amer* وكانت نساؤهم تتمتع بمنزلة اجتماعية سامية ساعدتهم على التخلق بروح الفروسية الحققة التى من أهم صفاتها حب التضحية للمرأة . وصوتروا أشواقهم تصوير الهائم بكريم خلالها . وصار ذكرها فى مطالع أشعارهم تقليدا فىنا يوطىء لكل المعانى ، ويختلط حتى بالهجاء أو الرثاء .

نعم كان قعود الرجل عن استرداد أسيرته عارا ما بعده عار ، ويمثل هذا غير عروة بن الورد عامر بن الطفيل اذ عبره بأسر « ليلي » (٢) وقد يطول استرجاع الاسيرة ويشند (٣) .

---

Perron : Femme Arabe, P. 76 ' André Maurois (١)

Sept Visages de l'Amour, P. 8. ' Blunt : Seven Golden Odes, P. 10 - 14.

(٢) عروة بن الورد : ديوانه ص ٥٩ .

(٣) النقائض ص ٧٥ . الاغانى ج ١٦ ص ٥٥ .

وإذا ما باءت المحاولات الحربية والسلامية لاسترجاع الاسيرة بالفشل  
فليس من سبيل الى ردها بعد ذلك الا الفداء . ولا نعرف كم كان مقدار فداء  
المرأة عندهم ، سوى ما روى عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله : من انه  
ردّ على هوازن سباياهم فأقنّدى به صحبه خلا العباس بن مرداس اذ تمسك  
بحقه . فقال الرسول « أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل  
انسان ست فرائض من أول سبي اصبه (١) » . والفريضة هي القلوص  
بنت سنة (٢) . والغالب على الظن أن مقدار فداء السبية لم يكن واحدا  
فهو يختلف عندهم باختلاف النساء وباختلاف القبائل ذلك لاختلاف اقدار  
النساء فالشريفة أغلا فداء من الوضيعة .

وكان من أهم مفاخرهم في الجاهلية فك الاسيرة وهو يدل على الشهامة  
وكرم النفس . واذ تم فكها من دون تعريضها لسوء أو لفضيحة كان أوقع في  
النفوس . ومما مدح به ذريد بن الصمة يزيد بن عبدالمدان قوله عنه :-

ورد النساء بأطهارها      ولو كان غير يزيد فضح (٣)  
وقال زهير بن جناب يفتخر :

ولولا الفضل منّا ما رجعتن      الى عذراء شيمتها الحياء (٤)

وكثيرا ما عبروا من يتعرض للاسيرات بأذى . فمن مفاخرهم الاحسان  
الى الاسيرات والرفق بهن حتى كأنهن من نساء أسرهن . قال حاتم الطائي :  
فما أنكحونا طائعين بناتهم      ولكن خطبناها باسيافنا فهرا  
فما زادها فينا السياء مذلة      ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا

(١) ابن هشام : السيرة ج ٤ ص ١٣٦ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج ٩ ص ٦٧ .

(٣) الاغانى ج ٩ ص ١٨ .

(٤) الاغانى ج ٢١ ص ٩٤ - ٩٥ .

ولكن خلطناها بخير نساءنا فجاهت بهم بيضا وجوههم زهرا (١)

ويدوا أن حرصهم على معاملة الأسيرة بالحسنى جعل بعضهم يجدن  
فى الأسر راحة ورفاها وان كن عامة قد عبّر عن كراهنهن للأسر وللأسر •  
لكن هذا لم يمنع أن تكون احداهن أسعد حالا وأهنأ عيشا وأهدأ بالا وهى  
فى الأسار فقد قال حاتم أيضا :

وأرملة تسعى بشعث كأنها وإياهم ربداء حثت رثالها  
هنأنا ولم نمنن عليها فأصبحت رضية بال قد أرحنا هزالها (٢)

وكانوا يمنون على الأسيرات • ويتبعون فى منتهم عليهن ولون معاملتهم  
نهن والى غير ذلك قاعدة « المقابلة بالمثل » المعروفة بين الدول اليوم  
ويطبقونها فى أدق معانيها بين قبائلهم • فان أسىء لواحدة فى سوقها هددت  
بوانتخت بقومها • أسر معقل الهذلى أم عمرو امرأة خدام الخزاعى فى  
نساء من قومها وساقها عريانة فألهب ذلك نار غضبها وهددت قائلة :

أسأت هذيل فى السياق وأفحشت وأفرط فى السوق القبيح أسارها  
لعل فتاة منهم أن يسوقها فوارس منأ وهى باد شوارها (٣)  
فرد على تهديدها غير عابىء :

أذى أم عمرو فى السياق تفضبت وهان علينا رغمها وصغارها  
وكم من فتاة قبلها سقت عنوة منعمة والزررق باد حرارها  
فان تأتينا يا أم عمرو خيولكم تلاق لنا حربا شديدا سعارها (٤)

وعلى العكس من هذا فقد صرح كثير من فوارسهم بأنهم يحسنون

(١) عفيفى : المرأة فى جاهليتها واسلامها ج ١ ص ٤٥ •

(٢) ديوانه : القصيدة رقم ٦٠ •

(٣) أبو سعيد السكرى : أشعار الهذليين ص ١١٧ •

(٤) المصدر السابق ص ١١٨ •

معاملة الاسيرات لانهم يريدون أن يحسن خصومهم الى أسيراتهم وأنهم  
يسيئون ان أساء الحُصوم . قال العباس بن مرداس يرد على خفاف بن ندبه  
وكان واحدا من أبناء الاماء وقد اتهم العباس بأنه يستهين بسبايا العرب :  
« أما استهانتى بسبايا العرب فأنى أحذو القوم فى نسائهم بفعالهم فى  
نسايتنا الخ .. » (١) .

ولما كان الاسر شائعا لديهم وكانت قاعدة المقابلة بالمثل متبعة صارت  
الاسيرة لا يساء اليها فى العادة فلا يسمح الفارس لنفسه أن ينزع عنها  
حليتها أو قلائدها وان كان جاف الطبع (٢) هذا ناهيك عن حياتها إذ  
لا تعرض للخطر فى حين أن الاسرى من الرجال يلاقون حتفهم فى الاسر  
غير قليل .

ومع كل ما ذكرنا من حسن معاملة الاسيرة فان الاسيرات فى العادة  
لم يكن ينصرفن عن أهلهن وقبائلهن نظرا لقوة النزعة القبلية عندهم وما  
يلحقهن وأهلهن من الذلة عند أسرهن . فالاسيرات يظهرن كراهة بالغة  
للاسر وللآسر معا ، وحزنا عميقا لما يصرن اليه . ومنهن من تبكى أهلها  
وتندب حظها وتستغيث مرسله صرخاتها بثرا وشعرا طالبة النجدة ، سائلة  
فومها خلاصها عاجلا (٣) . وقد يستولى على احداهن اليأس فتنتحر فرارا  
من الوقوع فى الاسر . فقد روى أن صخرة بنت اسماء بن الضريبة النضرى  
لما أسرت خنقت نفسها فماتت (٤) . وقد صور الشعراء الحالة النفسية التى  
تصير فيها الاسيرات . قال المجمع الهلالى :

(١) الاغانى ج ١٦ ص ١٣٥ .

(٢) Stanly Lane-Pool : Studies in a Mosque, P. 5.

(٣) النقائض ص ٢٤٢ .

(٤) الاغانى ج ١٣ ص ٣ .

وعائرة يوم الهيما رأيتها وقد ضمها من داخل القلب مجزع  
لها غلل في الصدر ليس ببارح شجي نشب والعين بالماء تدمع  
تقول وقد أفردتها من حليلها تعست كما أتعتنى يا مجمع (١)

وبالإضافة الى أنهم كانوا يمنون فيطلقون سراح الاسيرة بدافع المعاملة  
بالمثل فانهم قد يمنون للفضل والاحسان أو مراعاة لقرابة (٢) أو مصاهرة  
أو جوار (٣) أو اشتراء للحمد والثناء (٤) وهذا من أهم مفاخرهم التي  
تغنون بها .

وكانت بعض القبائل العربية لا تؤسر نساؤها . فأهل مكة كانوا دون  
الناس آمينين يغزون ولا يُغزَوْنَ وَيَسْبُونَ الناس ولا يُسْبَوْنَ فلم تسب  
قرشية قط فتوطأ قهرا ، ولا تجال عليها السهَام (٥) .

وإذا لم تفقد الاسيرة أو يمن عليها فيخلى سبيلها دخلت في ملكية  
أسرها غنيمة فتصبح أمة يستخدمها ان شاء (٦) أو يبيعها (٧) أو يتزوج  
منها وهو الكثير (٨) فان تزوج منها لا يجوز له بيعها بل له أن  
يطلق سراحها (٩) فيعود حقه في هذه الحالة قاصرا على معاشرتها ليحصل

---

(١) حماسة ابي تمام ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ ويلاحظ ديوان النابغة  
الذبياني ص ٥٨ .

(٢) ابن الاثير ج ١ ص ٣٧١ .

(٣) الاغانى ج ٢١ ص ٩٤ - ٩٥ .

(٤) الاغانى ج ٩ ص ١٨ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٨ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٦) النقائض ١٠٦٨ .

(٧) النقائض ١٠٨٩ .

(٨) دائرة المعارف الاسلامية مادة « أ م » .

(٩) Levey: The Sociology of Islam, VI' P. 133. (٩)

منها على الاولاد فلا يصبح حقه منصباً على شخصها • والاسيرات والسرارى  
اللائى يشترهن الرجل سواء فى ذلك •

واذا لم يتزوج منها أسرها يسوقها عادة بعد أسرها الى أسواق  
النخاسين التى كان من أغراضها معالجة ندره النساء وخصوصاً فى  
القبائل الضعيفة (١) والقبائل التى شاع فيها الوأد • وكان استرجاع  
الاسيرة بطريق الشراء يدل على ضعف القبيلة لهذا كانوا يعيرون به (٢) •

ولما طلع الاسلام أقرّ الاسر والرق (٣) ولكنه غير فى أسبابه وطرقه  
تغيراً أساسياً • وقدم فضيلة المن على الفداء (٤) وفتح باب العتق ، وجعل  
فك الرقبة مصرفاً من مصارف الزكاة • كما شرع اسلوب المكاتبه بين  
المالك والامة من أجل أن تتحرر (٥) • وفرض تحرير الرقبة على كثير  
من المخالفات الدينية فهو عقوبة للظهار مثلاً (٦) • واعتبر الامة المؤمنة فى  
الزواج وغيره خيراً من المشركة وان أعجبت (٧) • ووجه الانظار الى  
الزواج من الاماء المؤمنات (٨) • وبخاصة من ليس لهم القدرة على الزواج  
والحرائر • وقرر مع ذلك فى هذه الحالة للاماء حقوقاً منها المهر (٩) •

---

Robertson Smith: Kinship and Marriage, (١)  
P. 295.

- (٢) الاغانى ج ١١ ص ١٧٢ •  
(٣) القرآن الكريم : سورة النساء ٢٥ •  
(٤) المصدر السابق ٤٠ •  
(٥) المصدر السابق النور ٣٣ •  
(٦) المصدر السابق المجادلة ٣ •  
(٧) المصدر السابق البصرة ٢٢١ •  
(٨) المصدر السابق النور ٣٢ •  
(٩) المصدر السابق النساء ٢٥ •

كما فرض على ساداتهن واجبات معلومة (١) . ولما جاءت المؤمنات الى  
النبي الكريم ببايعنه أخذ عليهن عهدا ألا يشركن بالله شيئا ، ولا يزينين ولا  
يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه من بين أيديهن وأرجلهن (٢) .

• - وظائف الامة :

الاماء تؤلف في الغالب جزء كبيرا من الطبقات الكادحة في العهد  
الجاهلي تقوم هي والعييد بالاعمال المرهقة . فهي في الاسر الراقية تقوم  
بالطبخ ولوازمه . قال طرفة بن العبد :

تبيت اماء الحى تطهى قدورنا ويأوى الينا الاشعث المتجرف (٣)

وهي تقوم بالطحن والحبز عادة ويدل على ذلك قول حاتم الذي  
سبق . فهي التي تقوم بالخدمات المنزلية كلها فقد روى عن دريد بن الصمة أنه  
عندما أسنّ وشاخ وكّل به قومه أمة تخدمه (٤) . وقد روى عن ماوية  
زوجة حاتم الطائي أنها أرسلت له جاريتها تخبره بقدوم أضياف ليرسل لهم  
ما يحتاجون اليه (٥) . وكانت تقوم باعداد المتاع وحمل الانتقال في الحل  
والترحال . ويدل على ذلك قول السليك بن السليكة الذي مرّ . وقد  
اتفقت النصوص على أن الاماء كنّ يقمن بالتحطيب وقطع الاخشاب . قال  
طرفة في وصف ربع خال :

(١) المصدر السابق الاحزاب ٥٠ .

(٢) المصدر السابق الممتحنة ١٢ .

(٣) ديوانه ص ٤٤ ( رواية ابن السكيت ) وتلاحظ حماسة أبي تمام  
ج ١ ص ١٥٣ ، الاصمعيات لوليم بن الورد ص ١٨ .

(٤) الاغانى ج ٩ ص ١٢ .

(٥) الاغانى ج ١٦ ص ١٠٦ .

النقائض ص ٨٨ - ٨٩

لا أرى إلا النعام به كالاماء أشرفت حزمه (١)  
فقد شبه النعام تسير في هذه الاطلال رافعة أجنحتها بالاماء اللائي  
كن يحملن حزم الخطب بجامع دقة الرجلين وسوادهما وسعة القسم العلوي  
والمشبه به هو الاماء • ومثله قول الاخنس بن جناب :  
تمشى بها حول النعام كأنها اماء تزجي بالعشى حواطب (٢)  
ان كثرة النصوص التي تشير الى قيام الاماء بالتحطيب (٣)  
لتجعلنا نرجح أن هذا العمل كان من أعمالهن الخاصة بهن • ومن هذا  
ما روى في النقائض في مواضع منها : « وكانت تجمع الخطب (٤) •  
فأصابوا أرملة من تميم وجدوها تحتطب وتقتطع الاخشاب (٥) • وقد ذكر  
النابغة الاماء اللائي يعين الاحطاب والثمار بقوله :  
ليست من السود أعقابا اذا انصرفت ولا تبع بجنبى نخلة البرما (٦)  
والرعى من الوظائف المنحطة في نظرهم ، ويقوم به العبيد بكثرة وقد  
تقوم به الاماء أيضا • وبدل على ذلك ذكر الراعية الذي جاء في خبر أسيد  
« اخبرت راعية أسيد بن جذيمة أسيدا بمثل ذلك فأنتى أسيد أخاه زهيرا  
فأخبره بما أخبرتته الراعية، قال : وانما رأيت خيل بنى عامر ورماحها » (٧)

- 
- (١) ديوانه ص ٧٠ (مع شرح العلم) •
  - (٢) شعراء النصرانية ص ١٨٤ •
  - (٣) الاغانى ج ١٨ ص ١٣٧ •
  - (٤) النقائض ص ١٠٦١ •
  - (٥) الاغانى ج ١٠ ص ١٩ •
  - ابن الاثير ج ١ ص ٤١٦ •
  - (٦) ديوانه ص ٥١ •
  - ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ٤ ص ٨ •
  - (٧) الاغانى ج ١٠ ص ١٣ •

فالراعيات كنّ من المملوكات أو الاجيرات ويدل على انحطاط هذا العمل  
بالنسبة للنساء قول ذى الاصبع العدواني :

عني اليك فما أُمى براعية ترعى المخاض ولا رأيي بمغنون (١)

وابن الامة كثيرا ما يقوم بالرعى فعترة كان راعيا وقال انه يحسن  
الحلب والصرّ لانه ابن امة (٢) .

أما سقى الحمر والغناء والرقص والى غير ذلك من متطلبات الشاربين  
واللاهين فالاماء تقوم بها كافة قال عدى بن زيد .

ودعوا بالصبح يوما فجاءت قينة فى يمينها ابريق (٣)

والقيان كنّ يستعمل آلات الطرب كافة فى مجالس اللهو فهن يضربن على  
الدف ويعزفن على الكران والمزهر . قال لييد :

بصوح صافية وعزف كرينة بموتر تأناله ابهامها (٤)  
فالكرينة هى صاحبة العود اذ يسمون العود كرانا . وقال عبد عمرو يذكر  
المزهر الذى يستخدمه فى ايقاع اغانيهن :

فيومك عند مومسة هلوك كفل الرجع مزهرها ضحوكا (٥)

كما ذكر علقمة عندما فخر بمنادمته الشرب وسماعه القيان المزهر  
ووصف صوته بأنه رنم :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم والقوم تصرعهم صهباء خرطوم (٦)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٧١ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٣) شعراء النصرانية ص ٤٦٧ .

(٤) لييد معلقته .

(٥) خزانة الادب ج ١ ص ٤١٦ ، جمهرة أشعار العرب ص ٣٣-٣٥

(٦) المفضليات ج ٢ ص ٢٠٢ . الخرطوم أول ما ينزل من الحمر وهى

ويكاد الغناء يعتبر فنهن الاول الذي عرفن به فقد جاء فى الشعر ذكر غنائهن ووصف أساليب هذا الغناء ومن هذا ما جاء فى قول برج بن مسهر الطائى وهو يفخر بمناذمته الشرب وسماعه القيان وبمجالسته الفتيات الناعمات اللائى قال انهن يقتسلن بالماء الدافى • قال :-

وفينا مسمعات عند شرب وغزلان يعد لها الحميم (١)  
كما روى عن عدد كبير من المغنيات ما كانت تحسنه كل واحدة منهن من أنواع الغناء فذكروا مثلا أن هريرة ، معشوقة الاعشى ، وأختها خليدة ، قينتين لبشر بن عمرو بن مرثد كانتا تغنيان بالنصب (٢) والنصب طريقة من الغناء • ومن هذا أيضا ما ذكره عبدة بن الطبيب عن سماعه للغناء اذ كانت تغنيه مع أصحابه انسه ترتل الشعر فتطربهم فيرتاحون ويخفون ويغدقون عليها بالهدايا فيصفدونها حتى ملابسهم وبرودهم وسراويلهم من شدة الطرب • قال :

ثم اصطبحت كميثا قرقفا أنفا من طيب الراح واللذات تليل  
صرفا مزاجا ، وأحيانا يعللنا شعرا كمنهبة السمان محمول  
تذرى حواشيه جيدا انسة فى صوتها لسماع الشرب ترتيل  
تغدوا علينا فتلهينا فصفدها تلقى البرود عليها والسراويل (٣)  
فهن يحضرن مجالس اللهو ويفغين الندامى كما قال طرفة فى مشهورته  
« ندامى بيض كالنجوم وقينه الخ • • » (٤) •

وكانت الامة على العموم سلعة من السلع ، تستخدم فى الاعمال

(١) حماسة أبى تمام ج ٢ ص ٨٩ •

(٢) الاغانى ج ٨ ص ٧٧ •

(٣) المفضليات ج ١ ص ١٤٣ • الكميت = خمر فى لونها دكنة ، القرقف - التى ترعد شاربها ، أنف - لم يشرب منها أحد • السمان - نوع من الوشى • نصفدها = نعطيتها •

(٤) وتلاحظ الحماسة لابى تمام ج ٢ ص ٦٠ •

المرهقة ، والاعمال الوضيعة • وهى تباع فى الاسواق وتقدم هدايا غالية •  
قال زهير بن جناب يذكر النعمان :

فأين الذى كان يعطى جواده      بارسانهن والحسان الغواليا (١)  
ولهذه الوظائف المنحطة التى كانت تؤديها الاماء فى المجتمع الجاهلى  
كانت الواحدة منهن مضربا للمثل فى الحطة وسوء التصرف فان المجتمع قد  
حرمهن حقوقهن وسلب كرامتهن ، فصرن هن بدورهن لا يكرمن  
انفسهن ، ولا يرعين لهن قدرا • وصارت البذاءة والسفاهة والسباب من  
مميزاتهن الخلقية • قال أبو عمرو بن بدر ينهى ابن عمه العباس بن مرداس  
عن التمدادى فى منافرته خفاف بن ندبة وكان فارسا ، وندبة أمه وكانت  
أمة سوداء :

فلا تهدى السباب الى خفاف      فان السب تحسنه الاماء (٢)

#### ٦ - دور اللهو والقيان :

لعل من الغريب أن نذكر أن بعض المعابد قديما كان دورا للتعارف بين  
الجنسين عند بعض الامم لان تلك الديانات قد حتمت هذا اللون من التعارف •  
فهيك الزهرة « ميلتا » Mylitta فى بابل من هذه المعابد • وقد  
وصف هيردوتس الرحالة والمؤرخ اليونانى المشهور ما كان يجرى فى هذا  
المعبد وكيف كانت النساء تتعرض للرجال فيه (٣) وجاء فى التوراة اشارة  
صريحة لهذا المعنى • فلم يكن التعارف الجنسى خروجا على تلك الديانات  
عند امم كثيرة كالهنود واليونان والفرس كما لم يكن هذا التعارف أمرا

---

(١) شعراء النصرانية ص ٥٨٤ •

(٢) الاغانى ج ١٦ ص ١٣٥ •

(٣) جان امل ريك : مركز المرأة فى قانون حمورابى والقانون

الموسوى ص ١٥ ( يلاحظ تفصيل ذلك ) •

يستعيض به العزاب عن الزواج انما كان نظاما دينيا (١) .

أما العرب فى جاهليتهم التى وصلتنا بعض أخبارها فكانوا يرون فى الزنا عارا (٢) على خلاف ما صورهم به « سمث » (٣) انما قد يلجأ اليه فقراؤهم لانهم لا يجدون زواجا . ولما جاء الاسلام دعاهم الى التعفف (٤) كما قد يسلك طريقه سفاؤهم . ولما بعث الرسول صلى الله عليه وآله كان للنخاسة والدعارة أسواق رائجة بمكة والمدينة وتيماء وخيبر (٥) تؤخذ اليها الاسيرات هناك لتباع أو لتعمل (٦) . ومن دور اللهو والقيان دور عدة للبناء كانت لعبدالله بن جدعان تدار باسمه جعلها سفهاء قريش مأوى لهم وعلى رأسهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة . ولما ظهر الاسلام آمن كثير من نسائها اذ فتح لهن باب التوبة . ومن دور اللهو بيوت كثيرة اخرى منتشرة فى المدن الكبرى وبالقرب من الاسواق التجارية وكانت بعضها تديرها النساء ويختلف اليها أبناء الاشراف من السفهاء يمضون فيها أيامهم الداجنة التى لم تكن تصلح لصيدهم أو أسفارهم أو غاراتهم لكثرة الغيوم أو المطر أو الندى أو الرياح فيها وقد تحدث امرؤ القيس عن واحد من هذه البيوت بقوله :

وبيت عنارى يوم دجن ولجته يظفن بجيا المرافق مكسال (٧)  
وربما أراد بالجيا المرافق المكسال صاحبة البيت « القهرمانه » فهى

- 
- (١) آدم متر : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ١٤١ .  
(٢) امرؤ القيس : ديوانه ص ٣٨ .  
(٣) Smith : Kinship and Marriage, p. 169.  
(٤) القرآن الكريم ، ابن قيم الجوزية : أخبار النساء ص ٩٦ .  
(٥) Wellhausen : Mohamed in Madina, p. 221.  
(٦) النقائض ص ١٠٨٩ .  
(٧) ديوانه ص ٣٨ .

لكسلها، ضخمة كثيرة الشحم من أثر الراحة وهدوء البال • ولعل عمرو بن كلثوم افتتح معلقته في بيت من هذه البيوت اذ هتف بالساقية قائلاً :

الا هبى بصحنك فاصبحينا      ولا تبقى خمور الاندرينا

وقد جرى العرف أن تعلق على هذه البيوت في مكة والطائف أعلام ليهتدى اليها من شاء من الاغراب (١) ويؤيد هذا ما جاء في القرآن الكريم اذ قال تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً ، لتبتغوا عرض الحياة الدنيا • ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم » (٢)

قال الطبرى ان هذه الآية نزلت في عبدالله بن سلول حين أكره أمته مسيكة على البغاء ليكسب من ذلك ، فجاءت الرسول شاكية تقول : ان سيدى يكرهنى على الزنا (٣) • وذكر ابن الاثير الجزرى ما يوافق ذلك اذ قال : انه كان لعبدالله ابن ابي جارىتان : مسيكة وأميمة ، وكان يريد هما على الزنا فشكنا ذلك الى الرسول فانزل الله عز وجل الآية : « ولا تكرهوا الخ • • (٤) وقال محمد بن سعيد : انهم كانوا فى الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا ويأخذون اجورهن (٥) • وأيد صاحب المحبر أن بعضهم كان يتخذ هذه الطريقة سبيلاً للكسب ومما قال : « وكان لبعضهم راية منصوبة فى أسواق العرب فيأتيها من الناس • • (٦) ولكنه عند تعداده لانواع الزواج الاربعة التى كانت شائعة عند الجاهلين قال « وامرأة ذات

Levey: The Sociology of Islam, VI, p. 168. (١)

(٢) القرآن الكريم : النور ٣٣ •

(٣) الطبرى ، تفسيره ج ١٧ ص ١٠٣ •

(٤) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٥ ص ٤٠٤ •

(٥) الطبرى ، تفسيره ج ١٧ ص ١٠٣ •

(٦) محمد بن حبيب : المحبر ص ٣٤٠ •

راية يختلف اليها الرجال فان جاء اثنان فوافياها في طهر واحد ألزمت الولد أحدهم ولهذا تدعى بـ (المقسمة) (١) وهذا ما يسمى بزواج الرهط وفيه يتزوج عدد منهم دون العشرة من امرأة واحدة وهو نوع من الزواج القديم عندهم . أما الباغية فلم تكن لتمنع من يأتيها وقد تلحق ولدها ان صار لها ولد بحسب معرفة « القافة » وهم جماعة كان يظن أنهم يعرفون شبه الولد بالرجل من ملاحظة بعض السمات والعلامات والآثار فيه (٢)

وأخبار هذه البيوت على قلتها تدل على انه كان فيها لهو وشرب وخمور ورقص وغناء أو بعض من هذا فحسب . فقد روى عن ليلى بنت غفزر ، وكانت تعيش بالحيرة ، وقد نبغت في الغناء ، أنها تلحن أشعار الفتيان وتوقعها وتلقيها عليهم في نعم يهزمهم هزا عنيفا وكانوا لهذا يعتقدون اجتماعاتهم في دارها ويقصدونها في خطير أمورهم ليستثيروا حماسهم ، وليحتاجوا فيقوى عزمهم على تنفيذ ما نواوا عمله . فقد روى أن الحارث ابن ظالم بن مرة الذبياني قصدها في حادث هام فلما سمع غناها انطلق من عندها كالمحموم ينتفض متأثرا من أنغامها فنفذ ما قصدها من أجله . وابنة غفزر هذه قينة وكانت دارها من نوادي السمر والهوى (٣) .

ويروى انهم كانوا يقيمون مجالس خاصة لانسهم ولهوهم . من ذلك ما حضره حسان بن ثابت عند جبلة بن الايهم فقد روى عبدالله بن حسان أنه كان عند بني نبيط مأدبة دعى اليها حسان وكان فيها قينة أو

---

(١) المصدر السابق .

(٢) عبدالرحمن البرقوقى : دولة النساء ص ٥٣٥ . لقد ألف جماعة من الباحثين كتبا خاصة عن البغايا ، منهم هشام الكلبي وله « كتاب بغايا العرب في الجاهلية وأسماء من ولدن » فهرست ابن النديم ص ١٤٦ .

(٣) الاغانى ج ١٠ ص ١٨ .

فيتان تشدان شعره وهو يبكي ، فقد ذهب بصره ، وكلما زادتا في الغناء زاد بكاؤه ، فلما انقلب الى اهله استلقى على فراشه وقال :

« لقد ذكرتني رابعة وصاحبها أمرا ما سمعته أذناي بعد ليالي جاهليتنا مع جبلة بن الايهم ، فقبس ثم جلس فقال : لقد رأيت عشر قيان خمس روميات يغنين بالرومية وخمس يغنين غناء أهل الحيرة أهداهن اليه اياس ابن قبيصة ، وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها . وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الآس والياسمين وأصناف الرياحين ، وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب . وأوتى بالمسك الصحيح في صحاف الفضة وأوقد له العود المندى ان كان شاتيا ، وان كان صائفا بطن بالثلج . . . . هذا مع حلم عن جهل وضحك . وما رأيت منه خن ولا عريضة ونحن يومئذ على شركنا . . . . » (١) .

وأول من غنى في الجاهلية ، على ما تروى الاخبار ، جرادتا عبدالله ابن جدعان وكاتتا أمتين تغنيان له ، سماهما بجرادتي عاد . ثم وهبهما لامية بن أبي الصلت جزاء على مدحه اياه (٢) . وقد قيل عنهما انهما كاتتا معاوية بن بكر احد العمالقة الاول . وكاتتا تغنيان بالالحن الفارسية واليونانية وقد ذاع الغناء بعدهما (٣) . وقيل انهما للنعمان (٤) والراجح ان الجرادتين اسم لمغنيين قديمتين مشهورتين ضرب بهما المثل في حسن الاطراب والغناء والانس ، ثم سميت بعض المشهورات من المغنيات المطربات بأسمهما أولقبتا بلقبهما على الأصح ، ويدل على ذلك قولهم في المثل « تركته

(١) الاغانى ج ١٦ ص ١٥ .

(٢) الاغانى ج ٨ ص ٢ - ٣ .

(٣) الميداني : مجمع الامثال ج ١ ص ٧٨ .

المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٩ .

(٤) الابهيشى : المستطرف ص ١٨١ .

تغنيه الجرادتان « (١) للدلالة على الرخاء والنعمة والانس . ومن الطبيعي جدا أن لا تكون جرادتا عبدالله بن جدعان وحتى جرادتا معاوية بن بكر أول من غنى في الجاهلية وكذلك ليس من الطبيعي أن تكون عزة والميلاء أقدم من غنى الغناء الموقع (٢) . وان جميلة مولاة بنى سليم تعد أصلا من اصول الغناء (٣) ، وكتاهما نشأتا في العهد الجاهلي . ذلك لانه ليس من المنطق في شيء أن يكون الغناء شائعا هذا الشيوع في العهد الاسلامي وهو في دوره الاول دون أن يسبقه عهود وعهود . هذا بالاضافة الى أن نشوء الغناء ، عند العرب خاصة ، يتغلغل في عريق حياتهم مع الشعر الى أزمته ضاعت آثارها في القديم .

والمعروف أن العرب كانوا يغنون في صلاتهم للاصنام ويقدمون نساءهم في حفلاتهم الدينية . وقد قيل ان امرء القيس عندما شبه النعاج بالعداري في الملاء المذيل أراد العداري اللائي كن يرقصن في صلاتهن للنصب فيدرن حول الصنم ، والرقص لا يكون موزونا اذا لم يكن موقعا بتوقيع غنائى .

وتدل الاخبار على أن المدينة والحيرة كانتا أشهر المدن في فن الغناء في الجاهلية . وقد روى أن قيان المدينة عرفن بالرقة والظرف واتقان الغناء والعزف وذلك في الزمن الذى استوطنها الاوس والخزرج ، ولم تفتها هذه الشهرة بعد الاسلام . فقد اشتهرت دور لهوها في الجاهلية واقتنى أهلها القيان والمغنيات بخاصة . فقد روى أن النابغة كان يقوى في شعره ولم يكن أحد يجرأ أن يذكر ذلك له ، فلما قدم المدينة أتى بقينة فغنته قوله في المتجردة ، زوجة النعمان :

(١) الميدانى : مجمع الامثال .

(٢) زينب فواز : الدر المنثور ص ٣٤١ .

(٣) النویری : نهاية الارب ج ٥ ص ٤٠ .

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد  
بمخضب رخص كأن بنائه عنم يكاد من اللطافة يعقد (١)  
فمدت في صوتها آخر كل بيت فصارت الكسرة ياء والضممة واوا  
فنجسم الاقواء بتنافر نغمتي القافية في البيتين فأدرك النابغة هذا العيب ولم يعد  
يقوى .

كما اشتهرت الحيرة بقيانها ودور اللهو فيها وكانت هذه القيان تغنى  
بشعر النابغة في عهده ، وبشعر عدى بن زيد العبادي وغيرهما . وولي بنت  
عزفر التي مرّ ذكرها من مشهورات مغنياتها (٢) .

وكان لدور اللهو ، بالاضافة الى ما كان يرفع على بعضها من اعلام ،  
ادلاء من النساء الاماء ، والعييد الساقطين ، وقد ذكرهم جردان العود النميري  
ووصفهم بقوله :

يلغهن الحاج كل مكاتب طويل العصا أو مقعد يتزحف  
ومكمونة رمدا لا يحذرونها مكاتب ترمى الكلاب وتحذف  
رأت ورقا بيضا فشدت حزمها لها، فهي أمضى من سليك وألطف (٣)

يقول : ان هؤلاء الادلاء هم من العييد ، المكاتبين لساداتهم ، يلغون  
الاماء حاجات الطالبين . وهم طوال العصى لطولهم أو لاستخدامهم العصى  
الطويلة في أعمالهم هذه . ومن الادلاء أيضا من المكسحين وهؤلاء يزحفون  
اليهن يلغونهن الحاجات . ومنم الاماء الشعث الرمدا رمدا شديدا بحيث  
لا تهتدى الواحدة الى طريقها الا بصعوبة . فهي لا تسترعى أنظار المارة  
من الناس ، ولا يحذرونها هم في هذه الحالة ثم هي تتظاهر بالجنون فتعاكس

(١) ديوانه ص ٦٧ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٣٨ .

(٣) الاغانى ج ١٠ ص ١٨ .

الكلاب وتركض وراءها تفعل ذلك كله لتتخفى • ثم يقول ان هذه الامة العمشاء الرمداء ما تلمح النقود الفضية الا وتطير فرحا فتخف لاداء عملها ، وتشد حيازيمها فتجرى مسرعة للغاية بحيث لا يدانيها السليك بن سلكة العداء المشهور ، فهو يبالغ في وصف شدة اسراعها في عملها •

٧ - صور قصصية :

والاماء كن مصدر لهو وعبث وكان اللاهون يصورون لهوهم واماءهم وما كان من حوادث تصوير ذكريات • ونجد قصصا للهو في شعر امرئ القيس وطرفة بن العبد والاعشى ميمون وعروة بن الورد وغيرهم • ومن خصائص هذه القصص أن أكثرها وصف وهي قليلة الحوار • ووصفها يتناول وقت زيارة هذه الدور ، وكان ليلا تجنبنا لانظار الناس • كما يتناول الغناء والرقص ووصف الملابس والشراب وغير ذلك وهو بجملته وصف لا تكلف فيه وغير خارج عن الواقع الملموس ، قليل الزخرفة والحيال • قال طرفة بن العبد :

ندامى بيض كالنجوم وقينية      تروح علينا بين برد ومجسد  
اذا نحن قلنا أسمعنا انبرت لنا      على رسلها مطروقة لم تشدد  
اذا رجعت في صوتها خلت صوتها      تجاوب أظفار على ربع رد (١)

فقد شبه غناها على سجيته من غير تكلف بتجاوب أصوات الطباء • واذا قارنت هذا الوصف بغيره من الوصف الجاهلي للنساء وجدت فيه شيئا من الادب المكتشف الذى يخالف ما التزموه من الحشمة والاتزان فى سائر وصفهم (٢) • وهذا الابتدال النسبى هو الذى يميز قصص اللهو مع

(١) معلقته فى ديوانه ص ٢٦ - ٢٧ ويلاحظ عمر بن الاطنابه :

الاغانى ج ١٠ ص ٣ ، ج ١٦ ص ١٤ •

(٢) أبو زيد القرشى : جمهرة أشعار العرب ص ١١٩ •

الاماء والغايات عن الوصف في التغزل بالحبيبة والتغنى بها • قال عروة بن  
الورد :

فقال ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذى أنير (١)  
فاللاهيات من شأنهن أن يستفسرن من الرواد عن رغباتهم فهن  
متبدلات، ذوات موقف ايجابي، فلا يترددن في اعجابهن بالرائرين، ولا يمتنعن  
عن التعرض لهم أو استنزاهم الى اللهو وليس في هذا غرابة فالاصطياد  
فهن الاول (٢) •

وهذا القصص بجملته ليس فيه ما يحمل على انكاره فهو واقعي قليل  
المبالغات ولا ننكر احتمال التقليد فيه اذ قد يأخذ شاعر عن شاعر قبله بعض  
صوره فان لم يكن واقعا وصحيحا بالنسبة لبعضهم فانه واقع وصحيح صادق  
بالنسبة لمجموع الشعراء بجملتهم •

---

(١) ديوانه ص ١٨ - ٢٠ ، معجم البلدان ج ٥ ص ٨٠ ويلاحظ  
المعبر لمحمد بن حبيب ص ٢٣٩ •  
(٢) الاعشى : ديوانه القصيدة رقم ٣٩ • ويلاحظ امرؤ القيس :  
حماسة ابن الشجرى ص ١٩٥ - ١٩٦ •

## الفضل السابع

### الشعراء

#### ١ - مكان شعرها :

درسنا في الفصول السابقة موضوع المرأة في شعر الرجال ويجدر بنا ، تماما للبحث ، ان ندرس هذا الموضوع في شعر النساء . ذلك لان الشعر الصادر عنهن يترجم عن جوانب كثيرة من نفوسهم ويظهر جوانب من أحوالهن قد لا يتعرض لها شعر الرجال ، وبهذا تصبح كلا الدراستين متممة للاخرى وضرورية لدراسة موضوع المرأة .

من الظواهر الجديرة بالعناية أن تجد من بين الشعراء في الجاهلية عددا كبيرا من النساء ومنهن من تنتمي الى الطبقات الراقية والبيوتات الشهيرة . أما الشعر المنسوب اليهن فهو قدر ليس بالقليل مما له قيمته الفنية الادبية ، الا انه لا يتضمن معلقة من المعلقات ولا قصيدة مطولة مثلها . ولهذا فان جماعة الادباء الذين عنوا باختيار الشعر الجيد الممتاز كصاحب المفضليات<sup>(١)</sup> ، وصاحب الجمهرة<sup>(٢)</sup> أوجامعي الحماسات كأبي تمام<sup>(٣)</sup>

---

(١) المفضليات فيها قطعة واحدة اختارها المفضل ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) أبو زيد القرشي - جمهرة أشعار العرب . ليس فيها للشواعر

شيء .

(٣) حماسة أبي تمام ج ١ ص ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ - ج ٢ ص ٤٠ ، ١٣٩ ،

٢٠٦ ، ١٩٥ .

والبحتري<sup>(١)</sup> وابن الشجري<sup>(٢)</sup> أو غيرهم من الذين جمعوا المختارات فهم لم يختاروا من شعر الشواعر الجاهليات الا قليلا . أما أصحاب التراجم من القدماء والمحدثين فقد ترجموا لبعضهن وذكروا قسما من أشعارهن<sup>(٣)</sup> لكنه قليل نسيبا . ويرجع السبب الى أمور ولعل أهمها أن عدد الشاعرات الجاهليات كان أقل من عدد الشعراء ، فكان شعرهن أقل من شعرهم ، وصار المختار منه لهذا قليلا . ثم ان الجيد من شعر النساء قليل ويكاد ينحصر في فنون محدودة أهمها فن الرثاء ووصف الاحزان . ولهذا لم نجد في المفضليات غير مقطوعة واحدة لامرأة من بنى خنيفة لا نعلم أجاهلية هي أم اسلامية . أما صاحب الجوهرة فقد وجه همه الى اختيار المشهورات من القصائد التي اكتسبت شهرة واسعة حتى امتازت بلقب خاص بها يميزها عن غيرها . فكانت مختاراته على أبواب منها المجمهرات ، والمذهبات ، والملححات ، والمرائى وغير ذلك . وحتى المرائى نفسها التي اختارها لا نجد فيها قصيدة لشاعرة جاهلية .

يبد أن ما روته كتب الادب الاخرى وكتب التاريخ من شعر النساء ليس بقليل وهو يؤلف مجموعة كبيرة لها خصائصها ومميزاتها الفنية . أما الشاعرات أنفسهن فان المرجح ألا يخلو منهن عهد من العصر الجاهلى ، وكان منهن عدد ، غير قليل في أواخر هذا العصر ، فقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع شعر بعضهن كالحنساء بنت عمرو حيث كان يستجيد نظمها ، وهدى بنت عتبة زوجة أبى سفيان ، التي لامت بنى المطلب وهاشم وهددتهم لقتلهم أبيها<sup>(٤)</sup> . وقتيلة بنت النضر التي وجهت

---

(١) البحتري - الحماسة ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٥٣ ، ٢٦٩ - ٢٧٧ .

(٢) حماسة ابن الشجري ص ٨١ - ٨٢ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٧٢ .

(٤) هند بنت عتبة الدر المنثور ص ٥٧ .

إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عتابها المؤثر على قتل أبيها<sup>(١)</sup> أو أخيها على اختلاف الروايات • وأم كلثوم بنت عبد ود التي امتدحت الامام على عليه السلام وان كان قد قتل أخاها<sup>(٢)</sup> • وربما سمع الرسول شعر بعض عماته وهن بنات عبد المطلب وكن شاعرات فرثين أباهن وهو في مرض موته لأنه طلب ذلك منهن<sup>(٣)</sup> •

وإذا دققنا النظر في أشعار شواعر الجاهلية وسيرهن وجدناهن ينتمين الى قبائل مختلفة ، كما وجدناهن يظهرن في عدة مناسبات ، خاصة وقت الازمات العصية ، والحروب العنيفة التي كانت تدور رحاها في الجزيرة العربية ، وقد نبغ منهن بين القبائل جماعات كما نبغ منهن في القسرى والخواضر جماعات اخرى • وقد سبق أن قدمنا مقطوعة في الفصول السابقة لليلي بنت لكيز الملقبة بليلي العفيفة ، وهي من أقدم الشواعر التي وصل إلينا شعرهن ، وهي من بنى بكر بن مرة<sup>(٤)</sup> ومن السابقات اللائي وصل إلينا شعرهن ايضا أم الأغر بنت ربيعة احدى أخوات كليب وائل التغلبي •

أما في حرب البسوس فقد ظهر عدد من الشواعر منهن من شريفات بكر وتغلب جليلة أخت جساس البكرية<sup>(٥)</sup> وأسماء أخت كليب التغلبية<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) قتيلة بنت النضر - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٣٩ ، حماسة البحتري ، ص ٢٧٦ •
- (٢) أم كلثوم بنت عبد ود - الدر المنثور ص ٦٣ •
- (٣) الحماسة لابن تمام ج ١ ص ٢٢٢ ، السيرة ج ١ ص ٥٣٧ ، ١٠٨ - ١١١ •
- (٤) يراجع الفصل الخامس ص ٢٢١ ، رياض الادب لشيخو ص ٢ - ٣ •
- (٥) مراثي شواعر العرب ص ١١ - ١٤ •
- (٦) نفس المصدر ص ٧ - ١١ •

وأمامة بنت كليب • وهذه الحرب دارت رحاها عدة سنين لذلك ظهر فيها شواعر اخرى كثيرة منهن أم ناشرة التي نجدها تلوم ابنتها ناشرة لانه قتل همام بن مرة وتظهر له أسفها وجزعها لسوء فعلته • وكان همام كثير الاطعام للفقراء والمحتاجين ومما قالت تلوم ابنتها :-

ألا ضيع الايتام طعنة ناشرة أناشر لا زالت يمينك واترة  
قتلت زئيس الناس بعد رئيسهم كليب ولم تشكر واني لشاكرة  
كما أن المهلهل أخوا كليب ، لما قتل ، رثته شاعرات كثيرات منهن  
سلمى بنته ومما قالت :

عديا أخوا المعروف في كل شتوة وفارسها المرهوب عند التكافح (١)

أما الشواعر اللاتى برزن في حرب داحس والغبراء فمنهن أم قرفة  
الغزارية • وقد عرضت فيما سبق بعض قصيدتها تخاطب فيها حذيفة  
زوجها (٢) • وقرفة هذا مالك بن بدر بن حذيفة وقد رثته بنته  
لما قتل وكانت من الشاعرات الشهيرات (٣) ومن رثائها له قولها :-

لله عينا من رأى مثل مالك عقيرة يوم اذ جرى فرسان  
الى قولها :-

أحل به امس الجنيذب نذره فأى قتيل كان في غطفان (٤)

ومن شواعر داحس والغبراء ناجية بنت ضمضم المريية (٥)  
وقد رثت أباها ومنه :-

---

(١) نفس المصدر ص ١٨ •

(٢) يراجع الفصل الاول ص ٦٧ ، الامثال للميداني ج ٢ ص ٥٠ ،

رياض الادب ص ٣٩ •

(٣) الاغانى ج ١٦ ص ٣٠ ، الامثال للميداني ج ٢ ص ٥٣ •

(٤) رياض الادب ص ٤١ - ٤٢ ، عقيرة القوم - شريفهم •

(٥) الاغانى ج ١٦ ص ٣٠ • العقد الفريد ج ٣ ص ٧٠ •

من أجل سيدنا ومصراع جنبه علق الفؤاد بحنظل مجدوع (١)  
ومنهن بنت حذيفة الفزارية (٢) .

ومن ظهري في يوم شعب جبلة وعين أباغ دختنوس بنت لقيط بن  
زرارة وقد عرضنا لهجانها لابن قهوس إذ ألقى الراية وفر من الموقعة (٣)  
ومما قالته في رثاء أبيها يوم قتل وصارت بنو عامر تضربه وهو جثة  
هامدة :-

الا يا لها الويلات ويلة من بكى لضرب بنى عبس لقيطا وقد قضى  
لقد ضربوا وجهها عليه مهابة ولا تحفل الصم الجنادل من نوى  
الى قولها :-

فما ناره فيكم ولكن ناره شريح أردته الاسنة أم هوى  
فان تعقب الايام من فارس تكن عليكم حريقا لا يرام اذا سما (٤)

ومن الشاعرات في واقعة عين أباغ فروة بنت مسعود اذ قالت :-

بعين أباغ قاسمنا المنايا فكان قسيها خير التسيم  
وقالوا ماجدا منكم قتلنا كذاك الرمح يكلف بالكريم (٥)

ومن شواعر يوم كديد وحروب بنى عامر والكلاب الثاني ربطة بنت  
عاصم ، وهي من هوازن (٦) ، وهند بنت معبد (٧) الاسدية وأم عزة

---

(١) رياض الادب ص ٤٤ - ٤٥ . علق الفؤاد الخ : أصابته مرارة  
كانه ذاق الحنظل .

(٢) البكري - معجم ما استعجم ص ٧٢ ، ٢٦٨ .

(٣) الاغانى ج ١٠ ص ٣٥ .

(٤) الاغانى ج ١٠ ص ٤٠ - ٤١ . ولا تحفل الخ . لا تكباد  
الصخور تضم جسده لعلو شأنه .

(٥) رياض الادب لشيخو ص ٥٦ - ٥٧ .

(٦) نفس المصدر ص ٣٩ - ٤٠ .

(٧) خزانة الادب للبغدادي ج ٤ ص ٥٠٩ .

الكنائبة (١) ، وربطة بنت جذل الطعان التي حمت دريد بن الصمه  
وفاء لسابق فضله عليها ومما قالت :-

سنجزى دريدا عن ربيعة نعمة وكل امرئ يجزى بما كان قدما  
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه وان كان شرا كان شرا مذمما (٢)

ومنهن زينب بنت مالك أخت ملاعب الاسنة العامرية وقد رثت يزيد  
ابن عبد المدان وهو يمانى وهى نزارية لأنه فك أسرى من قومها (٣)  
فلامها جماعة من الناس كيف تربيته وهو من خصوم نزار فقالت ترد  
عليهم :-

ألا أيها الرازى علي بأبنى نزارية أبكى كريما يمانيا  
ومالى لا أبكى يزيد وردنى أجز جديدا مدرعى وردايا (٤)

وظهر فى حروب سهل وسليم ربيعة بنت عاصم النهدي وقد رثت  
أخاها الذى قتله بنو سهم وهو ظمان صاد ، فقالت تعاتبهم :-

هلا سقيتم بنى سهم أسيركم نفسى فداؤك من ذى غلة صادى  
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مضر ج بعد ما جادت بأزباد (٥)

ومن شواعر الجاهلية أيضا فى بعض أيامهم الأخرى المشهورة الفارعة  
بنت شداد الكلبية (٦) وكان من بنى قشير ابنة بجير (٧) والفارعة (٨)

- 
- (١) الاغانى ج ١٤ ص ١٣١ .
  - (٢) العقد الفريد ج ٣ ص ٧٩ .
  - (٣) الاغانى ج ١٠ ص ١٥٠ - ١٥١ .
  - (٤) الاغانى ج ١٠ ص ١٥١ .
  - (٥) الاغانى ج ١١ ص ١٤ - ١٥ .
  - (٦) العقد الفريد ج ٣ ص ١١٠ . خزانة الادب ج ٤ ص ٥٠٥ .
  - (٧) العقد الفريد ج ٣ ص ٨١ .
  - (٨) معجم ما استعجم ص ٥٩١ .

ومن تميم آمنة بنت عتبة فارسهم (١) .

أما الشواعر اللاتية عرفن في أواخر العهد الجاهلي أى في القرن السادس الميلادي فهن كثيرات في البوادي والمدن ومن شواعر البدو أمامة بنت ذى الاصبع العدواني (٢) وهي من قيس عيلان بن مضر ومنهن فاخة بنت عدى فقد رثت أباه حين قتل (٣) . ومنهن أخت الحاجز الازدى التي رثته بقولها :-

أحيي حاجز أم ليس حيا فيسلك بين خندف والبهيم  
ويشرب شربة من ماء ترح فيصدر مشية السبع الكليم (٤)  
ومنهن جنوب الهذلية وهي أخت عمرو ذى الكلب وقد عرفت  
بمراثيها له (٥) .

ومن شواعر المدن شواعر مشهورة وخاصة في مكة التي كان في عكاظها يجتمع الشعراء والشاعرات فيعرضون قريضهم على أئمة الشعر ، كما روى عن النابغة وقد عرض عليه الاعشى وحسان شعرهما ثم عرضت عليه الحنساء شعرها فأعجب به كل الاعجاب (٦) .

ومن شواعر مكة خالدة بنت هاشم ، رثت أباه حين توفي بغزة (٧)

- 
- (١) العقد الفريد ج٣ ص ٨٨٠ . لسان العرب ج ١٧ ص ٣٦ وقد نسب اليها أبيات .
- (٢) الاغانى ج٣ ص ١
- (٣) ج ١٠ ص ٦٥ .
- (٤) يلاحظ الاغانى ج١٢ ص ٥٢ . معجم ما استعجم ص ٦٩٨ .
- (٥) خزانة الادب للبغدادي ج٢ ص ٢٨ . ج٤ ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٥٠٥ .
- (٦) خزانة الادب ج١ ص ٢٠٨ .
- (٧) معجم ما استعجم للبكري ص ٧٦٦ . مراثي شواعر العرب ص ٣٨ - ٤٠ .

وسبيعة بنت عبد شمس زوجة مسعود بن معتب الثقفي ، وكانت مكرمة  
عنده حتى أنه ضرب لها خباء يوم حرب ثقيف وقريش ، وقال من دخله  
من قريش فهو آمن ، فدخله منهم كثيرون ، وصارت توسع هذا الخباء  
حتى عظم . ولها رثاء في عبدالمطلب بن عبد مناف (١) . كما أن من شواعر  
مكة أيضا فاطمة بنت الاحجم وامها خالدة بنت هاشم التي سبق ذكرها ومن  
شعرها في رثاء أخوتها :

اخوتي لا تبعدو أبدا      وبلى والله قد بعدوا  
لو تملتهم عشيرتهم      لاقتناء العز أو ولدوا  
هان من بعض الرزية أو      هان من بعض الذي أجد<sup>(٢)</sup>

وكان لعبد المطلب ست بنات شاعرات . ولهن شعر رصين العبارة ،  
قوى السبك ، سامى المعاني . منهن صفية وبرد وأم حكيم البيضاء (٣)  
أما المشركون في عهد الرسول فكان بينهم شواعر : منهن هند بنت عتبة  
أم معاوية ، فقد رثت قتلى بدر من المشركين (٤) . وصفية بنت مسافر بن أبي  
عمر بن أمية ولها رثاء في قتلى القلب من قريش (٥) . ومن المكيات سبيعة  
بنت الاحب زوجة عبد مناف بن كعب بن كنانة ، وقد روت لها السيرة  
مقطوعة في كرامات مكة توصى ولدها فيها أن يرعى قدسية هذه المدينة (٦)

(١) مرثى شواعر العرب ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٦٨ ، حماسة أبي تمام ج ١ ص ٢٧٢ .

لا تبعدوا - لا تهلكوا . لو تملتهم - لو بقوا طويلا في عشيرتهم أو كان لهم  
أولاد . هان الخ - لكان همى أعظم .

(٣) سيرة النبي لابن هشام ج ١ ص ١٠٨ - ١١١ .

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ٥٣٧ .

(٥) نفس المصدر ج ١ ص ٥٣٨ .

(٦) نفس المصدر ج ١ ص ١٦ .

وقد أوردنا من أبياتها في تمهيد هذه الرسالة • (١)

أما المدينة فالظاهر أن أكثر شعر شاعراتها قد ضاع إذ ما ورد لهن منه قليل • ومنهن سارة القرضية ولها رثاء في القتلى من قومها حين قتلهم أبو جبيلة في وادي ذي حرص قرب المدينة ومنه :-

كهول من قريرة أتلفتها سيوف الحزرجية والرماح  
رزئنا والرزية ذات ثقل يمر لاهلها الماء القراح<sup>(٢)</sup>

والحيرة لا بد أن يكون فيها عدد كبير منهن بيد أنه لم يصلنا شيء يناسب مقامها ومما وصلنا من أشعارهن ما قالته رقاش أخت جذيمة ملك الحيرة التي زوجها وهو ثمل لاحد ندمائه فلما أفق استنكر ذلك إذ لم ير الزوج كفتا لها ولكنها رضيت به ، وكان يحبها فقال لها أخوها مستكرا :-  
حدثيني رقاش لا تكذبيني أبحر زويت أم بهجين  
أم بعبد وأنت أهل لعبد أم بدون وأنت أهل لدون  
فأجابته :-

أنت زوجتي وما كنت أدري وأتتى النساء للتزيين  
ذاك من شريك المدامة صرفا وتماديك في الصبا والمجون<sup>(٣)</sup>

ومن هذا وغيره يتضح ان الشاعرات كن في أكثر القبائل والمدن في الجاهلية ، فلا تمتاز بهن قبيلة أو مدينة أو عدد من القبائل والمدن •  
فشأنهن اذن شأن الشعراء ، منتشرات في المجتمعات المختلفة •

## ٢ - مقارنة شعرها بشعر الرجل :

لعل أول ما يلاحظ في هذا الصدد أن أشعار المرأة قصائد قصيرة

(١) ص ٣٥ •

(٢) مرثي شواعر العرب لشيخو ص ٤ - ٥ •

(٣) تاريخ ملوك الحيرة •

بجملتها أو مقطوعات والظاهر أن طبيعة النساء الفنية لا تساعد في العادة على الاطالة في القصيدة ، حتى في قصائد الرثاء الذي هو الفن الاقرب الى أذواقهن • فلا نجد لواحدة منهن قصيدة تضارع قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في طولها ومئاتها (١) ، أو مرثية كعب بن سعيد الغنوي (٢) ولهذا نجد في الكتب التي عنت باختيار القطع القصار كحماسة أبي تمام (٣) مقطوعات لهن • وهذا وصف للناحية الظاهرة من نتائج قرائح الجنس اللطيف في العصر الجاهلي • أما ، وموضوعنا هو وصف صورة المرأة في الشعر ، فيصح اذن أن نتساءل عن قيمة هذا الشعر النسوي في تصوير المرأة بالنسبة لقيمة شعر الرجال في هذا الصدد •

أما شعر الرجال فللمرأة كما رأينا منزلة عالية فيه فقد اتخذت موضوعا لقصائد مطولة رائعة واحتلت مطالع كثير من هذه القصائد ، فكانت اذن هدفا لقسم كبير من أناشيدهم وهذا راجع بالطبع الى منزلتها في نفوسهم • وأما شعر النساء فأول فنونه وأهمها فن الرثاء حتى انه تكاد لا توجد شاعرة الا وقاتل فيه بيتا أو أكثر ، أما الموضوعات الاخرى التي نظمن فيها فهي أغلب الموضوعات الشعرية المدح والهجاء والنصيحة واثارة الحماس والتحزب القبلي والوصف ولكن هذه الفنون بجملتها تكاد تكون كلها مما يتصل بالرثاء عن قرب أو بعد ، كمدح الشجاعة التي كان القليل يبيدها في حياته (٤) ، وكالثناء على كرمه أو الفخر بانتصاراته الحربية (٥)

- 
- (١) جمهرة أشعار العرب لابي زيد القرشي ص ١٢٨ - ١٣٣ •
  - (٢) المصدر السابق ص ١٣٣ - ١٣٥ •
  - (٣) حماسة أبي تمام ج ١ ص ٣٣٤-٣٣٨ • الكامل للمبرد ص ١٣٦
  - (٤) الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٢٧٩ ، الدر المنثور ص ٦٣ •
  - (٥) حماسة أبي تمام ج ١ ص ٢٢٣ ، رياض الادب ص ٣٦ •

وكاللوم والعتاب على تسليم صديق لاعدائه أو خذلان جار في حرب (١) وكالانارة على حرب للاخذ بشأ قتييل (٢) أو النهى عن الاخذ بديه عن قتييل (٣) أو اللوم أو العتاب على قتل (٤) أما ما يتعلق بشىء من هذا فهو قليل بالقياس الى ما أشدنه في مرثيهم وهو متفرق في كتب الادب والتاريخ (٥) .

فالرثاء والنواح وما يتصل بهما اذن هو فن النساء الشعري في العصر الجاهلي لانهما يصدران عن الحزن والمرأة أكثر مطاوعة للاحزان وأشد انصياعا لتأثير العواطف واستجابة لها ، ثم ان هذا الرثاء نفسه اذا استعرضناه وجدنا المرأة قد خصصته بجملته لرثاء الرجال ومع ذلك نجد فيه شيئا يتعلق بالمرأة فيصور بعض نواحي حياتها . انا نجد في رثائهم وشعرهم عامة تصويرا للمناحة والنساء الباقيات ، هذا الى أن الشاعرة قد تعرض لتصور أحزانها وآلامها (٦) وهذه هي من صور المرأة التي نستفيدها من هذا البحث ثم انا لا ننسى ما نستشفه من رثائها للرجل في معرفة ميولها ورغباتها فهي برثائها انما تترجم في الواقع عن عواطفها ، وذوقها ، وأمانيتها ، وآمالها ، وخيالاتها . فترجم عن كل هذا بما ترسمه في رثائها من صور أدبية فنية تفيدنا هي الاخرى في لمس قدرتها الادبية ومعرفة ذوقها الفنى . فالمرأة في شعر الرجال تكون اذن موضوعا شعريا يقصد اليه مباشرة

(١) نفس المصدر ص ٣٦ ، الدر المنثور ص ٥٤٥ .

(٢) الدر المنثور ص ٦١ - ٦٤ ، رياض الادب ص ٦٠ .

(٣) حماسة أبى تمام ج ١ ص ٥٤ .

(٤) الدر المنثور ص ١٣٥ ، رياض الادب ص ٩ - ١٤ .

(٥) الاغانى ج ١٣ ص ١٣٦ ، حماسة أبى تمام ج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٦) رياض الادب ص ٩٠ ، ٩٢ ، أنيس الجلساء ص ٢٨ ، ٣٣ ،

في حين أنها في شعر الشاعرات أما أن تكون مقصودة مباشرة أو تستشف صورتها من الشعر فيدرك القارئ أسلوبها الفني من أشعارها ويعرف رغباتها وذوقها من اختيارها للمعاني التي توردها ، والأوصاف التي تختارها من سلوك الرجال ، والروح التي تغذيها في تصويرهم • وبهذا يتسنى للباحث أن يتصورها من وراء هذه العناصر الفنية لأن الشعر في ذاته إنما هو ظاهرة نفسية فإذا صدر من قلب المرأة حمل لنا عبر عواطفها ونشر أحاسيسها فصور لنا ذوقها وتفكيرها وما يكن في صدرها من أمان وآمال ويجول في مخيلتها من صور •

والمرأة شأنها شأن الإنسان عامة ، فهي ترغب في المعاني والصفات التي تكمل بها أنوثتها فهي تشعر بأنها بحاجة إليها فتمتدحها لهذا السبب وإنما وجدتها • وفي شعر النساء معان غير الرثاء أو الوصف لآحزانهن فهناك وصف للإسيرات والسبايا (١) وهذا ما نجده في شعر الرجال أيضا كما نجد في شعرهن كذلك حثا على الأخذ بالثأر (٢) ووصفا للمعوزات والأراميل كيف يصعب عليهن القيام بأود أولادهن وهذا عندما كانت الشواعر تتعرض للقتيل وتمتدح كرمه واحسانه (٣) • كما صورت النساء أنفسهن عند اظهار رغباتهن في طلب الحماية والكفاية من الرجل (٤)

وعلى العموم فإن ما جاء في شعر النساء مما يصورهن إنما هو جزء من كثير مما جاء في شعر الرجال عامة مما يتعلق بهن • فما جاء في شعر

---

(١) جنوب الهذلية - رياض الادب ص ٧٨ ، أنيس الجلساء ص ١٢٢

(٢) أم قرفة - رياض الادب ص ٣٩ •

(٣) جنوب الهذلية - رياض الادب ص ٨٣ • الحنساء - أنيس

الجلساء ص ٢ •

(٤) فاطمة بنت الاحجم - رياض الادب ص ٦٦ •

شواعر العرب فى الجاهلية غير واف فى الواقع بحد ذاته ليصور المرأة فى ذلك العهد ، وهو قليل بالقياس الى ما فى شعر الرجال .

### ٣ - اجادتها كفن الرثاء :

وكان العرب كما هم اليوم ، يرون الندب والنواح من المظاهر الدالة على تكريم الميت والوفاء له ، فصورهم الشعر يرغبون فيهما ، كما صور الشعر النساء وهن يندبن وينحن . يقول معن بن اوس :-

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن لا نعدو نساء صوالح  
وفيهن والايام يعثرن بالقتى نوادب لا يملننه ونوائح (١)

والشعر عامة شعر الرجال وشعر النساء يصور النساء النادبات وبكاءهن فى المآتم والاحزان على نحو ما نجد عند المهلهل (٢) والربيع بن زياد (٣) وكما صورتهم الشواعر ، تقول الحنساء :-

فساؤنا يندبن بحاً بعد هادئة النوائح  
شعنا شواحب لا ينين اذا ونى ليل النوايح  
يحنن بعد كرى العيون ن حين والهة قوامح  
لما فقدن أبا الندى والخير والشيم الصوالح  
والجود والايدي الطوا ل المستفيضات السوامح (٤)

- 
- (١) الاغانى - ج ١٠ ص ١٦٥ ، ديوانه ص ٣٢ ( لبيزج ١٩٠٣ )  
(٢) المهلهل - شعراء النصرانية ص ١٦٢ . المرأة فى جاهليتها  
واسلامها ج ١ ص ١١٤ .  
(٣) حماسة أبى تمام ج ١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ . المرأة فى جاهليتها  
واسلامها ج ١ ص ١٢٢ .  
(٤) انيس الجلساء ص ٢٨ - ٣٠ ، بعد هادئة النوائح - بعد  
هدوء النوائح ونومهن . اذا ونى النخ - لا يفترن اذا فترت النوايح . الوالهة  
على اولادها . القامحة - التى لا تقنع بمرتع ولا ماء ببلدها .

وقد ذكرت كثيرات منهن بكاءهن فيما صورنه من أحزانهن (١) ذلك لان البكاء والنواح مما اختصت به النساء على مر العصور ولهذا كثر الرثاء فى أشعارهن حتى طغى على سائر الفنون الاخرى فيها • « فالنساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة وأشدهم جزعا على هالك، لما ركب الله عز وجل فى طبيعتهم من الحور وضعف العزيمة وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء » (٢) •

وإذا استعرضنا رثاءهن رأينا لا يقتصر على وصف أحزانهن فحسب بل نجد فيه صورةا للقيم التى وضعنها لصفات الرجال وخلاللم التى كن يعجبين بها فالشجاعة والكرم والشرف كانت من أهم الصفات التى امتدحنها وتليها صفات اخرى منها العفة والتدبير والكفاية وحسن المنطق والتعقل فى تصريف الامور ففى رثائهن اذن نجد تصويرا لاحزانهن وتصويرا لشمائل الرجال وصفاتهم الكريمة وتكاد هذه الصفات أن تكون هى الصفات التى كن يرغبن أن تتوفر فى الأزواج عندما كان الرجال يتقدمون اليهن للخطوبة •

أما عن أوصاف أحزانهن وآثارها فى عقولهن وأبدانهن فقد أطالت وأبدعت كثيرات منهن فى وصفها وتصويرها • وتعد الحنساء من أقدرهن وصفا وتعبيرا عن عميق أحزانها وهى الشاعرة الوحيدة التى ذكرها ابن سلام فى طبقاته فى الشعراء الجاهليين (٣) • وقال الشريشى فى شرح المقامات الحريرية عنها « أجمع علماء الشعر أنه لم تك قط امرأة قبل الحنساء ولا بعدها أشعر منها (٤) » ذلك لان الحنساء وفقت الى الترجمة عن عميق أحزانها وبالغ تأثيرها فى قصائد مشهورة وخاصة ما قالته فى أخيها صخر

---

(١) طبقات ابن سلام ص ٤٨ •

(٢) ابن رشيق القيروان : العمدة ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ •

(٣) طبقات ابن سلام ص ٤٨ •

(٤) الشريشى - شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ١٥٣ •

حتى ان الباحث ليحار فيما يختاره منها لهذه الجودة الغالبة فهي تقول :  
قذى بعينيك أم بالعين عوار'  
تبكي لصخرهي العبرى وقد ذرفت  
لابد من موتة في صرفها غير'  
والدهر في صرفه حول وأطوار  
الى قولها :

فما عجول على بو تحن له  
ترتع ما رعت حتى اذا ادكرت  
لا تسمن الدهر في أرض وان رعت  
يوما بأوجد منى يوم فارقتى  
لها حينان اعلان واسرار  
فانما هي اقبال وادبار  
فانما هي تخان وتسجار  
صخر ولدهر أحلاء وامرار (١)

وواضح ما فى هذا الشعر من الحزن العميق والدمع الغزير السخين  
الذى أسلمها الى الضنى ونال من نور عينيها • وقصائد الحنساء فى وصف  
أحزانها كثيرة أغلبها رقيق اللفظ حسن السبك لطيف التصوير (٢)  
كشفت فيها عما يخالج نفسها من الحزن العميق وحتى لكأنه يحز فيها حزا •  
فهي تقول :

لا تخالى أنى لقيت رواحا  
من ضميرى بلوعة الحزن حتى  
لا تخالى أنى نسيت ولا بل  
ذكر صخر اذا ذكرت نداء  
بعد صخر حتى أبين نواحا  
نكأ الحزن فى فؤادى فقاحا  
فؤادى ولا شربت القراحا  
عيل صبرى برزئه ثم باحا (٣)

(١) الحنساء - أنيس الجلسة ص ٧٣ - ٧٥ ، ٧٦ - ٧٩ ، الكامل  
للمبرد ص ٧٣٧ ، العجول - التى يموت ولدها صغيرا • ترتع الخ - ترعى  
فاذا ذكرت ولدها تملمت • رعت - أصابها مطر الربيع •

(٢) الحنساء - أنيس الجلسة ص ١ - ٦ ، ١٢ - ١٦ ، ١٨ - ١٩ ،  
٢٢ - ٢٣ ، ٢٥ - ٣٠ •

(٣) المصدر السابق ص ٣٣ •

وهي تصور هنا حزنا بليغا موجعا وكأنه أحدث في فؤادها جرحا لا يرقأ دمه وقد تفننت الحنساء في وصف أحزانها على أخويها صخر ومعاوية<sup>(١)</sup> وأظهرت قدرة فائقة على تصوير عواطفها النفسية العميقة حتى استطاعت بصدق عاطفتها ورقة شعورها أن تجعل السامع يشاركها في أحزانها ويشاطرها أوجاعها ، فيتألم لآلمها ويحزن لحزنها . فهي أبعد غورا فيما تصل إليه من التعبير عن الشعور النفسي . وهي تمتاز كذلك بالقدرة على الاطالة في وصف خلجات نفسها فتظهر ما فيها من المعاني الدقيقة وتصور آناها في عقلها وجسمها .

والشاعرات اللاتي برزن في وصف أحزانهن كثيرات الا أنهن في الغالب لا يبلغن ما بلغته الحنساء ، كما أنهن لا يطلن في وصف مشاعرهن اطالتها ، ولعل ممن برزن منهن صفية بنت عمرو الباهلية التي بكت أخاها طويلا<sup>(٢)</sup> ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل<sup>(٣)</sup> وناجية بنت ضمضم . وقد رثت أخاها هرما<sup>(٤)</sup> . ومن أشهر هؤلاء الحارثية بنت طرفة بن العبد الشاعر المشهور . ومن شعرها في رثاء زوجها حين قتل :  
أعذلتني على رزء أفيقى      فقد أشرفتني بالعذل ريقى  
الا أقسمت آسى بعد بشر      على حى يموت ولا صديق<sup>(٥)</sup>

---

(١) الحنساء الاغانى ج ١٣ ص ١٣٧ - ١٣٨ . الكامل للمبرد ص ٧٤٠ - ٧٤٥ . أنيس الجلساء ص ١٥٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٦٧ . الدر المنثور ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) حماسة أبي تمام ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، الدر المنثور ص ٥١٨

(٣) المصدر السابق ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٤) الدر المنثور ص ٥١٨ .

(٥) خزانة الادب ج ٢ ص ٣٠٧ . معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٥ ،

رياض الادب ٣٥ ، شاعرات العرب لبشير يموت ص ٨٠ . أشرفتني - أغصتني .

ومع هذا فالبون بعيد بين شعرها وشعر الحنساء من حيث قوة التعبير عن الحزن ، وهذا البون يكون أبعد شقة بطبيعة الحال بين شعر الحنساء وشعر الشواعر الاخريات اللائى تعرضن لوصف احزانهن ، اذ انهن لم يكن لهن من القدرة على وصف خلجات النفس والتعبير عن عواطفهن العميقة ما كان لزيمتهن الحنساء الشاعرة الموهوبة فى هذا الميدان . فان هؤلاء لم يستطعن أن يطلن فى الحديث عن أحزانهن ، اذ نجدهن سرعان ما يتحولن فى مرأتهن الى ذكر القتل ، والتنويه بما آثره ، ووصف مزاياه وخلاله ، والى امور اخرى مما يتصل بقضية مقتله . ومع هذا فانهن يختلفن فى القدرة الفنية بعضهن عن بعض ولعل قبيلة بنت النضر بن الحارث التى سمع الرسول الكريم رثاءها فتأثر لسماعه من أجودهن . ومنهن لىلى العفيفة بنت لكيز بن مرة الرّبعى التى رثت ابن عم لها يقال لها غرثان وهو أخو زوجها البراق ومنه قولها :

لما ذكرت غريثا زاد بى كمدى      حتى هممت من البلوى باعلان  
ترجع الحزن فى قلبى فدُبت كما      ذاب الرصاص اذا أصلى بنيران  
فلو ترانى والاشجان تقلقنى      عجبت براق من صبرى وكنمانى<sup>(١)</sup>

ثم انتقلت الى ذكر قومه الذين لم يناصروه وعادت بعد ذلك فوصفته وذكرت خلقه وطباعه . وهى فى هذا كله لم تبلغ ما بلغته الحنساء من المقدرة الفنية . ومن اللائى برزن فى الجاهلية واتصفن بالفن الرفيع ، فأذبن عواطفهن الصادقة فى نمير قصيدهن العذب جليلة اخت جساس بن مرة الكلبية ، والذى وصلنا من شعرها هو مشهورتها التى قالتها تصف أحزانها على زوجها القتل ، وترد على التغليات ، وسنأتى على ذكرها فيما بعد .

أما الحلال والصفات التي بثتها الشاعرات في الرجال فهي كثيرة ، ولكن الشجاعة هي أكثر هذه المعاني ترددا في مراثيهن . فقد رغبت النساء كافة في الشجاعة البدنية لما كان لها من الأثر في البيئة الجاهلية ، حيث كانت القوة والغلبة تسودان أحوال الجماعات فيها ، في معظم الأحوال . فكانت الشجاعة أهم وسائل الحماية والكفاية فرغبت فيها المرأة وتعشقت لها إذ وجدت فيها الخير الكثير والضالة المنشودة ، فأعجبت بها وامتدحتنا أينما وجدت . لهذا بكت القُـرسان ، وذكَّرتهم بسالتهم ، وشجاعتهم ، وتحملهم الصعاب ، أكثر مما أظهرته لاية صفة أخرى فيهم . ومما قالته جنوب أخت عمرو ذى الكلب النهدي تربيته حين قتله بنو كاهل :-

وخرق تجوزت مجهولة      بوجناء حرف تشكى الكلالا  
فكنت النهار به شمسه      وكنت دجى الليل فيه الهلالا  
الى قولها :-

وحرب ورت ، وثغر سددت      وعلج شددت عليه الجبالا  
ومال حويت ، وخيل حميت      وضيف قريت يخاف الوكالا<sup>(١)</sup>

فقد وصفته بالمخاطرة في المفاوز المخوفة وشبهته اذا يسير فيها بالشمس نهارا وبالقمر ليلا ، تريد هدايته وسيطرته عليها . ثم وصفته بأنه يرد الحروب ويسد الثغور وانه يقهر الحصوم الشداد . كما ذكرت فيه القدرة على الحصول على المال ، وقوة الجانب ، والكرم الواسع . فهذه الصفات كلها كانت المرأة في العصر الجاهلي ترغب فيها لانها تؤمن لها الحماية والكفاية ، من الامور التي تنشدها في الرجل الجاهلي . وممن وجدنا

(١) الدر المنثور لزيب فواز ص ١٣١ . الخرق - الفلاة الواسعة .

الوجناء - عظيمة الوجنتين . الحرف - الضامرة . العليج - القوى الضخم .  
الوكال - الضعف .

الشجاعة في أشعارهن تماضر زوجة زهير ملك عيس ، اذ قالت ترثي ولدها  
مالك حين قتله حذيفة بن بدر :-

لئن حزنت بنو عيس عليه      فقد فقدت بنو عيس فتاها  
ترى الشم الججاج من بغيض      تبدد جمعها يوما رآها  
فتركها اذا اضطربت بطعن      وبنهبا اذا اشتجرت فناها (١)

وهكذا نجد في مرثي الكئيرات منهن بكاء للشجاعة الضائعة  
والبسالة المفقودة (٢) ومن جميل القول ما روى لعاتكة بنت زيد بن عمرو  
ابن نفيل :-

فله عينا من رأى مثله فتى      أكر وأحمى في الهياج وأصبرا  
اذا اشرعت فيه الاسنة خاضها      الى الموت حتى يترك الموت أحمرأ (٣)

فهى تقول ان مرثيها تزيده الشدة والمحنة في الحرب قدرة على  
الحماية والكر والجلد فهو اذا ما استحر القتال وتخالس الفرسان الطعان  
ترك قتلاه والدماء تسيل منهم حمراء قانية .

وبجانب الشجاعة ذكرت الشواعر الكرم وامتدحته لان الكرم من  
دلائل الحماية والكفاية ايضا فهو من مظاهر القدرة التى تحب المرأة أن  
تستظل بظلها ، خاصة وان فصول المحل هى من أشد المظاهر المروعة فى  
الجزيرة العربية . فكانت ذكرياتها ومشاهد الضيوف وصور الاسيرات  
والعائين ومناظر الايتام والارامل تحرك عواطف المرأة وتبعث فى ذهن  
الشاعرة صوراً من كرم الميت الذى كان يتكفل بكل هؤلاء حين الضائقة

- 
- (١) نفس المصدر ص ١١٤ ، شواعر العرب ص ٤٣ . الشمم -  
ارتفاع فى الانف . الججاج - السيد الكريم . اشتجرت - اشتبكت .  
(٢) الدر المنثور لزينب فواز ص ٥٥ .  
(٣) حماسة أبى تمام ج ١ ص ٣٣٤ . لله الخ .٠٠ من العجب أن  
ترى العين أشد منه كرا . اذا الخ .٠٠ انه يسفك دماء كثيرة فى القتال .

والعوز ، فيشدد في نفسها الاسبى والحزن عليه . وهكذا ذكرت جنوب  
أخاها عمرا النهدي لما تصورت حالة الضيوف في أيام الجفاف والعسر فبكنه  
بقولها :-

لقد علم الضيف والمملون      اذا اغبر أفق وهبت شمالا  
وخلت عن أولادها المرضعات      ولم ترعين لماء بلالا  
بأنك ربيع ، وغيث مريع      وأنك تكون هناك الشمالا (١)

فصورت أخاها ريبعا وغيثا يروى عند الحاجة والمحن ، حتى في أشد  
أيام ضيقهم فكيف به اذا حين السعة والخير . وهل هناك صورة خير  
من هذه الصورة التي تسحر لب المرأة ، ربيع وخيرات عميمة في كل  
وقت وحين ، وحتى في الضيق والشدة ومن هذا ما قالته هند بنت عتبة أم  
معاوية في أبيها بعد قتله في واقعة بدر (٢) .

وللكرم صور كثيرة في كل زمان ومكان وان اختلفت أشكالها  
باختلاف الحاجة والامكنة . فمن صنوف الكرم في بلاد العرب قديما فك  
الاسرى والعائنين وهذا ما نسبته أم بسطام لابنها اذ رثته بقولها :-

سيبيك أسرى طالما قد فككتهم      وأرملة ضاعت وضاع عيالها  
ويبيك عان لم يجد من يفكه      ويبيك فرسان الوغى ورجالها (٣)

فليس بغريب على نساء العرب أن يمدحن الكرم بصوره المختلفة ،  
ويشجعن عليه ، ويظهرن استعدادهن لمعونة الرجل فيه ، كما فعلت زوجة

---

(١) الدر المنثور لزینب فواز ص ١٣١ ، رياض الادب لشيخو ص  
٨٣ . المملون - من قل زادهم . اذا الخ . . تصف وقت الشتاء . وخلت  
الخ . . لم تجد قوتا ولا بللا . الشمال - الذخر . المريع - المخصب .

(٢) الدر المنثور لزینب فواز ص ٥٢٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٥ .

سالم بن قحطان العنبري اذ سألته بأسلوبها الشعري أن يهب • وقالت انها أعدت لكل ناقة خطما تقاد منه اذا ما وهبها لسائل (١)

ويأتي بعد بكائهن شجاعة القليل وكرمه ، بكاؤهن شرفه وجاههه ، فقد أظهرت الشواعر عناية في وصف شرف من رثينه فذكرن أنه من خيرة الناس نسبا ومن سادتهم منزلة وأنه ينادم الملوك ويشرب بكاساتهم • والشرف عنصر من عناصر القوة ايضا في كل عصر وكل مصر ، اذ هو قوة معنوية تحب النساء أن تركزن اليها ، فتستظل بفيئها • ولهذا بكت الشواعر الشرف كثيرا • فقالت دختنوس ترثي أباهما لقيط بن زرارة بقولها :-

عثر الاغر بخير خذ      فد ف كهلهما وشبابها  
الى قولها :-

ورئيسها عند الملو      ك وزين يوم خطابها  
وأتمها نسبا اذا      رجعت الى أنسابها  
يرعى عمودا للعشي      رة رافعا لنصابها  
ويحولها ويحوطها      ويذب عن أنسابها (٢)

وذكرت المرأة الشاعرة في مراتبها بجانب هذه الصفات الشدة ، وحسن التدبير ، والنطق المحكم الذي تفصُّ به المشاكل وغير ذلك • قالت أم قيس الضبية ترثي أبنها :-

ومشهد قد كفت الغائبين به      في مجمع من نواحي الناس مشهود  
فرجته بلسان غير ملتبس      عند الحفاظ وقلب غير مزوود

(١) حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٢٧٠ - ٢٧١ • بلوغ الارب للالوسي

ج ١ ص ٥١ - ٥٢ •

(٢) الدر المنثور لزينب فواز ص ١٩١ •

إذا قنّاة امرىء أزرى بها خور هز ابن سعد قنّاة صلبة العود (١)  
ومن الصفات المحيية لهن العفة (٢) والحماية (٣) والعفو (٤)  
والقدرة على الكسب (٥) وتحمل الامور الجسيمة (٦) والحكمة في المنطق  
والقدرة على الاقناع (٧) . تقول ناجية بنت ضمضم ترثى أخاها :-

الدافع الخصم الال - د اذا تفوضح فى الخصومة  
بلسان لقمان بن عا د وفصل خطبته الحكيمة  
أجمتهم بعد التجا ذب والتدافع فى الخصومة (٨)

ومما جمع كثيرا من الفضائل الجاهلية رثاء الحنساء لآخيها صخر فى  
قصيدتها المشهورة ومطلعها :-

أعينيَّ جُوداً ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر النداء (٩)

فقد نوهت فيها بكرمه ، وشرفه ، وشجاعته ، فى الشدة ، وسيادته  
قومه ، وحسن كفايته . كما أشارت الى علو منزلته فى أهله وذويه .  
وهذا الرثاء كله ليدل على شخصية المرأة فى البيئة الجاهلية خاصة

- 
- (١) لسان العرب ج ٢٠ ص ٢٠١ تاج العروس ج ١٠ ص ٣٧ ،  
من نواحي الناس - من أشرافهم .
  - (٢) خزانة الادب ج ٢ ص ٣٠٧ . معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٥ .
  - (٣) شرح ديوان الحنساء ( أنيس الجلساء ) ص ١١٤ .
  - (٤) الدر المنثور ص ٥٣٨ . أنيس الجلساء ص ١٤٤ .
  - (٥) الدر المنثور ص ١٩١ .
  - (٦) المصدر السابق ص ١٣١ . رياض الادب ص ٨٣ .
  - (٧) الدر المنثور ص ٥٥ ، ٣٥٨ .
  - (٨) المصدر السابق ص ٣٥٨ .
  - (٩) الدر المنثور ص ٥١٨ .
  - (٩) المصدر السابق ص ١١٣ .

في ساعات الاحزان والمآتم • فهي تقوم الى جانب الرجل في انشاد المراثي • وقد وصف كثير من الشعراء النساء وهن يبكين ويندبن القتلى بقلوب حرى مكلومة ، وينشدن أشعارهن فيهم • يدفعهن الى ذلك صدق عاطفتهن ، وقوة شعورهن ، واخلاصهن فيؤثر ذلك في نفوس السامعين أبلغ الاثر • قال المهلهل يصف النائحات :-

وترى الكواعب كالظباء عواطلا      يبكين مصرعه فقد أبكاني  
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا      من بعده ويعدن بالازمان  
متسلبات نكدهن وقد وري      أجوافهن بحرقه ورواني  
ويقلن من للمستضيق اذا دعا      أم من لحضب عوالي المران (١)

فهو يصور بكاءهن ، وشدة حرقتهن ، وندبهن مزايا القتل الكريمة ، شجاعته وكرمه ونخوته • وهذه في الواقع هي أهم الصفات التي ذكرتها النساء في مراثيها في الجاهلية بحيث لم نكد نعر على غيرها ، وهي أهم فضائلهم المعروفة • كما صور المهلهل العواطف النبيلة التي كانت تبديها عميلات الاشراف نحو الاطفال الذين قتل آباؤهم بقوله :-

وتقوم ربات الخدور حواسرا      يمسخن عرض ذوايب الايتام (٢)

#### ٤ - اناشيدها الحربية :

ونجد في شعرالجاهلية مقطوعات في الفخر والحماسة تفخر فيها بقومها الامر الذي يدل على شعورها بالانفة وعزة النفس وهو مما يتفق والمنزلة التي كانت تتمتع بها بين القبيلة والجماعة • والشاعرة كانت تحسن بالواجب كما يحسن الشاعر به فيما يتعلق بالتمصب لقبيلتها ، والذود عنها ، فتتخذ من مواطن الشرف فيها ، ومن أعمالها المحيدة وایامها المشهودة مادة

(١) شعراء النصرانية ص ١٦٢ ، ديوان المهلهل (الروائع ص ١١)

(٢) المرأة العربية في جاهليتها واسلامها لعفيفي ج ١ ص ١١٤

ستعين بها على الاشادة بذكرها • ولا تدخر وسعا في ذلك وخاصة في مواطن المنافسة والحصومة ، والتطاول بين القبائل • تقول الحرنق وهي تخاطب بنى أسد وقد قتلوا زوجها :-

ألا لا يفخرن أسد علينا      يوم كان حينا في الكتاب  
فقد قطعت رؤوس من قعين      وقد نعت صدور من شراب  
وأردينا ابن حسحاس فأضحى      تجول بشلوه نجس الذئاب (١)

فهى ترد على أسد فخرهم بقتل زوجها بشر ، وتذكرهم بايقاع قومها بهم ، وقتلهم ابن حسحاس • ولها في الفخر بقومها مقطوعة اخرى تقول فيها أنهم كرام ينحرون الجزور ، وعزيزون ينزلون بحيث شأوا ، وانهم عفيفو النفس ، كريمو السيرة ، معروفون بالشجاعة والبطولة • (٢)

والشاعرات اللاتي اشتهرن بالفخر كثيرات وخاصة من بنات الاشراف والرؤساء ، اذ كان شعورهن بعلو المنزلة يساعدهن على أن يبرزن في هذا الفن • ومنهن عاتكة بنت عبد المطلب تقول مفتخرة بانتصار قومها :-

سائل بنا في قومنا      وليكف من شر سماعه  
قيسا وما جمعوا لنا      في مجمع باق شناعه  
فيه السنور والقنا      والكبش ملتمع قناعه  
بعكاظ يعشى الناظري      من اذا هم لمحو شماعه  
فيه قتلنا مالكا      قسرا وأسلمه رعاعه  
ومجدلا غادرنه      بالقاع تنهشه ضباعه (٣)

---

(١) رياض الادب في مرآتي شواعر العرب ص ٣٢٠ الحين - الهلاك  
ابن حسحاس - سيد من أسد • الشلو - الجسم • بنو قعين من أسد •  
(٢) المصدر السابق ص ٣١ - ٣٧ •  
(٣) الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٢٢٣ • الشر هنا الحرب • السنور -  
السلح • الكبش - القائد أو الرئيس • قناعه - بيضة رأسه • مجدلا  
بالقاع - مطروحا على الارض • الرعاع - السفلة •

فهى تفخر بانتصار قومها على قيس برغم عدتهم وعددهم وتذكر قتل مالك سيد قيس . ومن هذا وغيره يتضح جليا كيف ان المرأة فى البيئة الجاهلية ما كانت لتختلف فى مفاخراتها عن الرجل من حيث الاسلوب والمعانى التى تناولتها . وهى تقف الى جانب الشاعر تدافع عن القوم كما يدافع ، وتفخر بالوقائع والانتصارات ، وترد على الخصوم . واختصت الشريقات بالفخر كما اختص الاشراف منهم به على العموم . ومن هؤلاء فارعة بنت شداد (١) ودخنوس ابنة لقيط بن زرارة (٢) وأمامة بنت ذى الاصبع العدوانى (٣) . ولم تترك الشاعرة منهن ماضى قومها ولا حاضرهم الا وأحاطت به علما ، فجعلته مادة لفخرها ، اذ كانت الشاعرة تسعى الى الاحاطة بأخبارهم وأيامهم كما كان يفعل الشعراء فزادت ثروتها الادبية . تقول أمامة بنت ذى الاصبع :-

كانوا ملوكا سادة فى السورى      دهرا لها الفخر على الفاخر (٤)

وعصية المرأة كما قدمنا فى الفصول السابقة كانت مع قبيلتها فى الغالب فهى تظل محافظة على اخلاصها لقبيلتها وصلتها بها اذا ما تزوجت بى قبيلة اخرى . ولهذا كانت الواحدة منهن تخبر قومها بما يهم مصالحهم ، وما يدبر لهم . فكانت تخبرهم باستعداد خصومهم للغزو ان استعدوا له . وقد استعرضنا صورا من هذا . واننا نجد هنا أن شعر النساء يؤيد هذا الروح عندهن ، ولعل أوضح مثال لعصية المرأة وشدة تعلقها باهلها هو ما حدث لجليلة زوجة كليب بعد مقتل زوجها . فان نساء تغلب لم يرضين لها بالبقاء فى ماتمن لانهن حسبنها غير حزينة مثلهن ، وأنها شامتة فى

(١) الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ص ٣٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩١ .

(٣) و (٤) المصدر السابق .

دخيلة نفسها وخاصة وقد سبق أن أظهرت لزوجها في حياته شدة تعصبها لقومها ، وفخارها بأخيها جساس . فقد روى أن زوجها كليبا كان سألها مرة عن أعز العرب ، وظن انها ستقول له هو أنت ولكنها قد خيبت أمله بقولها : أخى جساس أعز العرب ، فأعاد عليها السؤال قائلا ثم من وهى تقول مرة بعد اخرى أخى جساس . فتأثر لذلك كليب وغضبت نساء تغلب لما سمعن بجوابها ، فحفظن ذلك لها ، لهذا طلبن اليها أن تترك المآتم وترحل الى أهلها وأسمعنها كلاما زاد في أحزانها . وروى أن اسماء أخت كليب قالت لها :-

أخت جساس توارى وارحلى      عن فنانا اليوم ثم انتقل  
أنت ألقيت وأغريت بنا      سترى منا ضرام الشعل  
كنت بالامس تغرين أخى      وتمنيه بما لم يفعل  
وتقولين أخى صهرك ما      مثله ممن أرى بالمعبل

ثم تستمر تصور أحزانها وتحرض قومها بنى تغلب على الاسراع للاخذ بثأر سيدهم كليب وتعود تهدد بكرا بقولها :-

يا بنى بكر هلموا شمروا      سوف نفيكم غدا بالمنصل  
برجال ليس فيكم مثلهم      من بنى تغلب تحت القسطل (١)

وبعد أن سمعت جليلة قولها أجابتها بقصيدة رائعة تناقضا فيها ، ولكنها تمتاز عن تلك بقوة سبكها وسمو معانيها ودقة تصويرها ، والروح المترنة ، والتعقل الذى يسيطر عليها قالت :-

يا بنه الاقوام ان لمت فلا      تعجلى باللوم حتى تسألى

---

(١) رياض الادب فى مراثى شواعر العرب ص ٧ . شعبل - جمع شعيلة . الامنية - الكذب . المعبل - نصل قصير أى يرمى بالمعبل . فنانا - فناننا . المنصل - السيف . القسطل - غبرة الحرب .

فاذا أنت تبينت الذى يوجب اللوم فلومى واعذلى  
ان تكن أخت امرىء ليمت على شفق منها عليه فافعلى (١)  
وقصيدة جلييلة هذه ليس فيها من روح العصية والغيفظ ما فى قصيدة  
اسماء ، فهى بعد قولها هذا تستمر فى قصيدتها تصف أحزانها على ما فعله  
جسّاس ، وتصور خوفها عليه وتقول ان الامر مؤلم لها فى كل وجوهه  
وأحواله ، اذ شبهت كلا من كليب وجسّاس بعين من عينها فكل ما يؤلمها  
يؤلمها هى فاذا اودى أحدهما بالاخر تألمت هى للاول وللتانى . فالقصيدة  
فيها اولاً واخيراً :-

يشقى المدرك بالتأر وفى دركى ثأرى ثكل المثل  
ليته كان دما فاحتلبوا دررا منه دمي من أكحلى  
انى قاتلة مقتولة فلعل الله أن يرتاح لى (٢)

والروح الظاهر فى هذه القصيدة هى روح الاعتدال وتحكيم  
العقل ، فهى تطلب من اسماء أن تفكر فى الامر وان تضع نفسها موضعها،  
فاذا وجدت نفسها تفعل غير ما تفعله هى حق لها أن تلومها وتعذلها . وفى  
القصيدة نظرات واسعة الى الماضى والحاضر وتطلع الى المستقبل . أما  
الفاظها فرفيقة مختارة وعباراتها متينة السبك بخلاف قصيدة اسماء التى فيها  
بعض الركة فى التعبير كما تختلف عنها من حيث العصية والكرامية .

أما عن اشتراك الشاعرة الجاهلية فى اثاره الحرب ووصفها الوقائع  
ففى شعرها كثير مما يصور ذلك وخاصة اذا كانت مفجوعة بصاحب أو  
قريب . ومن هذا ما أظهرته أمامة ابنة كليب بعد نكبتها بوالدها فقد

---

(١) المصدر السابق ص ١١ - ١٤ . الدر المنتور لزينب فواز

ص ١٣٥ .

(٢) رياض الادب ص ١١ - ١٤ .

استأرت عمها المهلهل وحفزته على الاخذ بالثأر وذلك في قولها الذى  
لا يخلو من عنف :-

أتلها بالماهى والحمور      ولا تدرى بعاقبة الامور  
ولا تدرى بأن كليب أضحى      قتيلا عند جساس الغدور  
فوا عجبا لجساس وعمرو      لقد جسروا على أمر نكير  
الى قولها :-

فبادر نحوه فلقد ترامت      اليه الآن شجعان النظير (١)  
فهى تذكر لعمها هول الواقعة وعظم المصاب ، وتصور له جراءة جساس  
وشناعة جريرته • وقد عرفت النساء بداريتهن فى الطرق والمسالك التى  
يستطعن أن يؤثرن بها فى الرجال ، والشعر أسلوب من أساليبهن استخدمته  
وفيه عبارات ومعان مؤثرة • ومما قالت أم عمران ابنة وقدان تحرض  
قومها على الأخذ بثأر من قتل منهم :-

ان اتم لم تطلبوا بأخيكم      فذروا السلاح ووحشوا بالابرق  
وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا      نقب النساء فبئس رهط المرهق  
ألهاكم أن تطلبوا بأخيكم      أكل الخبز ولعق أجرد أمحق (٢)  
فهى تخاطبهم تقول : ان قعدتم عن طلب الثأر كنتم أجدر بأن تكونوا نساء  
فيصبح الأولى لكم أن تسلكوا مسلكهن فى التكحل والتنقب وارتداء ثيابهن  
الناعمة • ثم تغلظ فى التعنيف قائلة : انكم ألهاكم النهم فى المأكّل والشراة  
عن أخيكم القليل • وكثيرا ما نجد الشواعر تلح فى أخذ الثأر والامتناع عن

---

(١) رياض الادب ص ٦ • أمر نكير - أمر صعب • النظير - اسم علم

(٢) الحماسة لابي تمام ص ٦٨١ - ٦٨٢ • الدر المنثور ص ٦١ • وحشوا - كونوا مع الوحوش • المرهق - المضيق عليه • الخبز - لحم يقطع قطعاً صغيراً • الامحق - القليل •

أخذ الديات وقد برعن في أساليب التأثير في نفوس الرجال (١) .

وشعر النساء الحماسي كثير وقد عرضنا لأمثلة منه في الفصول السابقة ومنه ما كان قوي السبك حسن المعنى سامي الفكرة كشعر كبشة أخت عمرو بن معد يكرب (٢) وأم ندبة (٣) . وقد أظهرن في أشعارهن عامة صدقا في العاطفة وإخلاصا للفكرة وهذا طبيعي في النساء ان آمن بشيء .

#### ٥ - نظرة عامة :

ولم يقتصر شعر المرأة الجاهلية على الرثاء والحرب بل تناول موضوعات أخرى وان كانت قليلة نسيباً ، إلا أن منها ما يتصل بالحرب والرثاء كذلك عن قرب أو بعد ، ومنها مثلاً فن العتاب واللوم ويدل ظهوره في شعر النساء على شعورهن بمنزلتهن الاجتماعية وهذا ما كان عند المرأة في الجاهلية . فكانت الشاعرة ترى من حقوقها أن تلوم وتعتب وتوبخ وتهجو الخصوم . ولعل من أرق ما أثير عن الجاهليات عتاب قتيبة بنت (٤) النضر بن الحارث ، فقد روى أن أباهما كان من المخاصمين للدعوة الإسلامية ، يفسد قلوب الناس بالكذب والافتراء ، ويشترى لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله ، فرأى الرسول الكريم ضرورة تخليص الناس من أذى فأمر به فقتل . فأرسلت ابنته تعاتبه بأرق القول وأعدبه ، باكية فتأثر صلى عليه وسلم لعتابها الرقيق ومما جاء فيه :-

(١) حماسة البحترى : ص ٣٠ - ٣٥ .

(٢) الحماسة لابن تمام ج ١ ص ٥٤ .

(٣) الدر المنثور ص ٦٤ . رياض الادب ص ٣٩ .

(٤) اسد الغابة : « قالت اخته وقيل بنته » ، الحصرى : زهر

الاداب ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ هي اخت النضر .

أمحمد ولانت صنو نجبية      في قومها والفحل فحل معرق  
ما كان ضرك لو منتت وربما      من الفتي وهو المغيظ المحقق  
لو كنت قابل فدية لفديته      باعز ما يغلو لديك وينفق  
فالنضر أقرب من تركت قرابة      وأحقهم ان كان عتق يعنق (١)

وقد سبق هذه الايات أبيات بعثت فيها قبيلة بالتحيات الطيبات لابيها المقتول صبورا ، وصفت فيها أحزانها العميقة ، وذرفت من دمعها السخين ، ثم عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم « ما كان ضرك لو منتت !؟ » وكان من العتاب الذي تقدمت به النساء الشريفات وعوائل البيوتات للرسول الكريم عتاب هند بنت عتبة في مقتل أبيها بيدر تقول :-

تداعى له رهطه غدوة      بنو هاشم وبنو المطلب  
يذيقونه حد أسيافهم      يغلونه بعد ما قد عطب  
يجرون منه غفير التراب      على وجهه عاريا قد سلب (٢)

فإذا تصورنا صيغة هذا العتاب واللوم رأيناها يمثل شخصية واضحة فيها خصائصها ومميزاتها . أليس مما يلفت الانظار أن الواحدة منهن كانت تعاتب أعظم الشخصيات وأكثرها خطرا . ثم هي لا تقول الا ما يدل على رجاحة في العقل ، واتزان في المنطق وحكمة في المنهج ؟ وليس أدل على عظم منزلتهن ، واستقامة أقوالهن ، ومبلغ تأييرهن ، من أن أشعارهن كانت تجد صداها الواضح في نفوس المخاطبين فتبلغ أسماعهم . أوليس عتاب يؤثر في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم عتابا جليلا وقولا سديدا يدل

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٣٩ . حماسة البحرى ص ٢٧٦ .  
ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٤ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ ابن حجر : الاصابة ج ٤  
ص ٣٧٨ . ابن الاثير : أسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٣ .  
(٢) سيرة ابن هشام ص ٥٣٦ .

على شخصية قائله حتى أن الرسول لما بلغه هذا النشيد المؤلم بكى حتى  
اخضلت الدموع لحيته وقال : لو بلغنى شعرها قبل أن أقتله ما قتلته •  
وفضلا عن ذلك فإن عتاب الشواعر كان يتطور فيأخذ ألوانا مختلفة  
اذ يشتد فيكون تعبيراً وشتما كما قالت أخت طرفة تعبر عمرا ، وكان قد  
وشى بأخيها الى عمرو بن هند :-

فهلا ابن حسحاس قتلت ومعبدا      هما تر كاك لا تريش ولا تبرى  
هما طعنا مولاك فى عطف صلبه      واقبلت ماتلوى على محجرتجربى (١)  
فهى تمنى عليه سوء تدبيره كما كانت الشاعرة قد تمنى على قوم بأجمعهم  
اعمالا مخزية يكونون قد اقترفوها (٢) • فقد روى أن زيد بن مية وكان  
مجاورا للزبرقان بن بدر ، قتله أحد خصومه ، وهو هزال بن كعب ، ولم  
يدافع الزبرقان عنه كما انه قعد عن الاخذ بثأره بعد ذلك ، فقالت زوجته ،  
وهى وهيبة بنت عبد العزى ، توبخ الزبرقان وتعيره ورجاله ، ومنهم عوف  
ابن كعب بقولها :

تجلل خزيها عوف بن كعب      فليس لخلعها منه اعتذار  
أجيران ابن مية خيرونى      أعين لابن مية أم ضمائر  
متى تردوا عكاظ توافقوها      بأسماع مجادعها فصار  
فانكم وما تخفون منها      كذات الشيب ليس لها خمار (٣)

كما أن عتابهن قد يرق ويخف فيصير قولاً أقرب الى الانصاف والاعتراف  
بالحقيقة ، فاذا ما صدر عن امرأة ذات قلب حساس وعاطفة قوية كان دليلاً  
على سمو ادراكها ، واتزان تفكيرها ، وسيطرة عقلها على عاطفتها وخاصة

---

(١) رياض الادب فى مرآئى شواعر العرب ص ٣٧ • انك لم تثار  
من هذين بل عطفست تشى بأخى • العطف - الجانب • المحجر الموضوع  
المنخفض •

(٢) الدر المنثور ص ٥٤٥ •

(٣) المصدر السابق •

إذا كانت مصابة مكلومة • ومن هذا قول أم كلثوم ابنة عبد ود ، وقد قتل  
الامام علي كرم الله وجهه أخاها عمرا في واقعة الخندق ، فامتدحت  
وامتدحت الامام ، فصورت الفارسين تصويرا بديعا اذ شبهتهما بأسدین  
يتجاولان • وقالت ان كلا منهما كفاء كريم باسل خالس صاحبه سلب  
نفسه بجلد وثياب • ومن القصائد التي قالتها في هذا الصدد ما جاء فيها :-  
لو كان قاتل عمرو غير قاتله      لكنت أبكى عليه دائم الابد  
لكن قاتله من لا يعاب به      من كان يدعى أبوه بيضة البلد  
من هاشم في ذراها وهي صاعدة      الى السماء تमित الناس بالحسد (١)

ومن الرغبات التي أبدتها الشواعر في أشعارها رغبتهن في الزواج  
من أقربائهن والامتناع عن الغرباء ، وهذا ما روى عن الخنساء • فهي لما  
خطبها دريد بن الصمة من أخيها وسمح أخوها بذلك ، اذ كان هو والصمة  
متآخين ، رفضته لما علمت بذلك وعنفت أخاها وأظهرت رغبتها في الزواج  
من أقربائها قائلة :

أتخطبني هبلت على دريد      وتطرد سييدا من آل بدر  
معاذ الله ينكحني حبر كى      يقال أبوه من جشم بن بكر  
ولو أمسيت في جشم هديا      لقد أمسيت في دنس وفقر (٢)

وكثيرا ما ظهر حب النساء لقبائلهن في أشعارهن بصور عديدة منها  
حبهن لبلادهن وديارهن فكن يرسلن لها التحيات الشعرية مع الريح اذ  
تهب ومن هذا قول وجيهة بنت أوس الضبية ترد على عاذلة تعذلها على شدة  
الشعور الذي كانت تبديه نحو أهلها وديارها اذ بعدت عنهم فهي تقول :-  
وعاذلة تغدو عليّ تلومني      على الشوق لم تمنح الصباية من قلبي

(١) المصدر السابق ص ٦٣ •

(٢) الاغانى ج ١٣ ص ١٣٦ • الدر المنثور ص ١٠٩ - ١١٠ •

فمالي ان أحببت أرض عشيرتي وأبغضت طرفاء القصيبة من ذنب  
فلو أن ريحا بلغت وحي مرسل حفى لناجيت الجنوب على النقب  
فقلت لها أدى اليهم رسالتي ولا تخلطها طال سعدك بالترب (١)  
فهى عبرت بأسلوبها العذب عن شدة تعلقها بقومها حتى أنها ظهرت  
عليها تلك بشكل واضح . وفي شعر النساء كثير مما يصور حنينهن الى  
أهلين خاصة من كانت منهن متزوجة فى غير أهلها وبعيدة عنهم فقد روى  
أن امرأة من مازن تزوجت كلبياً وبينما هى سائرة الى بيت زوجها أحست  
أن بكرها الذى كانت تركبه كأنه قد أخذ يحن فتذكرت أهلها وخطبته  
تقول :-

تحن وأبكى ، ان ذا ليلية وانا على البلوى لمصطحبان  
وان زمانا أيها البكر ضمنى وياك فى واد لشر زمان (٢)  
ومن القول الدال على بعد النظر والاناة قول أم النخيف ، وهو سعد  
ابن قرط أحد بنى جذيمة ، تخاطبه وقد منعه عن الزواج من فتاة معينة  
ولكنه عصى رأيها بيد أنه لم يوفق أخيراً فى زواجه فأراد ان يطلقها بعد  
ذلك فقالت له أمه :-

لعمرى لقد أخلفت ظنى وسؤتى فحزت بعصياتى الندامة فاصبر  
فلا تك مطلقاً ملولا وسامح الـ قمرينة وافعل فعل حر مشهر  
فقد حزت بالورهاء أخبث خبثة فدع عنك ما قد قلت ياسعد وأخذر  
تربص بها الايام عل صروفها سترمى بها فى جاحم متسعر (٣)

(١) حماسة أبى تمام ج ص ١٢٩ . طرفاء القصيبة - موضع ،  
الحفى - المكرم .

(٢) حماسة ابن الشجرى ص ١٣ .

(٣) حماسة أبى تمام ص ٨٠٩ - ٨١٠ . جاحم - جحيم .

واستمرت تذكر له أن كثيرا من الكرام ذوى الاخلاق الطيبة قد  
ابتلوا بنساء خيئات فصبروا حتى أبدلوا بغيرهن كريمات •

ان شعر المرأة ، وان قل الذى بين ايدينا منه ، لا يخلو من الغزل  
رغم حرص العربية على عدم اذاعته • وهذا الغزل اذا ما قورن بغزل الشاعر  
الجاهلى وجدناه أقل منه فى المقدار فغزل الرجل فى ذلك العهد يؤلف  
ديوانا ضخما جدا • والسر فى هذا ، كما ذكرنا ، انما يعود الى ان المرأة  
بطبيعتها مطلوبة والرجل هو الطالب وليس معنى ذلك أنها لا تحب أو لا تتعشق  
انما حبها بطبيعته يكون صامتا مكتوما فى حين ان حب الرجل علنى صارخ  
وحب المرأة هادى رقيق وحبه غيف نائر ويضاف الى هذا تمسك الجاهليين  
بقواعد الحشمة وحرصهم على صيانة المرأة والابتعاد بها عن الاسفاف  
والابتدال • ولهذا تميز غزل المرأة فى الجاهلية ، على قلته ، بالقصد والايجاز  
وعدم الاطالة فى وصف الوجد بخلاف شعر المحين •

فمن الغزل النسوى قول ضاحية الهلالية وقد احبت رجلا اسمه  
حبيب :-

وما وجد مسجون بصنعاء موثق      بساقيه من حبس الامير كبول  
وما ليل مولى مسلم بجريرة      له بعد ما نام العيون عويل  
بأكثر منى لوعة يوم راغى      فراق حبيب ما اليه وصول (١)

ومثل هذا الاتزان نجده فى قول الحنساء بنت التيجان تصف شوقها  
الى جحوش الخفاجى :-

ألا ان وجدى بالخفاجى جحوش      برى الجسم منى فهو نضو سقام  
واقسم انى قد وجدت بجحوش      كما وجدت عفراء بنت حزام (٢)

(١) شاعرات العرب الجاهليات لبشير يموت ص ٩٤ •

(٢) شاعرات العرب الجاهليات لبشير يموت ص ٧٥ •

وإذا ما بالغت الواحدة منهن في وصف شوقها لم تعد عادة حد قول سعدى الاسديّة في ابن عم لها احبته حبا جما ولكن أباه منعه من الزواج بها فزوجها ابوها من رجل آخر فاشتد وجد ابن عمها فارس لها شعرا صور لها حاله فيه فأجابته بأبيات منها :

حيبي لا تعجل لتفهم حجتى      كفانى ما بى من بلاء ومن جهد  
ومن عبرات تعتربنى وزفرة      تكاد لها نفسى تسيل من الوجد (١)  
ان مشاركة الشعراء في انشاد الشعر، وحرص الاجيال المتعاقبة على المحافظة على أشعارهن وتناقلها خلال العصور أمر له دلالة • واول ما يدل عليه هو سمو منزلة المرأة في ذلك المجتمع وكفايتها الفنية ، وقيمة الموضوعات التي كانت تعالجها •

فقد شقت المرأة طريقا لها في الحياة العربية كما اتخذت لها نهجا قويا في الادب الشعري للامة • ويجدر بنا ألا يغيب عن اذهاننا ما كان للشعر من أثر وللشاعر من خطر في المجتمع البدوي في الجاهلية اذ قد تفعل القصائد فيه ما لا يفعل السيف أحيانا •

وإذا أنعمنا النظر في هذه الثروة الشعرية النسائية وجدناها على درجة من القيمة الفنية فمعانيها دقيقة على وجه العموم ، وهى قريبة من الواقع ، بعيدة عن المبالغة ، يسيطر عليها روح التعقل والاتزان ، نلمسه في معظم القصائد ، وهو دليل ثابت على نضج المرأة الجاهلية عقلا ، وثقافة ، كما هو دليل على عدم تأخرها عن المستوى الذي كان عليه الرجل ، فلا نجد في شعر النساء شذوذا في التفكير وحتى أن الاحلام وطيف الخيال معدومين عندهن وليس في شعورهن افكار نابية أو آراء فجّة • فلنستعرض بعض آرائهن في امور عامة • تقول الخنساء بنت أبي سلمى وأخت زهير الشاعر

---

(١) شاعرات العرب الجاهليات لبشير يموت ص ٩١ •

الحكيم تتحدث عن الموت :

ولا يغنى توقي المرء شيئاً ولا عقد التميم ولا الغضار  
إذا لاقى منيته فأمسى يساق به ، وقد حق الحذار (١)  
فهى لا تؤمن بأثر الرقى والتعاويد فى دفع الموت وهذا أسلوب من  
التفكير سليم ومثله قول أم تأبط شرا :

والمنايا رصد للفتى حيث سلك

كل شيء قاتل حين تلقى أجلك (٢)

ومن آرائهن فى الترية مثلاً قول أم ثواب الهزلية فى ابنها :

أنشأ يمزق أنوابى يؤدبنى أبعد شيبى تبغى عندى الادبا (٣)

فهى ترى السن المتقدم لا يناسبه التعليم وإنما يناسب التعليم عهد  
الفتوة والشباب اذ المسن لا يكون له من الأقبال على الامور الجديدة  
ما للفتى .

أما الرثاء الذى هو أكثر فنون الشعر النسوية فان الاعتدال والاتزان  
ظاهر فيه . ولتتخذ مثلاً له من قول الفارعة ترثى أخاها :

يا عين جودى لمسعود بن شداد بكل ذى عبرات شجوه بادية

من لا ينداب له شجم السديف ولا يجفو العيال اذا ما ضن بالزاد

ولا يحل اذا ما حل متبذا يخشى الرزية بين المال والنادى

قوال محكمة نقاض مبرمة فراج مبهمة ، حبس أوراد (٤).

(١) المؤلف والمختلف للآمدى ص ١١٠ .

(٢) حماسة أبى تمام ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٥٤ - ٣٥٦ .

(٤) حماسة ابن الشجرى ص ٨١ .

الدر المنثور فى طبقات ربات الخدود ص ٣٥٨ .

شجوه باد - حزنه ظاهر للناس ، لا يذيب الخ . لا يذيب لنفسه  
شجم السنام ولا يرد المحتاجين ولا ينفرد خوفاً من الفقر ، يقول المحكم من  
القول ويبطل ما احكم غيره ، يزيل لبس الامور ويصد اعداءه عن الورد .

فهى تسأل عينيها أن تذرف الدمع وتذكر كرم أخيها وعنايته بالعيال والضيوف وأصالة رأيه ، لهذا تسنى له نقض الامور المبرمة ، وكشف الاشياء الغامضة المهمة ، وقالت أنه شريف من شأنه أن يحمى الورد اذا نزل به وأنه جواد شجاع . واستمرت تطلق عليه أمثال هذا الوصف المعتدل القريب من الواقع البعيد عن المبالغة . وهكذا نجد الافكار واضحة فى شعر النساء والربط ظاهرا بين المعانى فى غالب الاحوال وهذا راجع الى وضوح تلك المعانى فى نفوسهن وتماسكها فصينها فى مقطوعات شعرية قصيرة فى الغالب .

أما اللفظ فى أشعارهن فان الغريب قليل فيه جدا وان كانت مسألة الغرابة أمر يختلف باختلاف الافراد . والرشاقة ظاهرة ، وسبك الالفاظ حسنا فيه انسجام ثم أنه مما يلاحظ كثرة الاوزان الخفيفة فى أشعارهن والضربات القصار كما فى مقطوعة هند بنت عتبة فى رثاء أبيها :-

يا عين بكى عتبة	شيخا شديد الرقبة
يطعم يوم المسبغة	يدفع يوم الغلبة
انى عليه حربته	ملهوفة مستلبة (١)
وقول أم السليك ترثيه :-	

طاف يبغي نجوة	من هلاك فهلك
ليت شعرى ضلّة	أى شىء قتلك
أمريض لم تعد	أم عدو ختلك
أى شىء حسن	لفتى لم يك لك
ان أمرا فادحا	عن جوابى شغلك (٢)

(١) الدر المنثور ص ٥٣٨ .

(٢) الحماسة لابي تمام ج ١ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

وفى هذا الوزن ترجمة عن عاطفة حرى وحزن عميق وهى أوزان  
أكثر مناسبة للنواح والتعديد فى المآتم • وشعر النساء خاصة فى الرثاء  
يدل على عاطفة صادقة كما يصوره شعر الخنساء التى ما جفت دموعها بل  
ظلت تنهمل فى الجاهلية والاسلام • ومن زعم بأن الدموع سريعة الجفاف  
فإنما هى دموع الرجل فالأمثلة على طول بكاء المرأة كثيرة ليس عند النساء من  
الطبقات الراقية فحسب بل الفقيرات اللاتى منهن أم السليك التى ذكرته  
وعدت مزاياه كما ذكرت هند بنت عتبة أباهم وذكرت كرمه وبأسه فكثرة  
النواح صفة ظاهرة عند الناس عامة على اختلافهن • ولما كان شعورهن صادقا  
كان فى رثائهن نغمة بليغة من التأثر والحزن •



## فهرست الاعلام

- ٢٦٧ ، ٢٤٩ - ابو جهل  
• ١٥٣ ، ١١٥ - ابو ذؤيب الهذلي  
• ٢٨٤ ، ١٦٢  
• ٢٤٠ ، ١٦٥ ، ٥٧ - ابو سفيان  
• ٢٧٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩  
• ٣٩ - ابو ضمضم  
• ١٦٩ - ابو العاص  
• ١٢ - ابو عبيدة  
• ٢٦٦ - ابو عمرو بن بدير  
• ١٩٥ - ابو عمرو بن عبد شمس  
• ٢٠١ ، ١٧٥ ، ٦٤ - ابو الفرج  
• ١٥١ - ابو قيس بن الاسلت  
• ٥٥١ - ابو محجن  
• ٧٤ ، ٥٧ - أحد  
• ٢١ - الأحساء  
• ٤٤ - احمد امين  
• ٢٦٣ - الاخنس بن جناب  
• ٢٠٧ - أربد  
• ٢٣٥ - أردشير  
• ٣٧ - أرشميدور  
• ٢١ - ارم  
• ١٥٢ - ازهر بن هلال التميمي  
• ١٤٦ - اسبانيا  
• ٢٢٧ - استراليا  
• ٢١٦ - اسحق بن خلف  
• ٣٦ - آشور بانيبال  
• ١٤٠ - الاشوريون  
• ٦٤ - آمنة بنت اخ عمرو بن عمرو  
• ١٩٥ - آمنة بنت ابان  
• ٢٨١ - آمنة بنت عتبة  
• ١٩٥ - ابان (بنو)  
• ٢٢٧ - ابراهيم  
• ٢٦٨ - ابن الاثير  
• ٦٠ - ابن حبيب  
• ١٠٥ - ابن حزم  
• ٢٩٨ - ابن حسان  
• ٢٨٨ ، ٤٦ ، ١٤ - ابن سلام  
• ٢٧٦ - ابن الشجري  
• ٤٥ - ابن عباس  
• ٧٥ - ابن عبد القيس  
• ١٢٥ - ابن الفارض  
• ١٣١ ، ١٢ - ابن قتيبة  
• ٢٧٩ - ابن قهوس  
• ٢٠١ - ابن الكلبي  
• ٥٦ - ابن مسعود  
• ١٧٤ - أبو بكر  
• ٢٨٤ ، ٢٧٥ ، ٣٨ - أبو تمام  
• ٢٨٣ - ابو جيلة  
• ٢٠١ - ابو جدابة



- بشر بن أبين خازم - ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٩١  
بشر بن عمرو - ٢٦٥  
بطرا - ٢٠  
بعث - ٢٤٣ ، ١٥١  
بغيفض ( بنو ) - ٢٩٣  
بكر ( بنو ) - ٣٠٠ ، ٢٧٧ ، ٢٣٠ ، ٧٢  
بلقيس - ٥٦  
بنت الحصين - ٦٦  
بهيسة بنت أوس - ١١٣ ، ١٧٠ ، ١٨٥  
٢٣٩  
البهيم ( بنو ) - ١٨١  
بيرون - ٢٥  
بيكن - ٢٥  
تأبط شرا - ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٤١ ، ٦٠  
١٦٥ ، ١٥٥  
تدمر - ٦٥  
تراجان - ٢٠  
تغلب ( بنو ) - ٣٠٠ ، ٢٩٩ ، ٢٧٧ ، ٢٥٤  
تماضر زوجة زهير - ٢٩٣  
تماضر زوجة علباء - ١٥٩  
تماضر زوجة النمر - ١٥٢  
تميم ( بنو ) - ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ١٥ ، ٧  
٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٢٨١  
التوراة - ٢٦٦  
تهامة - ٢٢ ، ٢١ ، ١٨ ، ٣  
تيتس - ٣٤  
تولستوى - ١٣٩  
تيماء - ٢٦٧ ، ١٩
- ٢٧٨ ، ٣٠١  
الانباط - ٢٠  
الاندلس - ١٤  
أوس بن حارثة بن لام - ٢٠٨ ، ١٦٩  
٢٣٨ ، ٢٠٩  
الأوس ( بنو ) - ٢٤٣ ، ١٥١ ، ٧٦  
٢٧١  
أوس بن حجر - ١١٠ ، ١٠٩ ، ٦٥  
١٦٣ ، ١٥٢  
أوستن - ٢٥  
اياس بن قبيصة - ٢٧٠ ، ١٩٧  
أيزانبرت - ١٤٦  
أيوب - ٣٩  
بابل - ٢٦٦ ، ١٠٢  
البابليون - ١٤٠  
بادية الشام - ٢٠  
بجبر - ٢٢٠  
البحترى - ٢٧٦  
البحر الاحمر - ١٨  
البحرين - ٨٢ ، ٢١ ، ٢٠  
بدر - ٢٩٣ ، ٢٨٢ ، ١٧٠  
بدر ( بنو ) - ٢٠٦  
برترام توماس - ١٩  
البراق الربيعى - ٢٩١  
برج بن مسهر الطائي - ٢٦٥  
برد بنت عبد المطلب - ٢٨٢  
السوس - ٢٧٧ ، ٦٧  
بشامة بن الغدير - ١٩٢

- ١٢٣ جنوب بنت محسن الجعدي -  
• جوته - ١٨٥  
• جورج برد - ٢٥  
• جورج الرابع - ٢٥  
• جستان لوبون - ١٤٦ ، ٣٠  
• الجوف - ١٩  
• جولدزيهر - ١٦٢  
• جو - ٢٢  
• جيمز - ١٨٨ ، ١٨٧  
• حائل - ٤  
• حاتم الطائي - ١٥٦ ، ٨٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٩٧ ، ١٨٢ ، ١٧٠ ، ٢٠٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢  
• الحاجز الاسدي - ٢٨١  
• الحادرة - ١٨٤  
• الحارث بن الابرص - ١٨١  
• الحارث بن التوام - ٢٠٢  
• الحارث بن سيليل - ١٦٥  
• الحارث بن ظالم - ٢٦٩ ، ٧١  
• الحارث بن عباد - ٢٢٠ ، ٢١٣  
• الحارث بن عمرو - ٢٢٥  
• الحارث بن عوف - ٢٣٨ ، ١٧٠ ، ١٦٩  
• الحبشة - ٨٢ ، ٣٤  
• حبيب - ٣٠٨  
• حجر - ٢٢  
• الحجاز - ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٥ ، ٣  
• ٢٣  
• حذيفة - ٢٧٨ ، ٦٧
- ثعلبة - ١١٥ ، ١٠٩ ، ١٠٨  
• ثقيف (نو) - ٢٨٢  
• ثمود - ٢٦ ، ٣  
• الثموديون - ٢٠  
• الجاحظ - ٤٥ ، ٣٨  
• جاندارك - ٥٦  
• جبلة (شعب) - ٢٧٩  
• جبلة ابن الايهم - ٢٧٠ ، ٢٦٩  
• جحد بن ضيعة - ٢١٩ ، ٧٤  
• ججوش الحفاجي - ٣٠٨  
• جدة - ٢١  
• جديس - ٢٢  
• جذام - ٢١  
• جذيمة - ٢٨٣  
• جران العود - ٢٧٢ ، ٧٩  
• الجرعاء - ٢٢  
• جزيرة العرب - ٥٤ ، ٣  
• جستينان - ٣٣  
• حساس بن مرة - ٢٠١ ، ٧٢ ، ٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢  
• حشم (نو) - ٣٠٦  
• جعفر بن أبي طالب - ٦  
• جلييلة أخت حساس - ٧٢ ، ٥٧ ، ١٧٨ ، ٢٠١ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٩  
• ٣٠١ ، ٣٠٠  
• جميلة (مولاة سليم) - ٢٧١  
• جنوب أخت عمرو - ٢٨١ ، ٢٥٤  
• ٢٩٤ ، ٢٩٢

- الخرار - ١٩ •  
حزقيل - ٣٧ •  
حسان بن ثابت - ٢٨١ ، ٢٦٩ •  
حسبي - ٢١ •  
الحصين بن حمام - ٢٥٥ •  
الحضر - ٢٣٤ •  
حضر موت - ٢١ ، ١٩ ، ١٥ •  
الحضرميون - ٢٠ •  
حطان بن المعلى - ٢١٧ •  
الخطيئة - ٢١٠ ، ١٦٩ ، ١٤٨ ، ٦٥ •  
حلب - ١٠٢ •  
حليمة - ٦٥ •  
حمورابي - ٣٢ •  
الخميريون - ٢٠ •  
حنظلة بن ثعلبة - ٧٢ •  
حنيفة ( بنو ) - ٢٧٦ •  
الحنيفية - ٨ ، ٧ •  
حوران - ٣٠ •  
الحوفران - ٧٢ •  
الحيرة - ٦٧ ، ٣٤ ، ٣٢ ، ٢٠ ، ١٥ •  
٢٨٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٠٦ •  
خالد بن جعفر - ٧١ •  
خالدة بنت هاشم - ٢٨٢ ، ٢٨١ •  
الخبثين - ٤ •  
خداش بن زهير - ١٠١ •  
خدام الخزاعي - ٢٥٨ •  
خديجة - ٦١ •  
الخرنق - ٢٩٨ ، ٢٩٠ •  
الخرزج - ٢٧١ ، ٢٤٣ •  
خفاف بن ندبة - ٢٦٦ ، ٢٥٩ •  
خليدة - ٢٦٥ •  
خماعة بنت عون - ٥٥ •  
خندف ( بنو ) - ٢٩٥ ، ٢٨١ •  
الخنديق - ٣٠٦ •  
الخنساء - ٢٨١ ، ١٧٦ ، ١٦٥ ، ٥٧ •  
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ •  
٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ •  
الخنساء بنت أبي سلمى - ٣٠٩ •  
الخنساء بنت الريحان - ٣٠٨ •  
خولة - ١٢٥ •  
خويلد بن مرة الهذلي - ٧٦ •  
خير - ٣٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ •  
داحس - ٢٧٨ ، ١٩٤ ، ١٤٩ •  
دارم ( بنو ) - ١٢ •  
دارون - ٢٣٠ •  
دختوس بنت لقيط - ٢٩٥ ، ٢٧٩ •  
٢٩٩ •  
دريد بن الصمة : ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٥٠ •  
١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ٢٠١ ، ٢٥٢ •  
٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠ •  
دوامسيس - ١٤٧ •  
دوماس - ٣٠ •  
الدهناء - ١٩ •  
ديغو - ٢٥ •  
ديكنز - ٢٥ •  
ذبيان ( بنو ) - ٢٢٠ •



- سهل ( بنو ) ٢٨٠ •  
سهل بن عمرو - ١٦٥ ، ٢٣٨ •  
سهل ( بنو ) ٢٨٠ •  
سواع - ٧ •  
سويد بن عامر المصطلقى - ٨ •  
سيدو - ٢٣ •  
سيناء - ٢٠ •  
الشمام - ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٥١ •  
٨٥ ، ٨٢ ، ٥٧ •  
شداد - ٢٤٨ •  
شذرة - ٦٥ •  
الشريشى - ٢٨٨ •  
شعيب - ٢٦ •  
شقيق بن سليك - ٢٤٧ •  
الشمناخ الذيبانى - ١٧٩ •  
شمر - ١٩ •  
الشفيرى الازدى - ٧١ ، ١٤١ •  
١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٦٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ •  
الذهب - ٤ •  
شيبان ( بنو ) ٢٠١ •  
شيلى - ٢٥ •  
صخر أخو الحنساء - ٢٠٧ ، ٢٨٨ •  
٢٨٩ ، ٢٩٦ •  
صخرة بنت اسماء - ٢٥٩ •  
صعدة - ٦٨ •  
صعصة - ٢٢٨ ، ٢٢٩ •  
صفوان بن امية - ٢٥٣ •  
صفية بنت عبد المطلب - ٢٨٢ •  
سحيم - ١٣٦ ، ١٣٨ •  
سدوس - ٢٢ •  
سراة ( جبال ) ١٨ •  
سعد ( بنو ) ٧٢ ، ٢٢٤ •  
سعد بن ابى وقاص - ١٩٩ •  
سعد بن قرط - ٣٠٧ •  
سعدى الاسدية - ٣٠٩ •  
سعر - ١٩٥ •  
سلامان ( بنو ) ٢٣٥ ، ٢٣٦ •  
سلامة بن جندل - ١١٠ ، ١١٣ •  
١٥٠ ، ٢٣٥ •  
سلمى أم عبد المطلب - ٦٠ •  
سلمى بنت عمرو بن زيد - ١٧٤ •  
سلمى بنت الاسود - ٢٣٥ •  
سلمى بنت الخرشب - ١٩٣ •  
سلمى بنت مهلهل - ٢٧٨ •  
السليك بن سلكة - ٥٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ •  
٢١٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٣ •  
سليم - ٢٧١ ، ٢٨٠ •  
سليمان - ٥٦ •  
سليمى بن ربيعة - ٧٩ •  
السماوة - ٢٠ •  
سمت - ٣٠ ، ٣٣ ، ١٦١ ، ١٨٨ •  
١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٦٧ •  
سمنة - ٢٣ •  
السميدع - ٥٦ •  
سولون - ٣١ ، ٣٢ •  
سويد بن ابى كاهل - ١٣٤ ، ١٥٠ •

- عامر بن جشم - ٦١  
 عامر بن الطفيل - ٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٤  
 • ٢٥٦  
 عنه - ١٠٢  
 العباس بن مرداس - ٢٥٧ ، ٢٥٩  
 • ٢٦٦  
 عبد الله بن ابي - ٢٦٨  
 عبد شمس - ٢٨٢  
 عبد الله بن ابي بكر - ١٧٤  
 عبد الله بن جدعان - ٢٦٧ ، ٢٧٠  
 • ٢٧١  
 عبد الله بن حسان - ٢٦٩  
 عبد الله بن رواحة - ٢٤٣ ، ٢٤٤  
 عبد الله بن سلول - ٢٦٨  
 عبد الله بن العباس - ٢٠٥  
 عبد الله بن عبد المطلب - ٢٢٧  
 عبد الله بن عجلان القضاعي - ١٢٣  
 • ١٧٩ ، ١٧٣  
 عبد المطلب بن هاشم - ٦٠ ، ٢٢٧  
 • ٢٩٨ ، ٢٨٢  
 عبد مناف - ١٧٠ ، ٢٨٢  
 عبد يغوث - ١٤٤  
 عبد بن الطيب - ٢٦٥  
 العبرانيون - ٧  
 عيسى (بنو) - ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣  
 عبله - ١١١  
 عبيد بن الابرص - ٨٨ ، ١١٣  
 عتبة بن ربيعة - ٢٤٩ ، ٢٦٧ ، ٣١٤
- صفية بنت عمرو الباهلي - ٢٩٠  
 صفية بنت مسافر - ٢٨٢  
 الصين - ٢٢٦  
 ضاحية الهلالية - ٣٠٨  
 ضرار بن الخطاب - ٥٦  
 ضريب بن الحرب - ٧٣  
 ضمرة بن ضمرة النهشلي - ١٥٧  
 الطائف - ٢١ ، ٢٣ ، ٢٥٠  
 طه حسين - ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠  
 الطبري - ٢٦٨  
 ظرفة بن العبد - ٤٤ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٣  
 • ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨  
 • ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٢١٩ ، ٢٤٩  
 • ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣  
 طروادة - ٥٢ ، ٢٥٥  
 طسم - ٢٢  
 طفيل الغنوي - ١١٥  
 طى (بنو) - ٥٦  
 ظفار - ٢١  
 عاتكة ام هاشم - ٦٠  
 عاتكة بنت زيد بن عمرو - ١٧٤  
 • ٢٩٣ ، ٢٩٠  
 عاتكة بنت عبد المطلب - ٢٩٨  
 عاتكة بنت مرة - ١٧٠ ، ١٧٤  
 عاد - ٣ ، ٢٦  
 عاقل - ٤  
 عامر (بنو) - ٦٨ ، ٧٧ ، ١٩٦ ، ٢٢٩  
 • ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٤٢

- عبد بن عفيف - ٢٠٦ •  
العجيف - ٢١٠ •  
عدنان - ٣٧ •  
عدنان - ٦٧ •  
عدي بن زيد العبادي - ١٥٣ ، ١٤٧ ، عمرو - ٣٠٢ •  
١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢ • عمرو بن الاطنابة - ٢٥٢ •  
العراق - ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٨٢ • عمرو بن الاعم - ١٥٦ ، ١٩٩ •  
عرقوب - ١١٥ • عمرو بن الحارث - ١٩١ •  
عروة بن مرة الهذلي - ٧٦ • عمرو النهدي - ٢٩٤ •  
عروة بن الورد - ٥٠ ، ٦٠ ، ٧٨ ، عمرو ذو الكلب الهذلي - ٢٥٤ ، ٢٨١ •  
١١٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، عمرو بن عبد ود - ٣٠٦ •  
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، عمرو بن عمرو - ٦٤ ، ١٨١ •  
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، عمرو بن كلثوم - ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٦ •  
العروض - ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ • ٩٢ ، ١٤٣ ، ٢٣١ ، ٢٦٨ •  
العزى - ٧ • عمرو بن المشرج - ٢٢٤ •  
عفراء بنت حزام - ٣١٠ • عمرو بن معد يكرب الزبيدي - ٦٤ •  
العفير - ٢٢ • ١٢٧ ، ٢٠٥ ، ٣٠٣ •  
عفيف بن معد يكرب - ٢٥٢ • عمرو بن نفييل - ٢٢٩ •  
عقرب - ٢٢٠ • عمرو بن هند - ٥٥ ، ٢٠٢ •  
عقيل (بنو) ٦٦ ، ٢٢١ ، ٢٥٥ • عمرو بنت رواحة - ٢٤٣ ، ٢٤٤ •  
عقيل بن ابي طالب - ٢٠٥ • عمرة بنت عامر بن الظرب - ٥٧ •  
عكاظ - ٢١٩ ، ٢٩٨ • عمرة بنت علقمة الحارثية - ٥٧ •  
علاء بن أريم - ٧٠ ، ١٥٩ • عميرة بنت ابي سعيد - ١٣٨ ، ٨٧ ، ٥٧ ، ٨٠ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ •  
١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ٢٦٤ • عوف بن كعب - ٣٠٦ •  
عنترة العيسى - ١٢ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٥١ •  
علي (ع) ٢٧٧ • ٧٩ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ •  
علي بن الحسين (ع) ٢٤٨ • ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ •

- ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٤٩ ، ١٩٣ ، فروة بنت مسعود - ٢٧٩ •  
٢٦٤ ، ٢٤٨ •  
٢٧٩ - عين اباغ •  
٢١٥ (بنو) عوار بن مالك •  
٢٧٨ ، ١٩٤ ، ١٤٩ - الغبراء •  
٢٩١ - غرثان الربيعي •  
١٨١ - غزة •  
٢١ - غزوان •  
٣٤ - غسان •  
١٩٤ - غسان بن وعلّة •  
٢٢١ ، ١٥ (بنو) غطفان •  
١٩٤ - غلاق بن مردان •  
٢١ - الغور •  
١٢ - غيلان •  
١٨١ - فاختة •  
٨٢ ، ١٥ ، ١٤ ، ٥ - فارس •  
٢٩٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ - الفارعة بنت شداد •  
٢٨٢ - فاطمة بنت الاحجم •  
٢٠٥ - فاطمة بنت أسد •  
٦٠ ، ١٧٤ ، ٢٠٩ - فاطمة بنت الحارث بن الانمارية •  
٢٣٨ ، الفاكه بن المغيرة المخزومي •  
٢٤٠ •  
٢٥١ ، ٦٨ - الفجار •  
٣٤ - فدك •  
٢٢٧ - الفراغة •  
٢٢٨ - الفرزدق •  
٢٦٦ - الفرس •
- ٢٠٠ - فريتاچ •  
٢١٦ ، ٢١٥ ، ٥٥ - فكيهة بنت قتادة •  
٢٥ - فيلدنج •  
٢٤٨ - القاسم بن محمد •  
٦ - قتادة السدوسي •  
١٩٥ - القتال الكلابي •  
٣٠٣ ، ٢٩١ ، ٢٧٦ - قتيلة بنت النضر •  
٦٧ - قحطان •  
٣٤ - القدس •  
٢١ (واد) القرى •  
٧ - القرآن •  
٢١ - قرح •  
٦٧ - قرفة •  
٦٨ ، ٥٧ ، ٣٥ ، ١٥ ، ١٤ - قرش •  
٢٦٧ ، ٢٣٠ ، ٢٢٧ ، ١٩٥ ، ٨٧ •  
٢٨٢ •  
٨ - قس بن ساعدة •  
٢٨٠ (بنو) قشير •  
٣٤ - قضاة •  
٢١ - قطر •  
٢٢ - القطيف •  
٢٩٨ (بنو) قعين •  
٢٨٢ - القلب •  
٢٩٩ ، ٢٩٨ ، ٢٣٠ ، ٦٧ - قيس (بنو) •  
١٠٦ - قيس بن الاسلت •  
٥٥ - قيس بن ثعلبة •

- قيس بن الحدادية - ١٢٨ ، ١٤٢ ، كوست - ٣٠ ، اللات - ٧ ، ٢٥١
- قيس بن الخطيم - ٧٥ ، ١٥٠ ، ١٠٤ ، لبيد بن ربيعة - ١١٠ ، ١٥٦ ، ١٩١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤ ، ٢٣٤
- قيس ذي الجدين - ٢٤٠ ، نعمان - ٢١٢ ، قيس بن زهير - ٢٠٩ ، ٢١٠ ، لقيط بن بكر - ٧٣ ، قيس بن عاصم - ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨٣ ، لقيط بن زرارة - ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٢٢٤ ، ٢٥٣ ، ٢٢٥
- قيس عيلان (بنو) - ٢٨١ ، نكير بن مرة - ٢٢١ ، ٢٩١ ، كأس (جارية) - ٢٢٢ ، ليلى - ٢٥٦ ، كاهل (بنو) - ٢٩٢ ، ليلى بنت الخطيم - ٢٤٤ ، كبشة اخت عمرو - ٣٠٣ ، كديد (يوم) - ٢٧٩ ، ليلي بنت عفزر - ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، كريسمر (فون) - ١٩٣ ، ليلى بنت لسكير (العفيفة) - ٢٢١ ، ٢٧٧ ، كسرى - ٧٣ ، ٢٢١ ، مارب - ٢٠ ، كعب بن زهير - ١٥٤ ، ١٥٧ ، ماء السماء - ٥٥ ، كعب بن سعيد الغنوي - ١١٢ ، ١٤٥ ، مارية بنت نهشل - ٢٠٠ ، ٢٨٤ ، ١٥٠ ، ١٤٨ ، مازن - ٦٨ ، ٣٠٩ ، الكعبة - ١٩٤ ، ٢٢٧ ، مالك - ٢٩٨ ، الكلاب (يوم) - ٢٧٩ ، مالك بن بدر - ٢٧٨ ، كلب - ٥٧ ، مالك بن زهير العبيسي - ٢٩٣ ، الكلحة اليربوعي - ٢٢٢ ، مالك بن الصمصامة - ١٢٣ ، كليب التغلبي - ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٤ ، ماوية - ٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ماوية زوجة حاتم - ١٨٢ ، ٢٦٢ ، كنانة (بنو) - ٦٨ ، ٢١٩ ، ٢٨٢ ، ماوية بنت الجميد - ١٧٤ ، كندة (بنو) - ٢٣٥ ، ٢٣٠ ، المبرد - ٢٢٩ ، كوخر - ٩٣ ، المتجرودة - ١٤٦ ، ٢٧١

- المتملس - ١٠٧ ، ٢٠٢ •  
 المتنبى - ١٢٥ •  
 المتقب العبدى - ٨٠ ، ١١٥ ، ١٣٢ •  
 المثلم بن رياح المري - ١٥٧ •  
 المجمع الهلالى - ٢٥٩ ، ٢٦٠ •  
 المجوس - ٧ •  
 محمد بن حبيب - ١٦١ ، ٢٣٧ •  
 محمد بن سعيد - ٢٦٨ •  
 محمد على ( مولانا ) - ١٥ •  
 المخبل السعدى - ١٥٦ •  
 المدينة - ١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ •  
 ٢٦٧ ، ٢٨٣ •  
 المرار بن سعيد - ١٠٨ ، ١٠٩ •  
 المرار بن منقذ - ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٧ •  
 ٩٨ ، ١٠٤ ، ٢١٣ •  
 مرة بن محكان - ١٦٨ •  
 المرقش الاصغر - ١٣٣ •  
 المرقش الاكبر - ٧١ ، ١٢٢ •  
 مروان بن زباع العيسى - ٥٥ •  
 المزرد - ٩٥ ، ٩٦ •  
 مسافر بن عمرو - ٢٤٠ •  
 مسعود بن شداد - ٣١٢ •  
 مسعود بن معتب - ٢٨٢ •  
 المسعودى - ٣٧ ، ٢٠٦ •  
 المسيب بن علس - ٨٠ •  
 مسيكة - ٢٦٨ •  
 المشمرخ اليشكرى - ٢٢٤ •  
 مصر - ٣ ، ١٤ ، ٨٢ ، ٨٥ •  
 المصريون - ١٤٠ •  
 مضر - ٢٣٤ •  
 المطلب ( بنو ) - ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٣٠٤ •  
 معاوية بن أبى سفيان - ٢٨٢ ، ٢٩٤ •  
 معاوية اخو الخنساء - ١٦٥ ، ٢٩٠ •  
 معاوية بن بكر - ٢٧٠ •  
 معقل الهذلى - ٢٥٨ •  
 معن بن اوس - ١٣٢ ، ٢٨٧ •  
 المعينون - ٢٠ •  
 مقيس بن قيس السهمى - ٢٥٣ •  
 مكة - ١٥ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ١٧١ •  
 ٢٢٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ •  
 ٢٨١ ، ٢٨٢ •  
 ملاعب الاسنة ( عامر بن مالك ) - ٢٨٠ •  
 مليكة - ٦٥ •  
 مى - ٤ •  
 مناة - ٧ •  
 المنذر بن ماء السماء - ١٩١ •  
 المنخل - ٤٦ ، ١٣٦ •  
 منقوحة - ٢٢ •  
 منقوسة بنت زيد الخيل - ١٦٨ •  
 ١٨٣ ، ٢٠٥ •  
 منقر ( بنو ) - ٧٢ •  
 مهره - ٢١ •  
 مهلهل التغلبى - ٧٢ ، ١٦٦ ، ٢١٩ •  
 ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤١ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ •  
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ •  
 موسى - ٣١ •

- الميداني - ٢٣٠ •  
ميلتا - ٢٦٦ •  
نابغة بنى جمدة - ١٩٤ •  
النابغة الديباني - ٩٣ ، ٨٠ ، ٦٩ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٤٦ ، ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ •  
٢٨١ •  
نابليون - ٦٧ •  
ناجية بنت ضمضم - ٢٩٠ ، ٢٧٨ •  
٢٩٦ •  
نبيط ( بنو ) - ٢٦٩ •  
نبيه بن الحجاج - ٥٨ •  
النجار ( بنو ) - ٧٦ •  
نجد - ٢٢ ، ٢٠ ، ١٥ ، ٣ •  
النجدف - ٢٠ •  
نزار ( بنو ) - ٢٨٠ •  
نسر - ٧ •  
النضر بن الحارث - ٢٠٤ ، ٢٠٣ •  
٢٩١ ، ٢٧٦ •  
النعمان - ٥٦ ، ٦٧ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ •  
٢٧١ •  
النعمان بن وائل - ٢٢٠ •  
نفر - ١١٣ •  
النفوذ - ١٩ •  
النمر بن تولب - ٢١٤ ، ١٥٢ ، ٨٢ ، ٥٦ •  
نوار - ١٥٦ •  
نولدكه - ١٨٩ ، ١٨٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٣٠٢ •  
التويرى - ٢٢٥ •  
هاشم ( بنو ) - ٣٠٦ ، ٣٠٤ •  
هامرتن - ٢٥ •  
هانى بن مسعود - ٥٦ •  
هذيل ( بنو ) - ٢٣٠ ، ١٥١ ، ١٥ •  
هريرة - ٢٦٥ •  
هل - ٢٢ •  
هلال ( بنو ) - ١٩٥ •  
همام بن مرة - ٢٧٨ •  
هند - ٨٩ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ٥٧ •  
هند بنت عتبة ( ام معاوية ) - ١٦٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ •  
٣١٤ ، ٣٠٤ •  
هند بنت معبد - ٢٧٩ ، ٢٢٢ •  
هند زوجة المنذر - ١٩١ •  
هند النهديّة - ١٧٩ •  
هنيدة بنت صعصعة - ٦٥ •  
الهنود - ٢٦٦ •  
هوازن - ٦٨ ، ١٥ ، ٢٧٩ ، ٢٥٧ •  
هيشم - ١٩٥ •  
هيروودوتس - ٢٦٦ ، ٣٦ ، ٣٥ •  
هيلين - ٢٥٥ ، ٥٢ •  
هيوارت - ٣٥ •  
وائل ( بنو ) - ٢٣٠ •  
واد نكتون - ٥٦ •  
وجيهة بنت أوس - ٣٠٩ •  
وقدان - ٣٠٢ •

- |                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| • ٧ - يفتوت                      | • ٢٢٨ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٦٠ - ولكن   |
| • ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ - اليمامة         | • ٢٥ - وليم الرابع               |
| • ١٩ ، ١٨ ، ١٥ ، ٧ ، ٣ - اليمن   | • ٣٠٦ - وهيبة بنت عبد العزى      |
| • ٨٥ ، ٨٢ ، ٤٦ ، ٣٦ ، ٣٤ ، ٢١    | ينرب ( المدينة ) ١١٥             |
| • ٢٤١                            | • ٢٨٠ ، ٢٥٧ - يزيد بن عبد المدان |
| • ٢٥٥ ، ٢٢٧ ، ١٤١ ، ٢٠ - اليونان | • ٢٠٢ - يشكر ( بنو )             |
| • ٢٢٦                            | • ٢٦ - يعقوب                     |



## المراجع

### ١ - العربية

آدم متر	الحضارة الاسلامية	الترجمة والنشر ٤٧-٤٨م
الأمدي	المؤتلف والمختلف	القدسى ١٣٥٤هـ
ابن أبى اصيعة	عيون الانباء	الوهية ١٨٨٣٠م
ابن الاثير	الكامل	ليدن ١٨٧١م
ابن الاثير	أسد الغابة	مصر ١٢٨٠ - ١٢٨٦هـ
ابن الاثير	جامع الاصول	
ابن الانبارى	شرح المفضليات	التقدم ١٩٠٦م
ابن جرير الطبرى	تاريخ الرسل والملوك	بريل ٨٣ - ١٨٨٥م
ابن جرير	تفسير القرآن	بولاق ١٣٢٣هـ
ابن حجر	الاصابة	التجارية بمصر ١٩٣٩م
ابن حزم	طوق الحمامة	ليدن ١٩١٤م
ابن خلدون	المقدمة	التقدم ١٣٢٢هـ
ابن خلكان	وفيات الاعيان	مصر ١٢٩٩هـ
ابن رشيق	العمدة	السعادة ١٩٠٧م
ابن سلام	طبقات الشعراء	ليدن ١٩١٣م
ابن الشجرى	الحماسة	حيدر آباد ١٣٤٥هـ
ابن طيفور	بلاغات النساء	مصر ١٩٠٨م
ابن عبد البر	الاستيعاب	التجارية بمصر ١٩٣٩م
ابن عبد ربه	العقد الفريد	بولاق ١٣٠٢هـ
ابن الفارض	ديوانه	بيروت ١٨٨٨م
ابن قتيبة	عيون الاخبار	دار الكتب ١٩٢٥م

الحانجى ١٣٢٢هـ	الشعر والشعراء	ابن قتيبة
التقدم ١٣١٩هـ	أخبار النساء	ابن قيم الجوزية
دار الكتب ١٩٢٤م	الاصنام	ابن الكلبي
بولاق ١٣٠٧هـ	لسان العرب	ابن منظور
الرحمانية ١٣٤٨هـ	الفهرست	ابن النديم
جوتنجن ١٨٦٠م	السيرة النبوية	ابن هشام
الحانجى ١٩٠٩م	المعمرين	أبو حاتم
	السنن	أبو داود
دار الكتب ١٩٤٥	ديوانه	أبو ذؤيب الهذلي
بولاق ١٣٠٨	الجمهرة	أبو زيد القرشي
لندن ١٨٥٤م	أشعار الهذليين	أبو سعيد السكري
الحسينية ١٣٢٥هـ	المختصر	أبو الفداء
الساسى - التقدم	الاجانى	أبو الفرج
لدونج ، بتافون ١٨٨٧م	ديوانه	أبو محجن
	جمهرة الامثال	أبو هلال العسكري
البابى الحلبي مصر	المستطرف	الابهيثى
الاعتماد ١٩٢٨م	فجر الاسلام	أحمد أمين
التأليف والترجمة ١٩٣٥م	ضحى الاسلام	أحمد أمين
١٩٤٧م	المرأ فى مختلف العصور مصر	أحمد خاكي
اليسوعيين	تاريخ كلدو وآشور	أدى شير
	ديوانه	الاسود بن يعفر
ديوانه - الصبح المنير فى أدلف هلز هوش بيانه	شعر أبى بصير	الاعشى ميمون
١٩٢٧ - ١٩٢٨م	الجمهورية	افلاطون
المقتطف ١٩٢٩م	ديوانه - مع الطرائف	الافوه الاودى
١٩٣٧م		

الالوسى	بلوغ الارب	الرحمانية ١٩٢٤م
الالوسى	روح المعانى	الاميرية ١٣٠٠هـ
أمرو القيس	ديوانه	التقدم ١٣٢٣هـ
أمير على ( السيد )	مركز المرأة فى الاسلام	الياس زخورا ١٩١٢م
أمية بن أبى الصلت	ديوانه	لينزج ١٩١١م
أهل وارت	العقد الثمين	لندن ١٨٧٠م
أوس بن حجر	ديوانه (نشر ردولف جير) فينا	١٨٩٢م
البحترى	الحماسة	بيروت ١٩٠٩م
البخارى	صحيحه - شرح القسطلانى بولاق	١٣٠٤هـ
البرقوقى (عبدالرحمن)	دولة النساء	مصر ١٩٤٥م
البستاني ( كرم )	النساء العربيات	صادر بيروت
بشير يموت	شاعرات العرب	الاهلية ١٩٣٤
البكرى	معجم ما استعجم	جوتنجن ٧٦ - ١٩٧٧م
البكرى	أراجيز العرب	مصر ١٣١٣هـ
اليضاوى	أنوار التنزيل	الخيرية ٩٦١هـ
يفان ( اتونى )	النقائص	ليدن ١٩٠٨ - ١٢م
جان أمل ريك	تراث الاسلام	الترجمة والنشر ١٩٣٦م
	مركز المرأة فى قانون	
	حمورابى	العصرية - مصر
الجاحظ	البيان والتبيين	التجارية ١٩٣٢م
الجاحظ	الحيوان	الحميدية ١٣٢٣م
الجاحظ	ثلاث رسائل -	ليدن
	الرسالة الثانية	
الجرجاني	الوساطة بين	
	المتنبى وخصومه	صيда ١٣٣١هـ

المختصر النافع	دار الكتاب	جعفر الحلبي
مواسم الادب	مصر ١٣٢٦ هـ	جعفر العلوي
المدخل الى تاريخ الحضارة		جورج حداد
تاريخ آداب اللغة العربية الهلال	١٩٢٤ م	جورجي زيدان
تاريخ العرب قبل الاسلام الهلال		جورجي زيدان
حضارة العرب	الحلبي ١٩٢٤ - ٢٥ م	جوستان لوبون
تاريخ العالم	وزارة المعارف المصرية	جون هامرتن
المعلقات السبع	لندن ١٨٩٤ م	جونسون
جزيرة العرب	التأليف والترجمة ١٩٤٦	حافظ وهبة
المرأة في الجاهلية	الفجالة ١٨٩٩ م	حبيب الزيات
تاريخ العرب	بيروت ١٩٤٦ م	حتى ( فليب )
تاريخ الاسلام السياسي	حجازي ١٩٣٥ م	حسن ابراهيم حسن
المرأة وآراء الفلاسفة	مصر ١٩٢٥ م	حسين فوزي
زهر الآداب	الرحمانية ١٩٢٥ م	الحصري
باكورة الكلام على	بولاق ١٣٠٨ م	حمزة فتح الله
حقوق المرأة		
أئيس الجلساء	اليسوعيين ١٨٩٦	الحنساء
دائرة المعارف الاسلامية		
تزيين الاسواق	بولاق ١٢٩١ م	داود الانطاكي
علم الادب	مصر ١٩٠٤ م	روحي الخالدي
تاج العروس	مصر ١٣٠٧ هـ	الزبيدي
المفصل	حجازي - مصر	الزمخشري
ديوانه (مع شرح الاعلم) التجارية - مصر		زهير بن أبي سلمى
ديوانه (مع شرح ثعلب) دار الكتب ١٩٤٤ م		زهير بن أبي سلمى
الدر المشور	بولاق ١٣١٢ هـ	زينب فواز

مخطوط	ديوانه	سحيم
السعادة	المبسوط	السرخسي
	الاسلام والمرأة	سعيد أفغاني
الجواب ١٣٠٠ هـ	ديوانه	سلامة بن جندل
أخبار النحويين البصريين الكاثوليكية ١٩٣٦ م		السيرافي
السعادة ١٣٢٦ هـ	المزهر	السيوطي
شرح المقامات الحريرية مصر ١٣٠٠ هـ		الشريشي
الشهاب في الشيب والشباب الجواب ١٣٠٢ هـ		الشريف المرتضى
السعادة ١٣٢٧ هـ	ديوانه	الشماع
ديوانه (ضمن الطرائف) الترجمة والنشر ١٩٣٧ م		الشفري
الادبية ١٣١٧ هـ	الملل والنحل	الشهرستاني
الازهر ١٣٠٥ هـ	الغيث المسجم	الصفدي
ليزج ١٨٨٥ م	المفضليات	الضبي
المطبعة الميمية ١٣٢١ هـ	تفسيره	الطبري
الاعتماد ١٩٢٧ م	في الادب الجاهلي	طه حسين
ديوانه (مع شرح الاعلم) شالون ١٩٠٠ م		طرفه بن العبد
ديوانه (رواية أبي حاتم) لندن ١٩٢٧ م		طفيل الغفوي
دار سعد مصر	هذه الشجرة	عباس العقاد
مصر ١٩٤١ م	اصول القانون	عبدالرزاق السنهوري
لجنة التأليف ١٩٣٧ م	الطرائف الادبية	عبدالعزيز الميمني
بولاق ١٢٩٩ م	خزانة الادب	عبدالقادر البغدادي
مصر ١٩٢١ م	المرأة العربية	عبدالله عفيفي
أحكام الاحوال الشخصية مصر ١٩٣٨ م		عبدالوهاب خلاف
ديوانه (جمع وشرح) مصر ١٢٩٣ هـ		عروة بن الورد
	(ابن السكيت)	

الجزائر ١٩٢٥م	ديوانه	علقمة الفحل
مصر ١٩٤٧م	أبحاث التاريخ العام للقانون	على بدوى
الرحمانية بمصر	ديوانه	عنترة العيسى
مصر ١٩٥٧	عمدة القارى	العيني
العامرية ١٣٠٨هـ	تفسيره	الفخر الرازى
بغداد ١٩٤٥م	أصل العائلة	فردريك أنجل
	القرآن الكريم	
القاهرة ١٩٣٥م	قاموس المحيط	الفيروز أبادى
لينزج ١٩١٤م	ديوانه	قيس بن الخطيم
الجزائر ١٩١٠م	ديوانه	كعب بن زهير
لندن ١٨٩١م	ديوانه ( نشره هابر )	ليد بن ربيعة
اليسوعيين ١٩٢٠م	شعراء النصرانية	لويس شيخو
اليسوعيين ١٨٨٧م	رياض الادب	لويس شيخو
مصر ١٩٣٧م	تاريخ الحب	مارسيل تينر
	منهاج اليقين	الموردى
لينزج ١٨٧٤م	الكامل فى الادب	المبرد
لينزج ١٩٠٣م	ديوانه ( ر . دولار )	المتلمس
الرحمانية ١٩٣٠م	ديوانه	المتنبى
١٩٤٤م	المرأة ومركزها القانونى التوكل	محمد البندارى
حيدر آباد ١٩٤٢م	المحجر	محمد بن حبيب
مصر ١٢٩٩م	فواة الوفيات	محمد بن شاکر
بيروت ١٩٢١م	المرأة فى التاريخ	محمد جميل بيهم
اليسوعيين ١٩٣٢م	كتاب الزهرة	محمد بن سليمان
	تيسير الوصول	محمد عابد السندى
القرن العشرين	دائرة المعارف	محمد فريد وجدى

المحمودية مصر	مرآة النساء	محمد كمال الادهمي
ديانات العرب في الجاهلية السعادة ١٩٢٣م		محمد نعمان الجارم
البهية ١٣٤٦هـ	مروج الذهب	المسعودي
	صحيحه	مسلم
التجارية ١٣٥٨هـ	سقط الزند ( شرح	المعري
	التنوير )	
بولاق ١٢٨٤هـ	مجمع الامثال	الميداني
	ديوانه	الناطقة الجعدي
ديوانه (التوضيح والتبيان) السعادة مصر		الناطقة الذبياني
دار الكتب ١٩٢٩م	نهاية الارب	النويري
برلين ١٩٠٢م	الاصمعيات	وليم بن الورد
كازان ١٩٠٣م	الامومة عند العرب	ولكن
السعادة ١٩٠٠م	معجم البلدان	ياقوت
التجف ١٣٥٨هـ	تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
بغداد ١٩٣٦م	تاريخ الحيرة	يوسف غنيمة



ب - الافرنجية

1. Abdul Rahim (Sir): Muhamed Jurisprudence.
2. Able (Ludwing): Dis Sieben Muallakat, Berlin 1891.
3. Blunt (W.S.): Seven Golden Odes of Paga Arabia, London 1903.
4. Bron: A Literary History of Persia, Cambridge, 1929.
5. Bugh: Dictionary of Islam, London 1885.
6. Bukhsh (S.Kh.): Contributions To The History of Islam Givilization, Calcutta Uni. 1930.
7. Burckhardt: Travels in Arabia. London 1829.
8. Bushnell (Horace): Sermons For The New Life, 1858.
9. Gambridge: Medival History, Gambridge, 1922—1929.
10. Chiragh Ali: Reformes Under Muslim Rules.
11. Doumas (E.): La Vie Arabe et La Soci t  Musulmane, Paris, 1864.
12. Doughty (Gharles M.): Travels in Arabia Deserta, Cambridge, 188.
13. Ellis (H.H.): Studies in The Psychology of Sex, London 1899.
14. Encyclopaedia of the Bible.
15. Encyclopaedia Britanica.
16. Encyclopaedia of Riligion.
17. Encyclopaedia of Social Science, Seligman, 1935.
18. Fahmy (M.): La Condition de La Femme, de la Tradition et L'Evolution de L'Islam, Paris 1913.

19. Fereytaz : Einleitung in das Studium du Arabische.
20. Fison & Howitt : Kamilaris & Kunari.
21. Frazer(Sir James George): The Golden Bough, England 1890.
22. Genunge (G.F.): The Working Principles of Rhetoric, Bosten 1901.
23. Goldziher : Muhammedaniche Studien, Max Niemeyer 1889.
24. Ghulam Ahmed: The Trading of Islam, London 1921.
25. Hell (J.): Die Kultur der Araber, Leipzig 1919.
26. Historians History of The Wold, London 1907.
27. Huart (G.L.): Histoir Des Arabes. Paris 1913.
28. Hughes (T.P.): Dictionary of Islam, London 1935.
29. Huzayyin (S.A.): Arabia & The Far East, Egypt 1942.
30. Johnson (F.E.): The Seven Poemes. London 1894.
31. James (V.R. & L. Bevan): Woman in Islam, lucknow 1941.
32. Kremer (Von): Gontribution of The History of Islam, Calcutta 1905.
33. Lammens (P.H.): L'Islam, Groyance et Institutions, Beyrouth 1926.
34. Lane (E.W.): Arabia Society in The Middle Ages, London 1883.
35. Lane-Pool (S.) Studies in A Mosque, Remington 1893.
36. La Tourneau: La Condition de La Femme.
37. Lennan (Mac.): Studies in The Ancient History, Primitive Marriage.
38. Levey: Sociology of Islam.

39. Lichtenstadter (I.): Woman in The Aiyān Al-Arab. London 1935.
40. Lyall: Ancient Arabian Poetry, Calcutta 1894.
41. M. de S.: Résumé de L'Histoire des Traditions Morales et Religieuses.
42. Max Partol: Naturvolker.
43. Maurois (André): Sept Visages de L'Amour, New York 1944.
44. Mill: Dissertations & Discussions.
45. Mohammad Aly (M.): Mohammed The Prophet, Lahore 1933.
46. Morgoliouth: Mohammed Doctrine.
47. Muir (sir W.T.): The Life of Mohammed, Edinburgh 1912.
48. Murry (J.M.): Adam & Eve, London 1943.
49. Nicholson (R.A.): A Literary History of The Arabes, Cambridge 1941.
50. Noldeke (TH.): Geschichte der Perser Und Araber etc. Zur Zeit der Sassanischen.
51. O'Leary: Arabia Before Mohammed, London 1927.
52. Perceval (Caussin de A.P.): Essai Sur L'Histoire des Arabes Avant L'Islamisme, Pendant L'Epoque de Mohamet 1849.
53. Perron (Dr. M.): Femme Arabe, Paris 1858.
54. Rechart (G.): La Femme dans L'Histoire.
55. Rosler: La Condition Féminine.
56. Scholl (J.CH.): L'Islam & Son Fondateur Neuchâtel 1874.
57. Sédillot (L.B.): Histoire Générale Des Arabes, Paris 1877.

58. Sell (R.C.): The Life of Mohammed, India 1913.
59. Shah (S.I.A.): Mohamed The Prophet, London.
60. Sloane (W.G.N.): The Poet Labid, Leipzig 1877.
61. Smith (R.) Kinship & Marriage In Old Arabia  
London 1907.
62. Spencer: Woman's Share In The Social Culture,  
London.
63. Stobart (J.W.H.): Islam & it's Founder, London  
1876.
64. Thomson: Samitic Magic.
65. Traver (Albert A.): History of Ancient Civilisa  
tion.
66. Wellhausen: Mohamed in Madina, Berlin 1882.
67. Word (Lester F.): Pure Sociology.



## فهرست الموضوعات

الصفحة

### المقدمة :

بيان الموضوع وسبب اختياره وجدواه • ما يصح ان يكون  
مصدرا لدراسة حياة المرأة في العصر الجاهلي • الشعر من  
أوثق المصادر وأهمها • المراجع الأخرى التي اضطررنا الى  
الاعتماد عليها •

أ - و

### التمهيد :

(١) قصور الدراسات التاريخية للعصر الجاهلي وأسبابه : ١ - ١٦

أ - الأسباب الطبيعية • ٣ - ٥

ب - الأسباب غير الطبيعية : (١) الثورة على الجاهلية

(٢) الشعوبية (٣) العصية القبلية • أثر هذه العوامل

في تغير الحقائق ١٦ - ٥

(٢) حاجة العصر الجاهلي الى الدراسة العلمية • ١٦-١٨

أ - البيئة الجغرافية ، وصلاتها بنظم الحياة وطبيعة السكان

(١) العربية السعيدة (٢) العربية الحجزية (٣) العربية

الصحراوية ١- الحجاز ، ٢- تهامة ، ٣- اليمن ،

٤- العروص ، ٥- نجد • ١٨ - ٢٤

ب - عناصر الحياة الاجتماعية • أولا - دراسة الحياة

الاقتصادية ، ثانيا - دراسة حياة اجتماعية مماثلة •

ثالثا - دراسة النظم والقوانين • رابعا - دراسة الحياة

الدينية • خامسا - الدلائل على رقي العرب • ٢٤ - ٣٧

الصفحة

- (٣) الشعر الجاهلي وقيمة دلالاته التاريخية •  
أ - عناية العرب بالشعر •  
ب - قيم الشعر الجاهلي •  
١ - الروحية ( الشعر والجماعة )  
٢ - المتوارثة ( الشعر والزمن )  
٣ - الثقافية ( الشعر والبيئة )  
ج - دعوى الانتحال •  
د - دلالة الشعر ودلالة النثر •  
هـ - دلالة الشعر الجاهلي •

٥٤ - ٣٧  
٣٩ - ٣٧  
٤٤ - ٤٠  
٤٧ - ٤٤  
٤٩ - ٤٨  
٥٤ - ٤٩

الفصل الاول - المرأة في الحياة الجاهلية

- ١ - منزلتها في المجتمع ، الدلائل على علو هذه المنزلة  
٢ - حقوقها في توجيه تصرفات الرجل • في زواجها  
وطلاقها ، في تملكها ومتاجرتها ، في حماية الرجل  
وكفايته لها •  
٣ - واجباتها في الاعمال المنزلية كترية الاطفال ورعاية  
الضيوف •  
٤ - وظائفها في السلم والحرب • رغبتها الطبيعية في  
المحافظة الشديدة على سلامتها هي في صالح الجنس •  
نشأة الصناعات الاولية على يديها • وظائفها في السلم  
عند البدو والمزارعين • اشرافها على حاجة أعضاء  
الاسرة • وظائفها في الحرب • التشجيع والقيام  
بالوظائف الثانوية كالشؤون الطبية والتجهيز  
بالاسلحة والتموين ، قيامها بالاعمال الفعلية نادرا ،  
اثارتها للحرب واخمادها لها •

٨٧ - ٥٥  
٥٧ - ٥٥  
٦٣ - ٥٧  
٦٩ - ٦٣  
٦٩ - ٦٣  
٧٧ - ٦٩

الصفحة

- ٥ - ملابسها وزينتها - الالبسة وأجزاؤها وألوانها • من  
أى الاحجار الكريمة والمعادن النفيسة صنعت حليها •  
أنواع هذه الحلى وأين توضع أو تلبس • أصناف  
العطور التى استخدمتها ومم تصنع وكيف تنقل •  
اختلاف البدويات عن نساء الحواضر فى مقدار  
استخدامهن وسائل الزينة • ٧٧ - ٨٧
- الفصل الثانى - المرأة الحبيبة فى الشعر الجاهلى  
١٣٩ - ٨٨
- ١ - مكانها فى الشعر الجاهلى - الدواعى لكثرة قول  
الشعر فيها - الغزل الطللى ٨٨ - ٩٠
- ٢ - وصفها المادى - الحسن بالجمال ومعرفة الجمال •  
العناصر المتوارثة للجمال فى الشعر الجاهلى • تقاطيع  
الجسم ، لون البشرة الرشاقة فى الحركة • عنايتهم  
الكبيرة بوصف جمال الوجه وطيب الفم الخ •• ٩٠ - ١٠٤
- ٣ - وصفها المعنوى - صيانتها • الرقباء وشكوى الشعراء  
منهم • مظاهر النعمة والشرف • الحجاب بين البدو  
والحضر • ١٠٤ - ١٠٨
- ٤ - تبادل الحب - وصفهم الحب بعدم الثبات • ما يعين  
على الظفر بالحبيبة ، الشباب والمال • اعتذارهم عن  
المثيب وبكاؤهم الشباب • الدلال ، والبخل ، وخلف  
المواعيد من الصفات الجنسية ١٠٨ - ١١٦
- ٥ - تأثيرها فى وجدان الشاعر - استيلاؤها على عقله ولبه •  
اجتذابها القلب أينما تحل • هى هم للنفس مقلق •  
وفى وصلها حياة ونعيم • صدق الشعور الذى تحييه

الصفحة

- في نفس المحب - قصص التيمين ، حرارة العاطفة  
فيها والثبات في الحب ، والتضحية والفروسية أثر  
الحبيبة في الفروسية العربية • ساعات السفر وطيف  
الخيال •  
١١٦-١٣٥
- ٦ - صور قصصية : زيارة الحبيبة • استخدام الرسول  
عند الاعشى ، حدود الحشمة في هذا القصص •  
١٣٩-١٣٥
- الفصل الثالث - الزوجة في الشعر الجاهلي  
١٨٥-١٤٠
- ١ - مكان الزوجة في الشعر الجاهلي • انها تلى الحبيبة  
في المنزلة في الشعر •  
١٤٠-١٤٢
- ٢ - وصفها - وصفها المادى المحتشم ، وصفها المعنوى •  
حفظها الاسرار المنزلية ، اعتصامها بالحياء • معرفتها  
لاخلاق زوجها ومزاياه • تعلقها به ومنزلتها من  
نفسه •  
١٤٢-١٤٨
- ٣ - أثرها في نفسه وتصرفاته - الزوجة توجه زوجها  
وتلومه على سوء سلوكه ، حرصها على سلامته  
ولومها له على مغامراته ، وتعرض نفسه للمخاطر •  
حنها له على التحلي بالشجاعة وتجنب العبث واللغو  
والخمور ، حرصها على ماله ودعوتها له الى القصد  
في الانفاق وعدم الاسراف • حثه على الاعتدال  
عموما • مناقشة الزوج ، بعض آرائها ودعواتها •  
١٤٨-١٦٠
- ٤ - الزوجة في زواجها - أنواع الزواج عندهم • حرية  
الزوجة في اختيار زوجها • رعايتهم شرط الكفاءة  
في زيجاتهم • عناصر الكفاءة عندهم ، مقاصدهم

الصفحة

- القريبة والبعيدة من الزواج • تكريمهم عموماً  
للزوجة ، مشاوراتها في الشؤون المنزلية والامور  
الهامة الاخرى • مشاركتها في بعض العامة •
- ١٦٠-١٧١ • حقوق الزوجة •
- ٥ - الزوجة في طلاقها - أنواع الطلاق • كونه في  
الاصل بيد الرجل • وقوعه بالاتفاق • جواز أن  
يكون بيد الزوجة ان اشترطته في العقد • بعض  
أسباب الطلاق ، العدة التي تترتب عليه •
- ١٧١-١٧٧ •
- ٦ - عصبية الزوجة مع أهلها وقبيلتها - تعلق أهلها  
بها ، حرصها على ايصال الاخبار التي تتعلق بمصالح  
قومها لهم واستعدادها للبدل لهذا الغرض • تعصبها  
لقبيلة زوجها أحيانا •
- ١٧٨-١٨١ •
- ٧ - تأثير الزوجة في وجدان زوجها - تمجيدها الفضائل  
ومنها الكرم والشجاعة ، توجه الرجل بالاراء  
السامية لها •
- ١٨١-١٨٥ •
- الفصل الرابع - الام في الشعر الجاهلي
- ١٨٦-٢١٣ •
- ١ - مكان الام في الشعر الجاهلي • انها تلى الحبيبة  
والزوجة في المنزلة في الشعر •
- ١٨٦-١٨٧ •
- ٢ - كونها قديماً مناطاً للنسب عند الشعوب كافة • آثار  
ذلك في الشعر الجاهلي وفي غيره •
- ١٨٧-١٩١ •
- ٣ - الام تفقد ميّزة النسبة اليها ، دلالة الشعر على التطور  
في هذا التحول •
- ١٩١-١٩٤ •

الصفحة

- ٤ - الام فى صلات العصىة - كونها محورا لبعض  
الاحداث •  
١٩٥-١٩٤
- ٥ - صورة الام فى نفوس بنىها - شعور الابناء بنسبهم  
الى أمهات شريفات أو وضيعات ، وأثر ذلك •  
علاقة الخؤولة واضطراب هذه العلاقة •  
١٩٥-٢٠٤
- ٦ - الام المريبة - أنماط من تربيتها ، عطفها على بنىها ،  
وتوجيهها لتصرفاتهم • طاعة الامهات وكسب  
رضاهن •  
٢٠٤-٢١٠
- ٧ - الام وزوجة ابنها - رغبة كل منهما فى الانفراد به سبب  
للنفرة بينهما •  
٢١٠-٢١٢
- الفصل الخامس - الفتاة فى الشعر الجاهلى  
٢١٣-٢٤٥
- ١ - وصفها وتربيتها - تنمها بخير أهلها وآثار ذلك فى  
الشعر عند بنات الاشراف • افراطها فى الخفر  
والعفة ، تمتعها بعطف أبويها وحنانها •  
٢١٣-٢١٨
- ٢ - الفتاة فى الحرب - تشجيعها المحاربين ، تغنيهم  
بمحاسنها ومواعبها فى حروبهم وأثناء التحام  
الخصوم ، أثارها الحرب ، وقوعها فى الاسر  
واعتصامها بابائها وهى أسيرة • مشاركتها فى  
الاحزان والحداد •  
٢١٨-٢٢٣
- ٣ - المؤودة - العوامل المؤثرة فى منزلة الفتاة فى البيئته  
الجاهلية • نظرهم الى الفتاة ، تصوير القرآن لها  
وعرضه للمهم من أسباب الوأد ، روايات صاحب  
الاعانى وروايات «ولكن» لاسباب الوأد. عرض للاراء  
المختلفة •  
٢٢٣-٢٣٢

الصفحة

- ٤ - عواطف الفتاة وآراؤها، تعلقها بأهلها ونصحها لهم • ٢٣٢-٢٣٦
- ٥ - خطوبة الفتاة واختيارها زوجها • ما كانت تشده فيه لدى البدو وعند الحضر • اختلاطها بالفتيان • ٢٣٦-٢٤٢
- ٦ - التغزل بالفتيات للاغراض السياسية • ٢٤٢-٢٤٤
- الفصل السادس - المرأة الأمة في الشعر الجاهلي**
- ١ - الأمة في التاريخ والشعر • من هي الأمة؟ اهمال التاريخ والشعر لها • ٢٤٥-٢٤٦
- ٢ - منزلتها الاجتماعية • استهانتهم بها وبيتها وأبنائها • ٢٤٦-٢٤٥
- ٣ - الاماء والحالة الاقتصادية • الازمة الاقتصادية التي تعرضت لها الجزيرة ، تكون طبقة المؤسرين والمرابين • تشجيع طائفة كبيرة منهم للهو والعبث • ٢٤٦-٢٥٣
- ٤ - الاسيرة - تردد ذكرها في الشعر • فخرهم بأسر الشريفات خاصة ، عوامل الاسر ، معاملة الاسيرة ، الفخر بالاحسان اليها ، كراهة الوقوع في الاسر ، حقوق الاسر على الاسيرة ، طرق استرجاعها • ٢٥٣-٢٦٢
- ٥ - وظائف الأمة - الخدمة المنزلية ، الاعمال والوظائف الاخرى التحطيب ، البيع والشراء الرعى ، السقى ، الغناء ، أعمال الملاهي • ٢٦٢-٢٦٦
- ٦ - دور اللهو والقيان - طرق التعارف بين الجنسين عمل ديني في القديم • أسواق النخاسة وبيوت الدعارة وما كان يجري فيها • أصل الرقص والغناء • تطوره • بيوت اللهو في المدن الهامة • ٢٦٦-٢٧٣
- ٧ - صور قصصية • خصائص قصص اللهو • ٢٧٣-٢٧٤

الصفحة

٣١٢-٢٧٥

الفصل السابع - الشاعرة

١ - مكان شعرها • مقدارها • قلة عناية كتب  
المجاميع والمختارات به • انتشار الشواعر في البلاد  
والقبائل على اختلافها وفي الأزمنة كافة • أقدم

٢٨٣-٢٧٥

الشواعر • شعرهن في بعض الوقائع المهمة

٢ - مقارنة شعرها بشعر الرجل • طبيعتها الفنية •

٢٨٧-٢٨٣

صورة المرأة في شعرها • الرثاء فيها الأول •

٣ - اجادتها فنّ الرثاء - حسها وعواطفها المرهفة • أشهر  
شواعر الرثاء • الصفات التي بكتها الشاعرة هي  
الشجاعة والكرم والشرف والعفة والقدرة على  
الكسب • دلالة بكائها هذه الصفات وأثر البيئة في

٢٩٧-٢٨٧

ذلك •

٤ - اناشيدها الحربية - عصبيتها لقومها • الحماسة

٣٠٣-٢٩٧

والفخر في شعرها اثارتها الحرب وتحريضها عليها •

٥ - نظرة عامة • الموضوعات الشعرية الاخرى التي

قالت فيها شعرا • العتاب • اللوم • الاثارة على

٣١٢-٣٠٣

الحرب • الهجاء • الغزل النخ •

٣٢٦-٣١٣

فهرس الاعلام ••

٣٣٦-٣٢٧

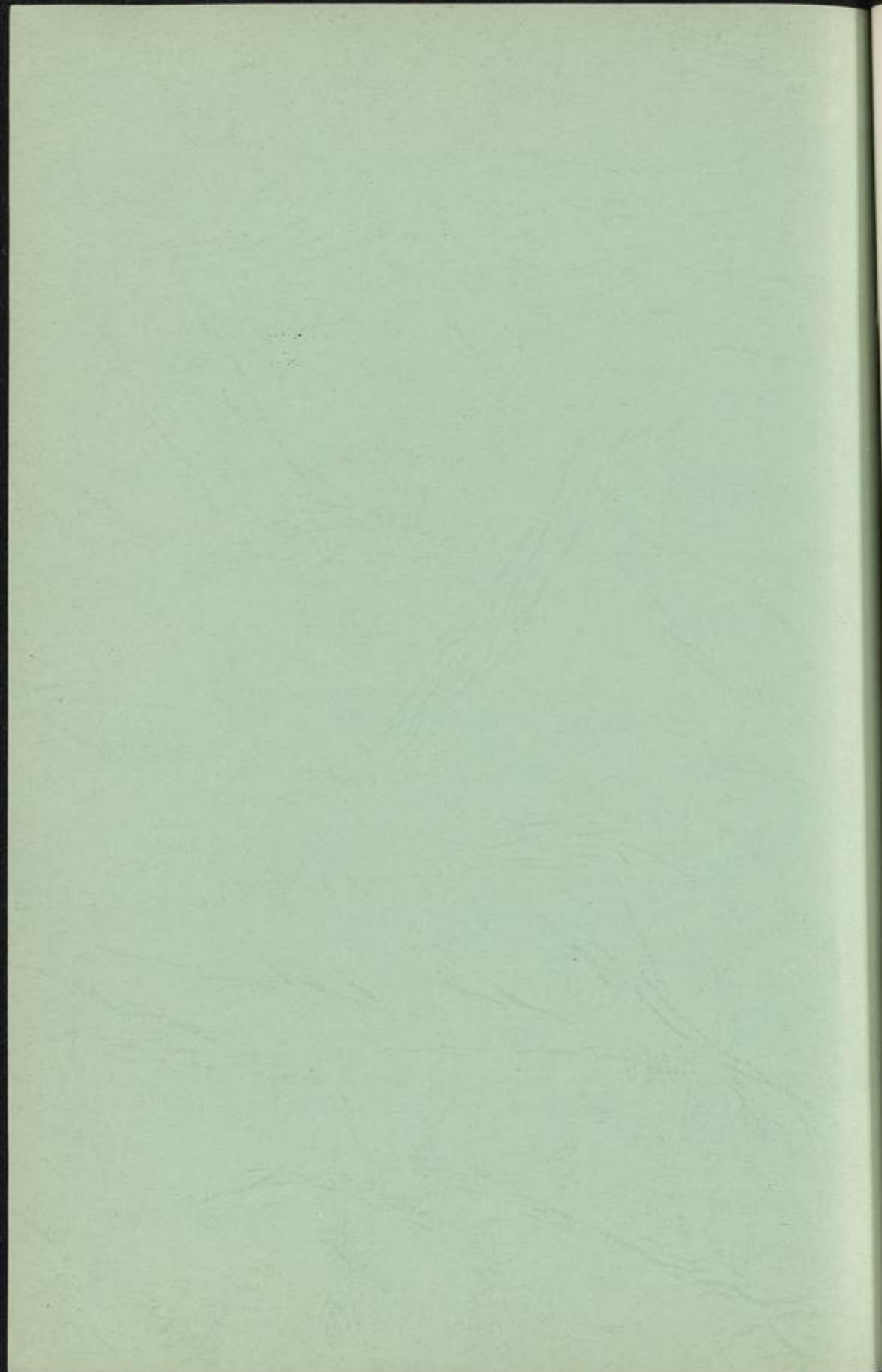
المراجع

٣٤٥-٣٣٨

فهرست الموضوعات

## اعتذار

وقعت أخطاء وهفوات لا تخفى على القارئ الكريم فنعتذر إليه  
عنها كما نرجو ابدال السطر الحادى عشر من الصفحة الثالثة بما يلى :  
« الجاهليين فهى أنها بجملتها تتصل بأيام العرب وأنسابهم  
ومفاخرهم ، وهذا »



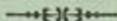
43364 G

**WOMAN**  
**IN**  
**Pre - Islamic Poetry**

A study of the role and status of women in  
the Pre-Islamic era

*By*

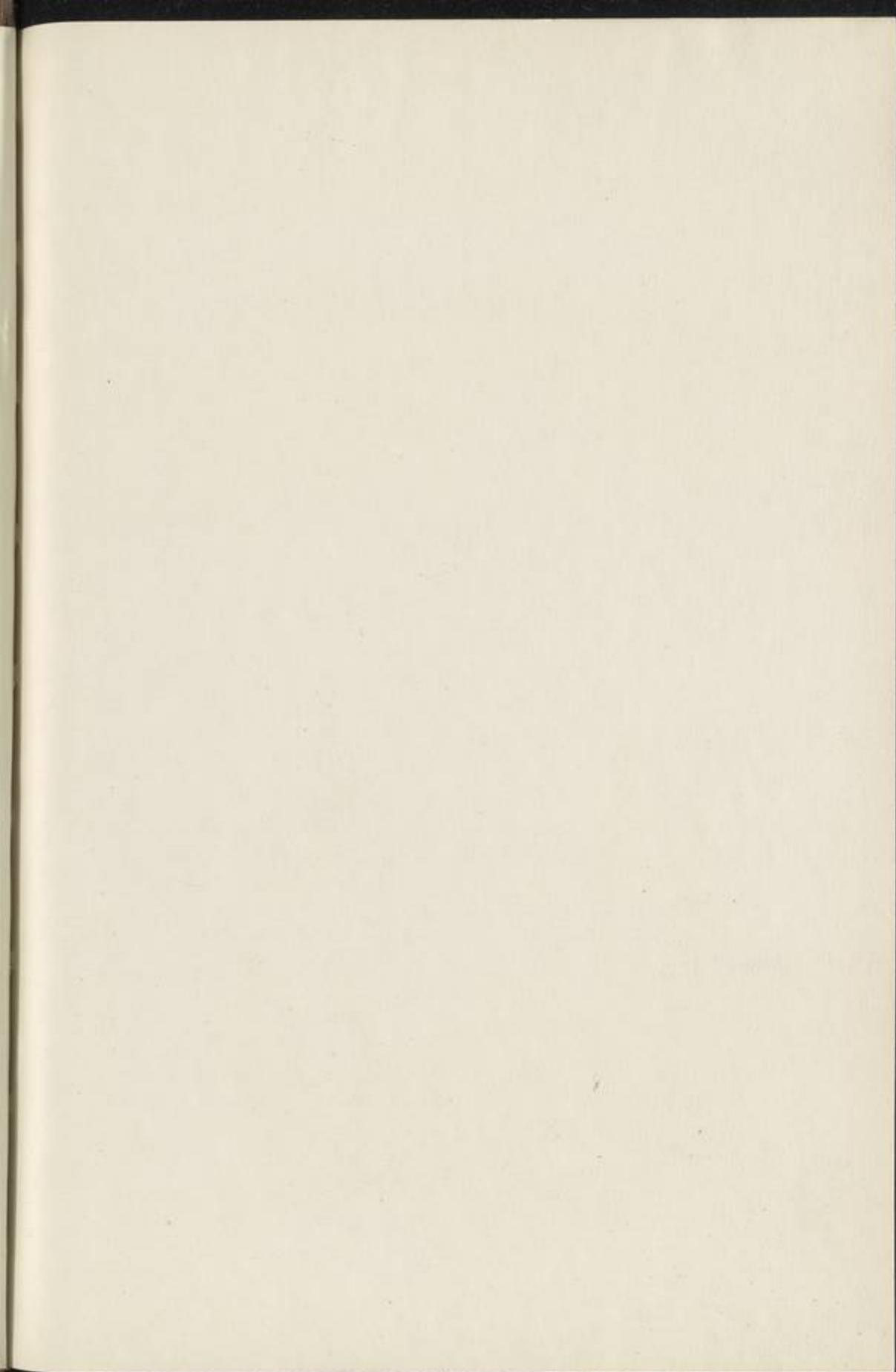
*ALI EL-HASHIMI, M. A., Ph. D.*



AL-MA'AREF PRESS — BAGHDAD

1960





893.782  
H27

BOUND

FEB 16 1962

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU58888411

893.782 H27

Marah fi al-shir al-

الدكتور  
على الحاشمي

# الملاحة في الشعر الجاهلي

ساعدت وزارة المعارف على نشره

سنة ١٩٦٠

مطبعة المعارف - بغداد